

الطبعة
العربية الأولى

پاولو كويلو

مؤلف الرائعة العالمية «الخيميائي»

الزانية



رواية



شركة المطبوعات للتوزيع والنشر

الزانية

نُشر في الأصل بالبرتغالية، بعنوان: *Adulterio*
نُشرت هذه الطبعة بالاتفاق مع سانت جورجي وشركاه، برشلونه،
إسبانيا بوكالتهم عن بلولو كويلو
موقع بلولو كويلو على الإنترنت: <http://www.paulocoelho.com>
Blog بلولو كويلو: www.paulocoelho.blog.com

جميع الحقوق محفوظة لـ © All Prints Distributors & Publishers

٢٠١٤ © جميع الحقوق محفوظة لـ © كويلو

© حقوق النشر بالعربية محفوظة

لا يسمح بإعادة طبع هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة
المعلومات أو نقله بأي وسيلة من الوسائل سواء التصويرية أم الإلكترونية
أم الميكانيكية، بما في ذلك النسخ الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو
سواها وحفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي
شركة المطبوعات للتوزيع والنشر م.ل.



شركة المطبوعات للتوزيع والنشر م.ل.

ALL PRINTS DISTRIBUTORS & PUBLISHERS م.ل.

الجنّاح، شارع زاهية سلمان

مبنى مجموعة تحسين الضيافة

ص.ب.: ٨٢٧٥-١١ بيروت، لبنان

تلفون: ٨٢٠٦٠٨ ١١٩٦١ + فاكس: ٨٢٠٦٠٩ ١١٩٦١ +

email: tradebooks@all-prints.com

website: www.all-prints.com

الطبعة الأولى ٢٠١٥

ISBN: 978-9953-88-839-2

Copyright © 2014 Paulo Coelho

تصميم الغلاف © Companhia

صورة الغلاف © Ingram Publishing

صورة الكتاب © Marvin Zilm

الإخراج الفني لشركة التالى

نمنشي

WWW.NAMSHI.COM

التوصيل مجاناً
الدفع نقداً عند الاستلام
استبدال مجاني

تسوق الآن



توصيل مجاني

استبدال مجاني

ماركات أصلية

دفع عند الإستلام

تسوق اونلاين وأنت مطمئن

توصيل مجاني لباب بيتك

منتجات أصلية 100 %

تخفيضات كبيرة وعروض مميزة

وسائل دفع متعددة منها الدفع عند الإستلام

أستبدال مجاني خلال 14 يوم

أضغط هنا للدخول على موقعنا والتعرف

على منتجاتنا المميزة

أكبر موقع للتسوق في

الشرق الأوسط

مقدمة الكاتب لسلسلة رواياته الصادرة بالعربية

كان احد كبار متصوفي الإسلام يُحتَضَر، وسوف ندعوه هنا
حسن، عندما سألته تلميذ من تلامذته،

«من كان معلّمك ايها المعلّم؟».

اجاب، «بل قُلّ المئات من العلّمين. وإذا كان لي ان اسميهم
جميعاً، فسوف يستغرق ذلك شهوراً عدة، وربما سنوات، وينتهي بي
الأمر إلى نسيان بعضهم».

لكن، ألم يكن لبعضهم تأثير فيك أكبر من تأثير الآخر؟».

استغرق حسن في التفكير دقيقة كاملة، ثم قال،

«ثلاثة، في الواقع، تعلّمت منهم أموراً على جانب كبير من
الأهمية،

«أولهم كان لصاً. فقد حدث يوماً أنني تهت في الصحراء، ولم
أتمكن من الوصول إلى البيت إلا في ساعة متأخرة جداً من الليل.
وكنيت قد اودعت جاري مفتاح البيت، ولم أملك الشجاعة لإيقاظه
في تلك الساعة. وفي النهاية، صادفت رجلاً طلبت مساعدته، ففتح
لي قفل الباب بلمح البصر».

، اذار الامر إعجابي الشديد، ورجوته ان يعلمني كيف فعل ذلك،
فاخبرني بانه يعتاش من سرقة الناس. لكنني كنت شديد الامتنان
له، فدعوته إلى البيت في منزلي.

، مكث عندي شهراً واحداً. كان يخرج كل ليلة، وهو يقول،
سأذهب إلى العمل. أما أنت، فداوم على التأمل، وأكثر من الصلاة.
وكنت دائماً أسأله عندما يعود، عما إذا كان قد غنم شيئاً. فكان
جوابه على الدوام، واحداً لا يتغير، لم أوفق في اغتنام شيء هذا المساء.
لكنني، إن شاء الله، سأعاود المحاولة في الغد..

، كان رجلاً سعيداً. لم أره يوماً يستسلم لليأس جزاء عودته
صفر اليدين. من بعدها، خلال القسم الأكبر من حياتي، عندما
كنت أستغرق في التأمل يوماً بعد يوم، من دون أن يحدث أي شيء،
ومن دون أن أحقق اتصالي بالله، كنت أستعيد كلمات ذلك اللص،
لم أوفق بشيء هذا المساء، لكنني، إن شاء الله، سأعاود المحاولة في الغد..
كان ذلك بمنحني القوة على المتابعة..

، ومن كان المعلم الثاني؟..

، كان كلباً، فقد حدث أن كنت متوجهاً إلى النهر لأشرب
قليلاً من الماء، عندما ظهر هذا الكلب. كان عطشاً أيضاً. لكنه،
عندما اقترب من حافة النهر، شاهد كلباً آخر فيه. ولم يكن هذا
غير انعكاس لصورته في الماء.

، دب الفرع في الكلب، فتراجع إلى الوراء وراح ينبج. بذل ما في
وسعه ليبعد الكلب الآخر، لكن شيئاً من هذا لم يحصل بالطبع. وفي
النهاية، قرّر الكلب، وقد غلبه الظما الشديد، أن يواجه الوضع، فالتقى
بنفسه في النهر. وكان أن اختفت الصورة هذه المرة..

توقفَ حسن قليلاً، ثم تابع،

أخيراً كان معلّمي الثالث ولداً. فقد حدث أن رأيته يسير في اتجاه الجامع، حاملاً شمعة بيده، فبادرته بالسؤال، هل أضأت هذه الشمعة بنفسك؟ فردّ علي الصبي بالإيجاب. ولما كان يُقلّني أن يلعب الأولاد بالنار، تابعت بإلحاح، اسمع يا صبي، في لحظة من اللحظات كانت هذه الشمعة مُطفأة. استطيع أن تخبرني من أين جاءت النار التي تُشعلها؟

ضحك الصبي واطفا الشمعة، ثم ردّ يسألني، وانت يا سيدي، استطيع أن تخبرني إلى أين ذهبت النار التي كانت مشتعلة هنا؟
أدرّكت حينها كم كنت غيباً. من ذا الذي يُشعل نار الحكمة؟ وإلى أين تنهب؟ أدرّكت أن الإنسان، على مثال تلك الشمعة، يحمل في قلبه النار المقدّسة للحظات مُعيّنة، لكنّه لا يعرف إطلاقاً أين أشعلت. وبدأت، منذ ذلك الحين أسرّ بمشاعري وأفكاري إلى كل ما يحيط بي، إلى السُحب والأشجار والأنهار والغابات، إلى الرجال والنساء. كان لي، طوال حياتي، الآلاف من المعلمين. وبثّ ادق بأن النار سوف تتوهج عندما أحتاج إليها. كنتُ تلميذ الحياة، وما زلتُ تلميذها. لقد استقيتُ المعرفة وتعلّمت من أشياء أكثر بساطة، من أشياء غير متوقّعة، مثل الحكايات التي يرويها الآباء والأمهات لأولادهم.

تبيّن لنا هذه القصة الجميلة المقتبسة من موروّث التصوّف في الإسلام، أن إحدى أقدم الطرق التقليدية، التي اعتمدها الإنسان لنقل معرفة جيله، كانت القصص والروايات. وفي ما يتعلّق بي، كانت الثقافة العربية إلى جانبي خلال معظم أيام حياتي، تُبيّن لي أموراً

لم يستطع العالم، الذي أعيش فيه، أن يفقه معناها. واليوم، استطيع للمرة الأولى، أن أَرَدَ على الكُرْمَة بمثلها، وأنا أرقب مكتبي تنشرها. شركة المطبوعات للتوزيع والنشر - لبنان، في المنطقة نفسها التي كثيراً ما أثارَت مُخَيِّلَتِي. وإِنِّي مُعْتَنٌ للنَّاشِر السيد تحسين الخياط لما أبداه من حماسةٍ لجعل أعمالي في متناول قراء العربية من خلال ترجمتها ترجمةً اتَّسمت بالجديَّة، بعد حصوله مِنِّي، وفقاً للأصول المعتمدة، على حقوق النشر.

وأودُ أخيراً، أن أتوجَّه بالشكر إلى الوكيلَة - المشاركة والصديقة، سوزان ناصيف، التي جعلت بحماستها، هذا الحلم ممكناً، ذلك أنني ما كنت، من دونها، لأستطيع إشراك هؤلاء الناس، الذين أحمل لهم الإعجاب الشديد، بمكنونات قلبي.

پاولو كويلو

يا مريمُ البريئةُ من الخطيئةِ الأصليةِ، صلي لأجلنا
نحن الذين نلتجئ إليك.

آمين

اِبْتَغِدْ إِلَى حَيْثُ الْعُمُقِ، وَاطْرَحُوا شِبَاكَكُمْ لِلصَّيْدِ.

لوقا ٤:٥

كلّ صباح، عندما افتُح عينيّ على «اليوم الجديد، المزعوم،
أرغبُ في أن أغمضهما مجدداً، أن الازم السرير والآن انهض. لكن لا
يسعني ذلك.

زوجي رائع، متينٌ بي، وهو صاحب مؤسسة استثمارية ضخمة.
كلّ سنة- ورغم امتعاضه الكبير- يظهر في مجلة «Bilan،
على قائمة الأشخاص الثلاثمئة الأخرى في سويسرا.

لي ولدان، وهما «سبب عيشي» (على حدّ قول صليقتي). انهضُ
باكراً لأعدّ لهما الفطور ولأصطحبهما مشياً إلى المدرسة على بعد
خمس دقائق حيث يقضيان النهار كلّهُ، ممّا يُتيح لي أن أعمل
وأملاً وقتي. بعد المدرسة، ترعاها مربّية فيليبينية إلى أن أصل
وزوجي إلى المنزل.

استمتعتُ بعملتي. أنا صحافيّة عالية الشأن في صحيفة مرموقة
تُباع في معظم الأكشاك الجديدة في جنيف حيث أقطن.

مرّة في السنة، أذهب في عطلة مع كلّ أفراد عائلتي، وتكون في
العادة رحلةً إلى جنةٍ نائيةٍ ذات شيطانٍ ساحرة، حيث ننزل في مدن
غريبة يسكنها شعب فقير يجعلنا نشعر بأننا أغنى، وأكثر امتيازاً،
واشدّ امتناناً على النعم التي أغدقتها علينا الحياة.

أه، نسيت أن أعزف بنفسي. شرفتني معرفتك. اسمي ليندا. أنا
في العقد الثالث، طولي منه وثلاثة وسبعون سنتمتراً، ووزني ثمانية

وستون كيلوغرامًا، وارتدي أفضل ما يُمكن شراؤه من ملابس (بفضل سخاء زوجي اللامحدود)، وأثير رغبة الرجال وحسد النساء الأخريات.

ومع ذلك، كلَّ صباح، عندما أفتح عيني على هذه الحياة المثالية التي يحلم الجميع بها، لكن قلّة تحققها، أعرف أنّ يومي سيكون كارثيًا. لم أكن أسأل نفسي شيئاً إلى أن حلت بداية هذه السنة. كنت ببساطة امضي في حياتي، مع أنّ الشعور بالذنب كان ينتابني بين الحين والحين لامتلاكني أكثر مما استحقّ. لكن، ذات يوم، فيما كنت أعدّ الفطور للجميع (كان الربيع حسبما أذكر والزهر يبرعم في الحديقة)، سألت نفسي، «أهذه هي الحياة؟».

ما كان عليّ أن اطرح ذلك السؤال. كان الذنب كله ذنب كاتب أجريث معه مقابلة، أمس، إذ قال في لحظة من لحظات المقابلة،

«لا ابالي ولو مقدار ذرّة، بأن أكون سعيدًا. أفضل أن أعيش حياتي بشغف، وهذا خطر لأنك لا تعلمين البتّة ما قد يحدث تاليًا. حينها فكرت، «رجل مسكين. لن يرتضي يومًا. سيموت حزينًا ومريزًا».

في اليوم التالي، أدركت أنّني لا أخاطر مطلقًا.

أعرف سير الأمور، يوم آخر يُشبه يوم أمس تمامًا. والشغف؟ أحبّ زوجي، وهذا يعني أن لا سبب يدعوني إلى الاكتئاب من العيش مع شخص من أجل ماله فحسب، ومن أجل الأولاد، أو من أجل الحفاظ على المظاهر.

أعيش في أكثر البلدان أمانًا، ليس لديّ مشكلات اتحدّث عنها،

وانا زوجة وامّ صالحة. نشأت إنجيليّة متحفظة وانوي ان اربي ولدي هذه التربية. لا اخطئ في اي خطوة اخطوها لأنني اعرف كم يسهل تدمير كل شيء. افعل ما عليّ فعله على نحو فعال مقتصرة فيه على الحدود الدنيا. عندما كنت اصغر سنًا، اختبرت الحب من طرف واحد، شاني شان أي شخص طبيعي.

لكن، منذ ان تزوجت، توقفت الزمن.

إلى ان كان ذاك الكاتب الرهيب، وكانت إجابته عن سؤالي. اعني، ما ضمير الرثابة والملل؟

بصريح العبارة، لا شيء البتة. إنه...إنه الخوف السري من أن كل شيء قد يتغير من لحظة إلى لحظة، وباخذني تمامًا على غفلة.

منذ لحظة جريان تلك الفكرة في خاطري ذاك الصباح المشرق الجميل، بدأ خوفي، هل سأتتمكن من مواجهة العالم وحيدة إن مات زوجي؟ نعم، اسررت إلى نفسي، لأن تركته من المال تكفي لإعالة اجيال عدة. وإن مُت، فمن سيعي ولدي؟ زوجي الحبيب. لكنه بالتأكيد سيتزوج من جديد، لأنه غني وبهي الطلعة وذكي. هل سيكون ولداي في أيدي أمينة؟

أول ما فعلته كانت محاولتي الإجابة عن كل تساؤلاتي. وكلما اكثرت من إجاباتي عن أسئلة، طاف منها مزيد. هل سيتخذ عشيقه عندما اتقدم في السن؟ فنحن لم نعد نمارس الجنس بالوتيرة التي تعودناها. هل لديه واحدة، منذ الآن؟ هل يخالني مرتبطة برجل آخر لأن اهتمامي بالجنس قل على مدى السنوات الثلاث الفائتة؟

لا نتشاجر أبدًا بداعي الغيرة. كنتُ اعتقد أنه امر رائع، لكن بعد ذاك الصباح الربيعي، أخذت أشك في أن غياب الغيرة ربما عنى افتقارنا إلى الحب.

فعلتُ ما بوسعي للكف عن التفكير في ذلك.

على مدى أسبوع كامل، كنت كلما أغادر العمل، اذهب لشراء شيء من أحد المتاجر ذات البضاعة الباهظة في شارع دورون. لم يكن نعمة ما احتاج إليه فعلاً، لكنني شعرتُ على الأقل بأنني كنتُ...أغمر شيئاً، اكتشف شيئاً لم أعرف حتى أنني في حاجة إليه، كأداة منزلية جديدة، مع أنه لا بد من القول إن المُستجدات نادرة في عالم الأدوات المنزلية. كنتُ اتفادى محلات الألعاب لأنني لم أرد أن أفسد ولدي بتقديم لعبة جديدة لهما كل يوم. لم ادخل كذلك أي متجر للبضائع الرجالية لنلا بشك زوجي في سخائي المفرط المفاجيء.

عندما كنت أصل إلى البيت وادخل عالمي الأسري الآخاذ، كان كل شيء يبدو فاتناً بضع ساعات، حتى يخلد الكل إلى النوم. ثم، تدريجاً، يبدأ الكابوس.

اعتقد أن الشغف مقتصر على الشباب. غيابه طبيعي في سني على ما يفترض، لكن ليس هنا ما يروّعني.

اليوم، أنا امرأة يتجاذبها رعب من أن كل شيء قد يتغير، ورعب مواز له من أن كل شيء قد يمضي على حاله تماماً بقية أيام حياتي. يقول بعض الناس إنه مع دنو الصيف تراودنا افكار غريبة، نشعر بأننا اصغر لأننا نصرف وقتاً أطول في الهواء الطلق، وهذا يجعلنا نعي مدى رحابة العالم. يبدو الأفق بعيداً جداً أبعد من الفيوم ومن جدران منزلنا.

قد يصح ذلك، لكنني لم أعد أعرف للنوم طعمًا، وليس الحر هو السبب. عندما يحل الليل وبعيدًا عن الأنظار، أخشى كل شيء، الحياة، والموت، والحب أو غيابه، أن المُستجذات كلها تتحول سريعًا إلى عادات، الشعور بأنني أهدر أفضل أيام حياتي وفق نمط سيتكرر ويتكرر ويتكرر إلى أن ينقضي أجلي، والذعر الصرف في مواجهة المجهول، مهما كان مشوقًا وملينًا بالمغامرات.

ومن الطبيعي أن أبحث عن المواساة في عذاب آخرين.

اشغل التلفاز واشاهد الأخبار. أرى تقارير لا تنتهي عن حوادث، عن ناس شردتهم الكوارث الطبيعية، وعن لاجئين. كم مريضًا على وجه الأرض في هذه اللحظة بالذات؟ كم ضحية من ضحايا الظلم والخيانة وقعت بصمت أو علنًا؟ كم فقيرًا وكم عاطلاً عن العمل وكم سجينًا؟

أقلب القنوات. أشاهد مسلسلًا أو فيلمًا، وبعد دقائق أو ساعات أنسى كل شيء. ارتاع من أن زوجي قد يستيقظ ويسأل، «ما الخطب، حبيبتي؟»، لأنه عند ناك، ساضطر إلى القول إن كل شيء بخير. وسيكون الأمر أسوأ حتى إذا وضع يده على فخذي - كما حدث بضع مرات، الشهر الفائت - وسحبها ببطء إلى أعلى وأخذ يلعبني. أستطيع أن أصطنع النشوة الجنسية - وغالبًا ما أفعل - لكنني لا أستطيع أن أفرّج الاحتياج بكل بساطة.

ساضطر إلى القول إنني تعبة فعلاً. وإذا لا يُقرّ ولو مرة، بأنه مختاظ، سيقبّلني ويستقيم في سريره ويشاهد آخر الأخبار على جهازه الرقمي، منتظرًا حلول اليوم التالي. عندئذٍ، سأمل عبثًا أن يكون تعبًا، تعبًا جدًّا بحلول اليوم التالي.

لكن ليس الأمر على هذا النحو دومًا. أحيانًا، عليّ أن أبادر. إذا

صددته ليلتين متتاليتين، فقد يشرع في البحث عن عشيقه، ولا
ارغب حقاً في ان اخسره. إذا استمנית مسبقاً، فساكون جاهزة
وسيكون كل شيء طبيعياً من جديد.

وكلمة «طبيعي» تعني ان أيًا منا لن يعود كما كان من قبل
لغزاً في نظر الآخر.

في ما يخصني، يستحيل الحفاظ على النار نفسها مستعرة بعد
عشر سنوات من الزواج، وفي كل مرة اصطنع فيها نشوة، يموت
داخلي قليلاً، قليلاً؟ اعتقد أنني اموت بشكل أسرع مما ظننت.

تقول لي صديقاتي أنني محظوظة، لأنني اكذب عليهن
واخبرهن بأننا نمارس الجنس حالياً، تماماً كما يكذب علي
بالقول إنهن يجهلن كيف يمكن لأزواجهن أن يُبدوا اهتماماً كبيراً
بالجنس حتى الآن. يقلن إن الجنس في الحياة الزوجية يكون مشوقاً
في السنوات الخمس الأولى فقط، وبعدها، لا بد من «التخيل» أي أن
تغمضي عينيك وتتخيلي أن جارك متمدد فوقك، يمارس معك ما
لن يتجرأ زوجك يوماً على ممارسته. تخيلي ممارسة الجنس معه
ومع زوجك في آن. تخيلي كل شذوذ ممكن، كل لعبة محرمة.

اليوم، لدى مغادرتي المنزل مصطحبةً ولدي إلى المدرسة،
اتفحص جاري. لم أتخيل يوماً ممارسة الجنس معه. أفضل أن
أتخيل ممارسته مع صحافي شاب يعمل معي، ذاك الذي يبدو في حالة
دائمة من المعاناة والعزلة. لم أره يوماً يحاول إغواء إحداهن، وهذا
ما يستميلني. علقت نساء للكتب كلهن قائلات، «السكين في حاجة
إلى من يرعاه». اعتقد أنه يدرك ذلك ويسعده أن يكون مجرد موضع
رغبة لا أكثر. قد يروّعه، على غراري، اتّخاذ خطوة خطأ تدمر
كل شيء، وظيفته، عائلته، حياته الماضية والآتية.

في أيّ حال، انظر إلى جاري هذا الصباح وتنتابني رغبة في البكاء.
هو يغسل سيارته، فافكر: «هو ذا شخص آخر مثلي ومثل زوجي
تماماً. ذات يوم، سنؤدي العمل ذاته. سيكون ولدانا قد كبرا، وانتقلا
إلى مدينة أخرى، أو حتى بلد آخر. سنكون متقاعدين، وسنصرف
وقتنا ونحن نغسل سيارتنا حتى وإن كنا قادرين مادياً على
تكليف أحدهم فعل ذلك عنا بعد بلوغ سن معينة، عليك تادية
أعمال تافهة، لصرف الوقت، ولإظهار أنّ جسمك لا يزال حسيّناً،
وللتعبير عن أنّك لا تزال تقدّر قيمة المال وتقوم بمهام متواضعة..
لن تغيّر سيارة نظيفة العالم بالمعنى الحرفي، لكنّها، هذا الصباح،
الشيء الوحيد الذي يهّم جاري. يلقي عليّ تحية الصباح، يبتسم،
ويعاود العمل كما لو أنّه يصقل منحوتة لرودان.

أركن سيارتي في موقف محطة الحافلات (تنقل في الحافلة عبر المدينة! كاهج التلوث!). أركب الحافلة المعهودة وانظر إلى الأمور نفسها التي انظر إليها دوماً في طريقي إلى العمل. يبدو أن جنيف لم تتغير قط منذ أن كنت طفلة، لا تزال المنازل الشاسعة القديمة قابعة بين المباني التي شيدها محافظ مجنون، اكتشف فن العمارة الجديدة في الخمسينيات.

اشتاق إلى كل هذا عندما أسافر. الذوق السيئ المقرز، وغياب الأبراج الحديدية - الزجاجية الضخمة، وغياب الطرقات السريعة، جذور الشجر التي تنبت بين بلاط الأرصفة الإسفلتية والتي تعثر، المتنزهات العامة بسياحاتها الخشبية الصغيرة الغربية التي نما عليها العشب الضار لأن هذه حال الطبيعة.. باختصار، مدينة تختلف عن غيرها من المدن التي حدثت وفقدت سحرها.

هنا، لا نزال نقول «صباح الخير، عندما نلتقي غريباً في الشارع، ومع السلامة، عندما نغادر متجرًا بعد شراء زجاجة مياه معدنية، حتى وإن كنا لا ننوي الرجوع إليه. لا نزال نحلّ غريباً في الحافلة، حتى وإن ظن باقي العالم أن السويسريين كُتُم متحفّظون.

كم أنهم مخطئون! لكن من الجيد أن يخالنا الآخرون هكذا، فهكذا نتمكن من صون أسلوب حياتنا خمسة قرون أو ستة، قبل أن يجتاز البرابرة جبال الألب آتين بأدواتهم الإلكترونية، وشققهم بغرف

النوم المتناهية الصغر وغرف المعيشة الواسعة للتأثير في الضيوف، ونسائهم، اللاتي يفرطن في التبرج، ورجالهم، الذين يتكلمون بصخب ويزعجون جيرانهم، وأولادهم المراهقين، الذين يلبسون ثياب التمرد لكنهم، في الصميم، يرتعون من ظنون اهلهم.

فليعتقدوا ان كل ما نفعله هو إنتاج الألبان، والشوكولاته، والأبقار وساعات الوقواق. فليعتقدوا ان المصارف موجودة عند كل زاوية من زوايا جنيف. لا ننوي ان نغير هذا التصور. نحن مسرورون لغياب حشود البرابرة. كلنا مدخجون بالسلاح (يحمل كل سويسري بندقية في منزله بما ان الخدمة العسكرية إلزامية)، لكن يندر ان نسمع ان احدا أطلق النار على آخر.

نحن مسرورون لأننا لم نتغير على مر قرون. نحن نعتز ببقائنا على الحياد عندما أرسلت أوروبا أبناءها للقتال في حروب عقيمة. نحن فرحون بعدم اضطرارنا الى تبرير سبب حفاظ جنيف على مظهرها غير الجلب إلى حد ما، بمقاهيها البالية والعجائز المتبخرات في أرجاء المدينة.

قد لا يكون قولي، نحن مسرورون، صحيحا تماما. فالكل مسرورون باستثنائي، إذ اذهب إلى العمل متسائلة عما دهاني.

أصرف يوماً آخر في الصحيفة، محاولة التنقيب عن أخبار مثيرة للاهتمام غير الحوادث المعهودة مثل حادث سير، ونهب غير مسلح، وحريق (سارعت سيارات الإطفاء المجهزة برجال إطفاء متمرسين إلى إخماده وإغراق شقة قديمة بالماء. وكل ذلك لأن الجيران هلعوا لرؤية دخان يتصاعد جزاء احتراق طعام مشوي ترك أكثر مما يلزم في الفرن).

بالعودة إلى المنزل، استمتع بالطهو، وترتيب المائدة، واجتماع العائلة حولها، وشكر الله على الطعام الذي نُقبل على تناوله. إنها امسية أخرى ينصرف كل فرد إلى شؤونه، بعد العشاء يساعد الوالد الولدين في واجباتهما الدراسية المنزلية، تنظف الوالدة للطبخ، وترتب البيت، وترك المال للخادمة التي تأتي صباح اليوم التالي.

ثمة اوقات في هذه الأشهر، اشعر فيها بانني بخير فعلاً، واضن ان لحياتي معنى فعلاً، وان هذا دور البشر على الأرض. يشعر الولدان بان والدتهما تنعم بسلام، وان والدهما احن من ذي قبل واكثر تنبهاً، وتبدو الأسرة باكملها مشعة ببريق نورها. إننا مثال على السعادة في نظر باقي قاطني الشارع، المدينة، الإقليم - او ما قد تسفيه ولاية - وفي نظر البلد كله. ثم فجأة، وبلا سبب، انفجر بالبكاء وانا استحم. أستطيع ان ابكي في الحمام لأنه لا يمكن لأحد

ان يسمع نواحي او يطرح علي أكثر ما أكرهه من الأسئلة،
هل أنت بخير؟..

نعم، ولماذا لا اكون بخير؟ أتشكو حياتي من خطب؟
لا، لا شيء من ذلك.

لا شيء سوى الليالي التي تملأ صدري رعباً.

والأيام التي أعجز عن التشوق إليها.

والصور السعيدة من الماضي والأمر التي كان ممكناً ان تكون
ولكنها لم تكن.

ورغبة المغامرة المُجهضة.

والرعب من جهل ما سيحلّ بولدي.

ثم تبدأ افكاري بإبراز الأمور السلبية، الأمور ذاتها على
الدوام، كما لو أنّها شيطان يراقب من إحدى زوايا الغرفة، متاهباً
للانقضاض عليّ وإخباري بأنّ ما ادعوه «سعادة» هو مجرد مرحلة
عابرة، وأنّ لا شيء يدوم. أعلم هذا طبعاً.

أريد أن أتغير. أحتاج إلى أن أتغير. اليوم في العمل، توترت إلى حدّ
التفاهة لجزء أن متدرباً استغرق عثوره على مواد طلبتها وقتاً أطول
من المعتاد. لست كذلك في العادة، إنني انقطع عن نفسي تدريجاً.

من السخافة أن أقي اللوم كله على ذاك الكاتب ومقابلته.
حدث ذلك منذ أشهر عدّة. هو لم يقم سوى بفتح فتحة بركان
قد ينفجر في أي لحظة، حاصداً الموت والدمار حوله. لو لم يفعل هو
ذلك، لكان فعله فيلم أو كتاب أو شخص آخر صدف أن حدثته.
أظنّ أنّ بعض الناس ينفقون سنوات تتراكم فيها الضغوط داخلهم

حتى من دون ان يلاحظوا ذلك، ثم، ذات يوم، تُثير حادثة صغيرة
ازمة.

ثم يقولون، لقد اكتفيت، لم اعد أريد هذا بعد اليوم.
ينتحر بعض الناس. ويقدم بعضهم على الطلاق. ويرتحل
بعضهم الآخر إلى اماكن فقيرة في افريقيا لإنقاذ العالم.
لكنني اعرف نفسي. اعرف أن ردّ فعلي الوحيد سيكون لجم
مشاعري إلى ان يبدأ مرض السرطان باكل احشائي، لأنني أوّمن
فعلاً بأن كثيراً من الأمراض ناتجة من الانفعالات المكبوتة.

استفيق عند الساعة الثانية بعد منتصف الليل واطلّ متمدّة
أحدّق إلى السقف - وهو أمر طالما كرهته - مع أنني أعلم أن عليّ
النهوض باكراً للذهاب إلى العمل. وبدل أن يخطر لي سؤال مثير
مثل «ما الذي يحدث لي؟»، ادّع أفكارٍ تتلّولب. اتساءل منذ أيام -
لكنها قليلة والحمد لله - إن كان عليّ رؤية طبيب نفسي وطلب
المساعدة منه. لا عملي ولا زوجي يحولان دون ذلك، بل ولداي. لن
يستوعبا على الإطلاق ما أشعر به.

كلّ شيء يشتدّ. أفكر في إحدى الزيجات، في زواجي، الذي يخلو
من الغيرة. لكننا نحن النساء نملك حاسة سادسة. لعلّ زوجي على
علاقة بامرأة أخرى وأنا أرى ذلك رداً لا واعياً. ومع ذلك، لا سبب
على الإطلاق بدعوني للشك فيه.

أليس هذا بسخف؟ أتعتقد أن أكون قد تزوّجت الرجل المثالي
الوحيد على الإطلاق بين كلّ رجال العالم؟ هو لا يشرب الكحول
ولا يخرج ليلاً، ولا يقضي يوماً كاملاً أبداً مع أصدقائه. أسرته هي
كلّ حياته.

سيكون حلماً ما لم يكن كابوساً. لأنّ عليّ أن أقابله بالمثل.
ثم أدرك أن مفردات مثل «تفاؤل»، «أمل»، تظهر في كلّ تلك
الكتب حول المساعدة الذاتية التي تدّعي أن بوسعها أن تمدّنا
بمزيد من الثقة وبقدرة أفضل على التعامل مع الحياة، ما هي إلّا

مفردات. والعاقلون النين يتلفظون بها هم على الأرجح يبحثون
عن معنى لحياتهم ويستخدموننا فنران تجارب لنرى كيف
سنستجيب للمنبه.

في الواقع، تجبث من حياتي السعيدة المثالية هذه. ولا يُعقل أن
يكون ذلك إلا دليلاً على مرض عقلي.

هذه هي الأفكار التي اغفو عليها. على الأرجح أنني أعاني مشكلة
حقيقية فعلاً.

اتناول الغداء مع صديقة.

تقترح ان نلتقي في مطعم ياباني لم أسمع به من قبل، وهذا غريب لأنني أعشق الطعام الياباني. تؤكد لي أنه مكان ممتاز، لكنه بعيد إلى حد ما عن مكان عملي.

يستغرق وصولي إليه دهرًا. أضطر إلى ركوب حافلتين وسؤال أحدهم عن السبيل إلى صالة الفنون، موقع هذا المطعم، الممتاز، على ما يُفترض. افكر في أنه شنيع - بديكوره ومفارش موائده الورقية، وغياب أي مشهد يطل عليه. لكنها محقة. فهو يقدم أفضل الوجبات التي تناولتها في جنيف.

تقول لي: «درجتُ على تناول الطعام في المطعم ذاته. لا بأس به، لكن لا شيء مميز فيه. ثم اقترح علي صديق لي يعمل في القنصلية اليابانية أن أجرب هذا المطعم. في البداية، خلتُ أنه مربع جنأ، كما خلتُ على الأرجح. لكن مالكي المطعم يديرونه بأنفسهم، وهذا ما يُشكل كل الفرق».

يخطر لي أنني ارتاد المطاعم ذاتها على الدوام وأطلب الأطباق ذاتها، حتى أنني لا أخاطر على الإطلاق في هذا الشأن.

تناول صديقتي دواءً مضادًا للاكتئاب. وهذا آخر ما أود الحديث فيه لأنني توصلت إلى الاستنتاج بأنني على بُعد خطوة من الانزلاق نحو الاكتئاب ولا أريد أن اتقبله.

ولأنه، تحديدًا، آخر ما أريد التحدث فيه، يكون أول موضوع اتناوله.

أسالها عن حالها.

تقول، «أفضل كثيرًا، مع أن الدواء يستغرق بعض الوقت حتى يسري مفعوله. لكن ما إن يحدث هذا، حتى تستعيدني اهتمامك بالحياة، وتستعيد الأمور لونها ونكهتها».

بعبارة أخرى، باتت المعاناة مصدر دخل جديد لقطاع صناعة الأدوية. هل أنت حزين؟ خذ إذا حبة دواء وتكون المشكلة قد حُلّت. أسأل، بأشد الحذر، إذا كانت ترغب في الإسهام في مقالة رئيسة للصحيفة موضوعها الاكتئاب.

لا هدف من ذلك. اليوم، يتشارك الناس في مشاعرهم عبر الإنترنت.

فيم يتناقشون؟

«التأثيرات الجانبية لـ مختلف الأدوية. لا أحد يبالي بالأعراض التي تصيب سواه لأن الأعراض مُعدية، تبدأين بالشعور بأمور لم تشعر بها من قبل».

اهذا كل ما في الأمر؟

«لا، ثمة تمارين تأمل أيضًا، لكنني اعتقد أنها غير مُجدية. لم أبدأ بالتحسن إلا حين تقبلت وجود مشكلة لدي».

لكن ألا تُساعدك معرفة أنك لست وحيدة؟ أولن يُفيد التحدث عن آثار الاكتئاب أشخاصًا آخرين أيضًا؟

لا، مطلقاً. إن كنت قد طلعت من الجحيم للتو، فلن تؤدي معرفة ما تكون عليه الحياة الآن في الأسفل.

لم تحمّلت حالتك كل هذه السنوات؟

لأنني لم اخل نفسي مصابة بالاكتئاب. ولأنني متى تكلمت في الموضوع معك أو مع أصدقاء آخرين، كان الكل يقول إنها تزهات، وإن الأشخاص الذين لديهم مشكلات حقيقية، لا وقت لديهم للشعور بالاكتئاب.

صحيح، هذا بالضبط ما قلته.

أصر: ألن تُفيد مقالة أو مدونة الناس في التعامل مع المرض تعاملًا أفضل وطلب المساعدة؟ طبعًا أنا لست مكتئبة شخصيًا، ولا أدري ما هو هذا الشعور. ماذا لو أخبرني القليل عنه؟

تردّ صديقتي، ربما لشكها في دوافعي.

كانك عالقة في شرك. تعلمين أنك عالقة، لكنك تعجزين عن الهروب.....

هذا بالضبط ما شعرت به منذ أيام قليلة.

تشرع في تعداد سلسلة كاملة من الأمور التي تبدو مشتركة بين من زاروا ما تدعوه «الجحيم»: الرغبة في ملازمة الفراش. الشعور بأن أبسط المهام يستوجب جهد الجبابة. استيلاء النوب عليك لأن لا سبب يدعوك للشعور بما تشعرين به، في حين أن العالم مليء بكثيرين يُقاسون فعلاً.

أحاول التركيز في الطعام الممتاز، لكن نكهته كانت قد بدت تذوي. تتابع صديقتي،

الفتور. ادعاء السعادة، ادعاء الحزن، ادعاء النشوة الجنسية، ادعاء التسلية، ادعاء النوم بهناء، ادعاء أنك حية. إلى أن تحل لحظة تصلين فيها إلى خط أحمر وهمي وتتركين أنك إذا تخطيته، سيستحيل عليك الرجوع. ثم تكفين عن التذمر، لأن التذمر يعني أنك لا تزالين في خضم معركة ما. تتقبلين حالة التعطل، محاولة إخفاءها عن الجميع. وهذا عمل شاق.

وما الذي سبب اكتئابك؟

لا شيء محدد. لكن لم كل هذه الأسئلة؟ أنتشرين بالاككتاب أيضا؟.

بالطبع لا!

الأفضل تغيير الموضوع.

نتحدث عن السياسي الذي ساقبله في غضون أيام قليلة. إنه حبيب سابق لي من زمن الدراسة الثانوية، لا يتذكر على الأرجح حتى أننا تبادلنا بضع قبل، وأنه لامس نهدي.

تتحس صديقتي. واحاول من جهتي ان أصفي ذهني من كل شيء، وان تكون ردود فعلي الية.

الفتور. لم أبلغ هذه المرحلة بعد. لا أزال في مرحلة التذمر، لكنني أتصور أنني قريباً - في غضون شهور أو أيام أو ساعات - سأكون عرضة لهمود تام يُطبق علي وسيكون من الصعب جداً أن يزول.

أشعر كأن روحي تفارق جسدي ببطء وتنتجه إلى مكان مجهول، مكان آمن، ما، حيث لن تضطر إلى تحملي وتحمل رعب ليالي، وكانني لست جالسة في مطعم ياباني بشع يقدم طعاماً لذيذاً، بل

اعيش كل شيء وكأنه مجرد مشهد من فيلم اشاهده، ولا اريد ان
اوقفه - او لا اقدر - على ذلك.

استفيق وأوذي الطقوس المعهودة. اغسل أسناني، ارتدي ملابس
تليق بالعمل، اتوجه إلى غرفة نوم ولدي لأوقظهما، أعد الفطور
للجميع، ابتسم، وأقول كم الحياة حلوة. في كل دقيقة وكل
حركة، أشعر بثقل أعجز عن تحديده، كحيوان لا يستوعب
تماماً كيف علق في الشرك.

لا نكهة لطعامي. غير أنني أزيد من عرض ابتسامتي لنلا يشك
بي أحد، وأبتلع رغبتني في البكاء. يبدو النور في الخارج رمادياً.
لم تُفدني محادثة الأمس البتة، أبداً بالظن أنني خارجة من
مرحلة الاستياء ومتوجهة مباشرة إلى الفتور.

وهل من أحد ليلاحظ؟

بالطبع لا. في النهاية، أنا آخر شخص في العالم يُقر بأنه يحتاج إلى
المساعدة.

هذه مشكلتي، انفجر البركان ويستحيل إعادة حممه إلى داخله،
وزرع بعض الشجر، وجز العشب، وإطلاق الأغنام في المروج لترعى.
لا استحق هذا. لظالماً حاولت أن تأتي صورتي مطابقة لتوقعات
الكل. لكن الآن حدث ما حدث ولا يسعني فعل شيء حياله باستثناء
تناول الدواء. قد أخلق ذريعة اليوم لكتابة مقالة عن علم النفس
والتأمين الاجتماعي (تعشق الصحيفة هذا النوع من الأمور) وأجد

طبيبًا نفسيًا جيدًا لطلب المساعدة. أعرف أن هذا غير أخلاقي، لكن ليس كل شيء أخلاقيًا.

لا وسواس يشغل بالي - كاتباغ نظام غذائي لخفض الوزن أو إصابتي باختلال الوسواس القهري، فأجد عيّنًا في عاملة التنظيف التي تصل إلى منزلي في الثامنة صباحًا وتغادر في الخامسة بعد الظهر، بعد أن تكون قد غسلت الملابس وكوّتها، ورتبت البيت ونظّفته، وابتاعت الحاجيات أحيانًا. لا يسعني أن أنفّس عن إحباطاتي في محاولة أن أكون أمًا خارقة، لأنّ ولدي سيحققان علي باقي أيامهما. اذهب إلى العمل، وارىّ جاري من جديد يلمع سيارته. ألم يفعل هذا أمس؟

أسير نحوه وأسأله عن سبب فعله ذلك، عاجزة عن مقاومة طرح السؤال.

لم تكن مثالية تمامًا، يقول ذلك لكن بعد أن يلقي علي تحية الصباح، ويسأل عن العائلة، ويلاحظ جمال الفستان الذي ارتديه. انظر إلى السيارة. إنها من طراز «أودي». وفي النهاية، تلقّب جنيف بـ «بلاد الأودي». بين الألقاب المنسوبة إليها. هي تبدو مثالية، لكنّه يشير إلى موضع أو اثنين حيث لا تبرق كما يجب. أطيل الحديث ويُفضي بي الأمر إلى سؤاله عن رأيه في ما يبحث عنه الناس في الحياة.

«سهل جدًا. القدرة على تسديدهم الفواتير. شراء منزل شبيه بمنزلك أو منزلي. امتلاك حديقة ملأى بالشجر. وجود أولادك

أو أحفادك حولك يوم الأحد على الغلاء. السفر حول العالم بعد
التقاعد..

أهنا ما يريد الناس من الحياة؟ أهنا هو فعلاً؟ ثمّة خطب
خل في هذا العالم، وهو لا يقتصر فقط على الحروب الجارية في آسيا
والشرق الأوسط.

قبل الذهاب إلى الصحيفة، عليّ مقابلة جاكوب، حبيبي السابق
من المدرسة الثانوية. حتّى هذا لا يُبهجنّي. أنا فعلاً أفقد اهتمامي في
الأمور.

استمع إلى حقائق حول سياسة الحكومة لم أرد حتى ان اعرف عنها. اطرح بضعة اسئلة حرجة، ويتملص منها بلباقة. هو يصغرنى بسنة، لكنه يبدو بمظهر من يكبرني بخمس سنوات. احتفظ بهذه الفكرة لنفسي.

امر جيد بالطبع ان اراه من جديد، مع انه لم يسألني بعد عما حل بحياتي منذ ان سلك كل منا دربه بعد التخرج. هو يصب اهتمامه كله على نفسه، ومسيرته المهنية، ومستقبله، فيما اجد نفسي اغوص ببلاهة في الماضي، كما لو أنني لم أزل تلك المراهقة التي، على الرغم من جهاز التقويم على اسنانها، كانت موضع حسد الفتيات الأخريات كلهن. بعد قليل، اكف عن الإصغاء وانير في نفسي نظام التشغيل الآلي. النص ذاته على الدوام، الوعود ذاتها، خفض الضرائب، مكافحة الجرائم، طرد الفرنسيين (هم العمال المزعومون خارج الحدود الذين يشغلون وظائف لا يمكن لعمال سويسريين شغلها). سنة تلو سنة، تظل المسائل هي على حالها، والمشكلات بلا حلول لأن احدا لا يهتم فعلاً.

بعد عشرين دقيقة على بدء المقابلة، اتساءل إن كان فقداني الاهتمام ناتجاً من حالتي العقلية الغريبة. لا. فليس هناك أضجر من مقابلة السياسيين. كان من الأفضل لو أرسلت لنقل أحداث جريمة او شيء آخر. جرائم القتل أكثر واقعية.

بالمقارنة مع ممثلي الشعب في أي بقعة أخرى على الكوكب، يبدو ممثلونا أقلهم إثارة للاهتمام وأكثرهم تفاهة. لا أحد يريد معرفة ما يجري في حياتهم الشخصية. هناك أمران فقط يُثيران فضيحة هنا، الفساد والمخدرات. يتضخمان ويستحوذان على نقل شامل لأن الصحف تملأ تمامًا من أي أمر آخر مهم.

هل يبالي أحد إن كانت لهم عشيقات، أو يذهبون إلى بيوت الدعارة أو يشهرون ميولهم الجنسية المثلية؟ لا. يواصلون فعل ما أنتخبوا لفعله، وما داموا لا يُفرغون الخزينة القومية، نحيا جميعًا بسلام.

يُتغير رئيس البلاد كل عام (نعم كل عام) ويختاره المجلس الاتحادي، وليس الشعب، وهو هيئة تتألف من سبعة وزراء يعملون مجتمعين بوصفهم رئيس دولة سويسرا. كل مرة أمر فيها بجانب المتحف، أرى ملصقات لا تُحصى تدعو إلى مزيد من الاستفتاءات الشعبية.

يحب السويسريون اتخاذ القرارات بشأن، لون أكياس النفايات (يتصنر الأسود اللانحة)، الحق (أو عدمه) في حيازة الأسلحة (تمتلك سويسرا أحد أعلى المعدلات بين بلدان العالم في حيازة الأفراد السلاح)، عدد المآذن التي يمكن تشييدها في البلد (أربع)، وتوفير اللجوء (أو عدمه) للمهاجرين (لم أتابع هذا الموضوع، لكنني أتصور أن القانون حظي بالموافقة وأصبح نافذًا).

المعنة، سيدي.

سبق أن تمت مقاطعتنا مرة. يطلب بلباقة إلى مساعدته تأجيل مواعيد التالي. صحيفتي من أهم الصحف السويسرية الناطقة

بالفرنسية وقد تكون هذه المقابلة حاسمة في مسار الانتخابات المقبلة.
يَدْعِي إقناعي وأدعي تصديقه.

ثم أنهض، أشكره، وأقول إنني حصلتُ على كامل ما أردته من
المادة.

«ألا تريلين شيئاً آخر؟».

بالطبع أريد، لكن لست أنا من عليه البوح به.

«ما رأيك في أن نتقابل بعد دوام العمل؟».

أشرح أن علي اصطحاب ولدي من المدرسة، أمله أن يلاحظ خاتم
الزواج الضخم في إصبعي، وأقول: «اسمع، الماضي ولي».
«بالطبع. حسن إذا، قد نتناول الغداء معاً ذات يوم».

أوافق. وأفكر بعد أن خاب ظني بسهولة، من يدري، ربما كان
لديه شيء مهم يخبرني به، سر ما عن الدولة سيغير مجرى السياسة
في هذا البلد، ويجعل رئيس تحرير الصحيفة ينظر إلي بعين جديدة.

يتوجه نحو الباب، يقفله، ثم يرجع، ويباغتني بقبلة. أعامله
بالمثل! مضى زمن طويل على آخر قبلة. جاكوب، الذي قد أكون
أحببته ذات يوم، هو الآن يعيش علاقة عاطفية، إثر زواجه من
استاذة جامعية. وأنا ربة أسرة، متزوجة من رجل منجذ في العمل
إلى أقصى حد مع أنه ورث ثروته.

أفكر في دفعه عني والقول أننا لم نعد صغاراً، لكنني استمتع
بالقبلة. لم أكتشف مطعماً يابانياً جديداً فحسب، بل أنني أحظى
ببعض المتعة المحرمة كذلك. تمكنتُ من خرق القواعد ولم يتداع
العالم علي. لم أشعر بمثل هذه السعادة منذ زمن طويل.

اشعر بأنني في حال أفضل وأفضل، وأكثر شجاعة وتحزراً. ثم
افعل أمراً حلمت به منذ أيام المدرسة.

أركع، افكّ سخاب بنطلونه، وأطوّق قضيبه بقمي. يشدّ
شعري ويتحكّم بإيقاع راسي. ينتشي في أقلّ من دقيقة.
«كم كان ذلك حلواً!..»

لا اتفوّه بكلمة. في الحقيقة، استمتعتُ به أكثر، لأنه بلغ النشوة
بسرعة شديدة.

يعقب الخطيئة الخوف، خوف المرء من أن يُضبط.

في طريقي إلى المكتب، ابتاع فرشاة أسنان ومعجونًا ما. كل نصف ساعة أو نحوها، اذهب إلى الحمام لأتفقد إن كان ثمة شيء على وجهي وقميصي من ماركة فيرساتشي المشبكة التطريز، ما يجعلها مثالية لإخفاء البقع. أسارق زملائي النظر. لم يلاحظ أحد شيئًا (أو على الأقل لم تلاحظ أي من النسوة، اللواتي يمكن رادارًا لأمور مماثلة).

لم حدث ذلك؟ كما لو أن امرأة أخرى سكنتني ودفعتنني إلى وضع ميكانيكي بحث وخالٍ من الإباحية. هل أردت أن أظهر لجاكوب أنني مستقلة، حرة، أنني سيّدة نفسي؟ هل فعلت ما فعلت للتأثير فيه أو في محاولة للهروب مما أسمته صديقتي، الجحيم؟

سيستمر كل شيء كما كان. لست عند أي مفترق طرق. اعرف وجهتي وأمل، مع مرور السنوات، أن أتمكن من تغيير أساليب عائلتي لنلا يُفضي بنا الأمر إلى الظن بأن غسل السيارة أمر مميز. تحدث التغيرات الكبيرة الحقيقية على مر الزمن، والوقت أمر لدي متسع منه.

على الأقل أمل ذلك.

عندما اصل إلى المنزل، أحاول ألا أبدو سعيدة ولا حزينة. يلاحظ ولداي ذلك من فورهما.

.. ماما أنت تتصرفين بغرابة اليوم ..

أرغب في القول: نعم، فعلتُ أمراً لم يجدر بي فعله، ومع ذلك لا يراودني أدنى شعور بالذنب، أشعر بالخوف من افتضاح أمري ليس إلا.

يصل زوجي إلى المنزل، وكالعادة، يقبلني، يسألني كيف كان يومي، وماذا أعددتُ للعشاء. أجيبه الإجابات المألوفة. إذا لم يلاحظ أي أمر مختلف في نمط حياتنا المألوفة، فلن يشك في أنني اليوم لعقتُ قضيب سياسي.

ولا بُد من الاعتراف بأن ذلك لم يمنحني أي لذة جسدية. لكنني الآن أتوقد رغبة، احتاج إلى رجل، احتاج إلى التقبيل، احتاج إلى الشعور بالألم واللذة من وجود جسد فوقني.

عندما نخلد إلى الفراش، أدرك بأنني مثارة جداً جداً. اتحرق إلى ممارسة الحب مع زوجي، لكن علي أن أهدأ، إذا أبيتُ تلهُفي، فسيشك في أن ثمة خطباً.

بعد أن استحم، استلقي إلى جانبه، اسحب من يديه لوحه الرقمي الذي يقرأ فيه، وأضعه على الطاولة إلى جانب السرير. اداعب صدره ويهتاج على الفور. نمارس الحب كما لم نفعل منذ دهر. كلما أتأوه بصوت عالٍ قليلاً، يطلب إلي أن أخفف ضجيجي لنلا يستيقظ الولدان، لكنني أقول له إنني لا أريد ذلك، إنني أريد التعبير عن مشاعري بحرية.

انتشي مَرَات عَدَّة. الله صَكم أَحَبَ هذا الرجل! نتصَبَّب عرقًا
ونُرهَق، لذا أَقْزُر أن استحم مرة أخرى. يدخل معي ويُدير المرشَّة
نحو بظري مُدَاعِبًا. أَطلب إليه أن يتوقَّف، قائلةً إِنِّي منهكة، وإن
علينا أن ننام، وإنه سيستثيرني من جديد.

اقترح، وكلَّ يجفَّف واحدنا الآخر، أن نرتاد ناديا ليليا، وهي
محاولة أخرى مِنِّي لتغيير نمط حياتي المعهود بأيَّ ثمن. اعتقد أنه،
عندئذٍ، بالذات شكَّ في أن شيئًا ما تغيَّر.
، غداً،.

لا يَمكنني في الغد، لديَّ حصَّة يوغا.
، بما أنك فتحت الموضوع، هل لي أن اطرح سؤالاً صريحاً؟..
يتوقَّف قلبي.

يتابع: ،لم ترتادين حصص اليوغا بالذات؟ فانتِ إنسانة هادئة،
مُتَزنة، وامرأة تعرف مرادها. اليس في ذلك هدرَ لوقتكَ؟..
يعاود قلبي الخفقان. لا أجيب. ابتسم ببساطة وأداعب وجهه.

أتهالك على فراشي، أغمض عيني، وقبل أن اغفو، أفكر: لا بُدَّ من
أنني أعاني الأزمة التي تعقب مرور عشر سنوات على الزواج. ستمرّ.
لا يحتاج أيُّ إنسان إلى الشعور بالسعادة كُلَّ الوقت. ولا يَمكن
لأحد أن يسفد كُلَّ الوقت. عليَّ أن اتعلَّم كيف أتعامل مع واقعية
الحياة.

أيها الاكثئاب العزيز، أرجوك ابقَ بعيدًا عني. لا تكن بغیضًا.

جد شخصا آخر سواي لديه من الأسباب أكثر مما لدي لينظر في
المرآة ويقول، يا لوجودي العقيم. أخلا الأمر لك أم لم يخل، فانا
اعرف كيف اهزمك. أنت تهدر وقتك.

أقضي وقت غدائي مع جاكوب كونيشت كما اتصوره تمامًا.
نلتقي في «لا بيرل دو لال»، وهو مطعم مُكلف عند ضفة البحيرة،
كان في الماضي من النوع الجيد لكنه الآن أصبح ملك المدينة. لا يزال
مكلفًا، لكن الطعام كريه. كان باستطاعتي أن أفاجئه واصطحبه
إلى المطعم الياباني، لكنني أعرف أنه سيظن أن ذوقي سيئ. في نظر
بعض الناس، الديكور أهم من الطعام.

الآن، أعرف أنني اتخذت القرار الصحيح. يحاول أن يظهر أمامي
بمظهر الضليع في شؤون النبيذ، يتحدث عن «الشذى»، والقوام،
والدموع، وهي القطرات الزيتية التي تنساب طولياً من حواف
الكأس. في الحقيقة، هو يقصد القول إنه نضج ولم يعد طالبا، إنه
تعلم آداب السلوك وارتفع مقامه بين الناس، إنه ملثم بشؤون الحياة،
والنبيذ، والساسة، والنسوة، والحبوبات السابقات.

يا لها من ترهات! نحن نحتسي النبيذ منذ ولدنا. ولا يسعنا أن
نميز بين نبيذ فاخر وآخر سيئ، نقطة على السطر.

إلى أن التقيت زوجي، كل الرجال الذين واعدتهم - رجال اعتبروا
أنفسهم «مثقفين» - تصرفوا كما لو أن خيارهم من النبيذ في مطعم
هو خيار مصري. فعلوا كلهم الأمر نفسه، اشتقوا السعادة بوقار
عظيم، قرأوا ما كُتب على الزجاج، سمحوا للنادل بسكب القليل

في الكأس، أمالوه إلى جانب، فجانب آخر، رفعوه نحو النور، اشتموا
النبيذ، دؤروه داخل أفواههم، ابتلعوه، وأخيراً، أوماوا بموافقتهم عليه.
بعد أن تكرر المشهد ذاته أمامي مرّات لا تُحصى، اقّرر أن أغير
مجموعة أصدقائي وأنضمّ إلى الطلاب الأفذاذ في الجامعة، والنبوذيين
اجتماعيًا. بخلاف متذوّقي النبيذ المصطنعين المكشوفين، كان
الأفذاذ على الأقل واقعيين ولم يحاولوا التأثير بي. كانوا يمزحون
في أمور لم استوعبها. ظنّوا مثلاً أنه لا يُعقل ألا أعرف ماركة «نتل»،
لأنها «مكتوبة على كلّ حاسوب». وبالطبع، لم لاحظ ذلك قط.

جعلني الأفذاذ أشعر وكأنني بلغت قمة الجهل، وفاق اهتمامهم
بالقرصنة على الإنترنت اهتمامهم بنهديّ أو ساقّي. عندما بلغت
سنّاً أكبر، عُدت إلى الكنف الآمن لتذوّقي النبيذ، إلى أن وجدتُ
رجلاً لم يحاول التأثير بي بحذلقته، أو يجعلني أبدو مخبولة تماماً
وهو يتحدث عن كواكب غامضة أو مخلوقات الهوبيت أو برامج
الحاسوب التي تمحو كلّ أثر للمواقع التي زرتها. بعد عدّة شهور
على التلاقي، التي اكتشفنا في خلالها منة وعشرين قرية على
الأقلّ حول بحيرة «ليمان»، تقدّم لزواجي.
قبلت بلا تردد.

اسأل جاكوب إن كان يعرف أيّ نواذٍ ليلية، لأنني لم
أكن أواكب حياة جنيف الليلية (حياة ليلية، مجرد عبارة في
قاموسي)، ولأنني قرّرت الخروج للرقص واحتساء المشروب. تبرق
عيناه.

لا وقت لديّ لذلك. شكرًا على الدعوة، لكن، تعلمين إنني، فضلاً

عن كوني متزوّجاً، لا أستطيع أن أظهر في العلن مع صحافية.
سيقول الناس إنّ مقالاتنا....

،منحازة..

،نعم، منحازة.

أفّر أن أتقدّم بلعبة الإغواء هذه خطوة- هي لعبة طالما امتعتني.
ماذا لديّ لأخسره؟ اعرف الطرائق كلّها، والانحرافات، والأشراك،
والأهداف.

أطلب إليه أن يخبرني مزيداً عن حياته الشخصية. أقول إنني لا
أسأل بوصفي صحافية، بل بوصفي امرأة وحبّية سابقة.
أشدّد على كلمة «امراة».

يقول، «لا حياة شخصية لديّ. لا يسعني ذلك لسوء الحظ. اخترتُ
مسيرة مهنيّة حولتني إلى رجل آلي. كلّ ما أقوله يخضع للتمحيص
والتشكيك والنشر..»

هذا غير صحيح إلى حدّ ما، لكنني أقي سلاحاً أمام صدّقه.
أعلم أنّه يتلمّس الأرض تحته، أنّه يريد أن يعلم أين يضع قدمه
بالتحديد، والذي الأبعد الذي يسعه بلوغه. يوحى بأنّ زواجه
تعيس، ويمضي في شروح مستفيضة عن مدى نفوذه، تماماً كما
يفعل سائر الرجال في سنّ معيّنة متى بدأوا احتساء المشروب.

في السنتين الأخيرتين، عرفتُ شهوراً من السعادة، والقليل من
الصعاب، لكنّ معظمها متعلّق بالصمود ومحاولة إرضاء الكلّ بهدف
أن يُعاد انتخابي. اضطررتُ إلى التخلّي عن كلّ ما كنتُ أستمع
به - مثل الخروج للرقص برفقتك، مثلاً. أو الاستماع إلى الموسيقى
ساعات، التدخين، أو القيام بأيّ شيء يراه الآخرون خطأ..

هذا سخف! لا أحد يبالي بحياته الشخصية.

لعلها عودة كوكب زحل. كل تسع وعشرين سنة يعود الكوكب إلى النقطة نفسها في السماء التي شغلها لحظة ولادتنا..

عودة زحل؟

يعني أنه قال أكثر مما عليه قوله، ويرتني أن من الأفضل لو نرجع إلى العمل.

لا، فعودة زحلي سبق أن حدثت. يجب أن أعرف تمامًا معناها. يُعطيني درسًا في علم الفلك، تستغرق عودة زحل إلى النقطة في السماء حيث كان لحظة ولادتنا تسعًا وعشرين سنة. وإلى أن يحدث ذلك، يبدو كل شيء ممكنًا: تحقيق أحلامنا، وهدم كل جدار يطوقنا. عندما يكمل زحل هذه الدورة، يضع حدًا للإبداع الرومنسي. تمسي الخيارات نهائية ويصير من المستحيل تقريبًا تغيير الوجهة.

لست خبيرًا بالطبع، لكن فرصتي التالية لن تحل قبل بلوغي الثامنة والخمسين من العمر لدى عودة زحل مجددًا. مع ذلك، إن كان زحل يُخبرني بأنني لم أعد قادرًا على اختيار طريق أخرى، فلم، إذا، دعوتني إلى الغداء؟..

مرت ساعة تقريبًا على بدء حديثنا.

يسال فجأة، هل أنت سعيدة؟..

ماذا؟

في عينيك شيء، حزن أجده غير مبرر لدى امرأة بجمالك، لديها زوج رائع ووظيفة جيدة. وكأنني أرى انعكاسًا لعيني أنا. سأسالك مجددًا، هل أنت سعيدة؟..

في هذا البلد، حيث وُلدت ونشأت، وحيث أُرْبِي ولدي الآن، لا أحد يطرح هذا النوع من الأسئلة. ليست السعادة أمرًا قابلاً للقياس الدقيق، ولا هي تُناقش في استفتاءات، أو يحلّها مختصّون. إننا لا نسال حتّى عن نوع السيارة التي يقودها المرء، فكيف إذا تسال عن امر شخصي جدّا ويستحيل تعريفه.

لا داعي للإجابة. ينطق صمتك بكل شيء..

لا، لا ينطق صمتي بكل شيء. هو ليس إجابة. هو فقط يعبر عن دهشتي وارتباككي.

يقول، «لست سعيدًا. أملك كلّ ما يمكن لإنسان ان يحلم به، لكنني لست سعيدًا».

هل سنأخذ ما شيئًا في الماء؟ يحاولون تدمير بلدي بسلاح كيميائي مخصّص لتوليد حسّ من الإحباط العميق؟ لم كلّ من أخذته يعترّيه الشعور نفسه؟

حتّى الآن، لم أقل شيئًا. غير أنّ للأرواح المعذّبة تلك القدرة غير المعقولة على التعرّف والتقارب والمشاركة في احزانها بالتالي.

لماذا لم لاحظ ذلك فيه؟ لم لاحظت فقط طريقته السطحيّة في الحديث عن السياسة أو طريقته للتحذقة في تنوُّق النبيذ؟

عودة زحل. التعارض. التعاسة. أمور لم أتوقّع يومًا سماع جاكوب كونيّش يقولها.

إنّها الثانية إلا خمس دقائق بعد الظهر بحسب ساعة يدي. في تلك اللحظة بالذات أغرم به من جديد. لا أحد، ولا حتّى زوجي الرائع، سبق ان سألني إن كنت سعيدة. على الأرجح طرح والدائي وجداي عليّ ذاك السؤال في طفولتي، لكن لم يسألني أحد منّاك.

«هل نلتقي مجدداً؟».

لم اعد ارى امامي حبيباً سابقاً من ايام مراهقتي، ارى هاوية امشي نحوها بجذل، هاوية لا ارغب في الهروب منها. تلمع في ذهني فكرة ان ليالي شهدي التي يشق عليّ تحملها توشك ان تشتد ثقلها بما أنني الآن اعاني مشكلة ان قلبي مغرم.

تومض الاضواء الحمراء في ذهني.

اقول لنفسي، انت حمقاء، مراده الوحيد ان يستدرجك الى الفراش. هو لا يكثر لسعادتك.

ثم، في خطوة انتحارية تقريباً، اقول نعم. لعل مضاجعة شخص لامس نهدني فقط عندما كنا مراهقين سينفع زواجي، كما حدث امس عندما لعقت عضو حبيبي السابق صباحاً وانتشيت مرات عدة مع زوجي ليلاً.

احاول العودة الى موضوع زحل، لكنه كان قد طلب الفاتورة، وهو يتحدث على جواله قائلاً إنه سيتأخر خمس دقائق.

يقول، «اسألهم ان كانوا يرغبون في شرب كوب من الماء او ارتشاف القهوة».

اسال من يحدث، ويقول إنها زوجته. يود مدير شركة ادوية كبيرة الاجتماع به ويحتمل أنه سيوظف مالا في المرحلة النهائية من حملته في انتخابات المجلس الاتحادي. والانتخابات تقرب بسرعة.

مجدداً، اتذكر أنه متزوج. أنه تعس، أنه يعجز عن فعل كل ما يستمتع به، ان ثمة شائعات حوله وحول زوجته بأن زواجهما زواج منفتح. عليّ ان انسى الشرارة التي دوختني عند الثانية إلا خمس دقائق بعد الظهر، واعني ان كل مراده هو استغلالني.

لا يُزعجني ذلك، ما دامت الأمور واضحة. أنا أيضا احتاج الى من يطارحني الفرائض.

نتوقف على الرصيف خارج المطعم. ينظر من حوله كما لو أننا نشكل ثنائيا يثير اكبر الشبهات. ثم، عندما يتأكد أن احدا لا ينظر، يشعل سيجارة.

إذا هذا ما خاف ان يراه الناس، السيجارة.

يقول، «لا أحسبك نسيبت أنهم كانوا يرون لي مستقبلا واعدا أكثر من اي طالب في صفنا. وبالطبع، كان علي أن اثبت أنهم على حق، أخذا في الاعتبار حاجتي إلى المحبة والرضى. ضخيت بليال ساهرة مع أصدقائي لأكرسها للدراسة ولأكون عند حسن ظن الآخرين بي. وانتهيت الدراسة الثانوية بتحصيل لامع. على فكرة، لم توقفنا عن التلاقي؟»

لا فكرة لدي أنا أيضا. اعتقد ان الكل حينذاك كانوا مشغولين ببساطة بمصاحبة الكل، ولم يبق أحد مع أحد طويلا.

تخرجت في الجامعة، وأصبحت محامي دفاع، وصرفت حياتي بين المحتالين والأبرياء تماما، بين الأنذال والصادقين تماما. ما بدأ وظيفة مؤقتة تحول إلى قرار دائم، الحاجة إلى المساعدة. كبرت لائحة زبائني وكبرت. وذاع صيتي في المدينة. أصر والدي أن الوقت قد حان للتخلي عن كل شيء والالتحاق بالعمل في حقل المحاماة لدى أحد أصدقائه، لكنني كنت شديد الحماس عند ربح كل قضية جديدة. ثم وقعت على قانون قديم جدًا لا معنى له اليوم على الإطلاق. احتجنا إلى تغييرات كبيرة في الطريقة التي كانت تدار بها المدينة..

كُلّ ذلك مذكور في سيرته الذاتية الرسمية، لكنّ سماعه من شفّتيه يبدو مختلفاً تماماً.

في لحظة من اللحظات، قرّرتُ الترشّح لنصب نائب. بدأنا حملة وقد أعوزنا المال، لأنّ والدي كان معارضاً للأمر بشكل قاطع. غير أنّ زبائني عملوا جميعاً لمصلحتي. انتخبتني أكثرية ضئيلة، ومع ذلك، انتُخبت.

ينظر من حوله مجدّداً، بعد أن خبأ السيجارة خلف ظهره. لكن بما أنّ أحداً لا ينظر، سحب نفساً طويلاً آخر. في عينيه نظرة خاوية كما لو أنّه يحقّق إلى الماضي.

عندما باشرت العمل في السياسة، كنت أنام نحو خمس ساعات فقط ليلاً، مع ذلك، كنت مفعماً بالطاقة دوماً. الآن، يمكنني أن أنام بسهولة ثماني ساعات متواصلة. انتهى شهر العسل. كلّ ما بقي هو حاجتي إلى إرضاء الآخرين، خاصة زوجتي التي ناضلت بكلّ ما أوتيت لكي يكون لي مستقبل باهر. ضحّت ماريان كثيراً ولا يمكنني أن أخذلها..

هنا هو الرجل نفسه الذي اقترح، منذ دقائق فقط، أن نتواعد من جديد؟ أم هنا ما يريد: إنسانة يُحدّثها وستفهمه لأنها تشعر بمثل شعوره؟

لديّ موهبة في ابتكار الاستيهامات بسرعة فائقة. اتخيّل نفسي منذ الآن مستلقية على سرير حريري الملاءات في شاليه بجبال الألب يسأل: «إذا متى نلتقي مجدّداً؟».

أقول إنّ الأمر رهن إشارة.

يقترح أن نلتقي غداً. أقول له، ودرس اليوغا؟ يطلب إلي أن أفوتها. لكنني أفوتها دوماً وقد التزمت أن أكون أكثر انضباطاً. يبدو جاكوب عازماً. نثنيني عن رأيي، لكن لا ينبغي أن ابدو متلهفة كثيراً أو أنني حاضرة دوماً.

تستعيد الحياة المتعة، ويحلّ الخوف محلّ فتوري السابق. ما أروع أن يخاف المرء تفويت فرصة!

أقول له إن ذلك غير ممكن ويُفضل أن نؤجله إلى يوم الجمعة. يقبل، يهاتف مساعده، ويطلب إليه تدوين ذلك في الفكرة. يُنهي تدخين سيجارته ويودّعني. لا أسأله لم أخبرني كل هذه الأخبار عن حياته الخاصة، من دون أن يُضيف ما يُذكر إلى ما سبق أن قاله في المطعم.

أودّ التصديق أن شيئاً ما قد تغير في خلال ذاك الغداء، غداء واحد فقط من بين مئات أكل فيها طعاماً غير صحي تماماً وأدعي احتساء النبيذ الذي يبقى على الكمية نفسها تقريباً مع حلول وقت طلب القهوة. لا يسع المرء إلقاء سلاحه أبداً، على الرغم من كل تلك الضجة حول تدنّوق النبيذ.

إنها الحاجة إلى إرضاء الجميع، عودة زُحل.

ليست الصحافة مدهشة كما يظنّ الناس - هي لا تقوم كلّ الوقت على مقابلة مشاهير، وتلقّي الدعوات إلى أماكن أخاذة، والدنو من النفوذ، والمال، وعالم الجرائم المذهل.

الواقع أنّنا نصرف معظم الوقت في خجيرات مكاتبنا نتحدّث على الهاتف. الخصوصية مقتصرة على المديرين، يجلسون في أحواضهم الزجاجية المجهزة بستائر يُمكن غلقها أحياناً. عندما يسدلونها، يظلّ بوسعهم معرفة ما يجري في الخارج، لكن نحن من يعجز عن رؤية شفاههم المزمومة تتحرّك.

ان يكون المرء صحافياً في جنيف، بسكانها المئة وخمسة وتسعين ألفاً، يعني أنه يشغل أضجر الوظائف في العالم. ألقى نظرة على عدد اليوم مع أنني أعرف محتوياته - تقارير لا تنتهي عن اجتماعات شخصيات رفيعة أجنبية في الأمم المتحدة، الشكاوى المألوفة حول السرية المصرفية، وأمر أخرى قليلة حظيت بشغل الصفحة الأولى، بدين إلى حدّ المرض يُمنع من ركوب الطائرة،، نخب يلتهم أغناماً عند ضواحي المدينة،، أحافير من قبل عهد كولومبوس تُكتشف في سان-جورج،، وآخرًا في عنوان عريض،، جنيف المرممة حديثاً تعود إلى البحيرة أجمل من أي وقت مضى..

يستدعيني مديري إلى مكتبه ويسألني إن كنت قد تمكنت

من الحصول على شيء حصري في غدائي مع ذاك السياسي. لا داعي للقول إن أحنا ما رأنا معاً.

لا، لم أحصل عليه. لا شيء جديد يفوق ما في سيرته الذاتية الرسمية. كان الهدف من الغداء تقريبي إلى مصدر (كلما زادت مصادر الصحافي، عظم شأنه).

يقول مديري إن مصدراً موثقاً آخر، أبلغه أن جاكوب كونيش، على الرغم من أنه متزوج، فإنه على علاقة غرامية بهزوجة سياسي آخر. أحسُّ بغُصة في تلك الزاوية المظلمة من روحي التي يواظب الاكتئاب على طرق بابها وارفض استقباله.

يسألني مديري إن كان بإمكانني التقرب من السياسي أكثر. هم غير مهتمين بحياته الجنسية تحديداً، لكنَّ مصدره يُلمح إلى أن كونيش يخضع للابتزاز على الأرجح. تريد شركة أجنبية تعمل في صناعة الفلزات أن تموِّه بعض المشكلات الضرائبية في بلادها، ولكن لا سبيل لها إلى وزير المالية. والشركة في حاجة إلى بعض العون.

يشرح مديري أن جاكوب كونيش ليس هدفنا، ما نريده هو ردع من يحاولون إفساد نظامنا السياسي.

ولا يجدر بذلك أن يكون صعباً. كلُّ ما علينا فعله هو القول إننا إلى نقف في صفه.

سويسرا من البلدان القليلة في العالم التي لا تزال كلمة الرجل فيها كلمة شرف. في معظم البقاع الأخرى، تحتاج إلى محامين، وشهود، ووثائق موقعة، وتهديد باللجوء إلى القضاء إن سُرِّب السرُّ. كلُّ ما نريده هو تأكيد وصور..

إنّا، سيكون عليّ ان اتقرب منه.

لا ينبغي أن يكون ذلك صعباً ايضاً. تقول مصادرنّا إنّك سبق وحدثت لقاء آخر معه. إنه مدوّن في مفكرته..

وهذه أرض السرية المصرفيّة! يعلم الجميع بكل شيء.

استعملي التكتيكات المعهودة.

تقوم التكتيكات المعهودة، على أربع نقاط، الأولى، ان نسال عن شيء يوّد الشخص المعني بالمقابلة ان يناقشه في العلن. الثانية، ان ندعه يسترسل في الكلام اطول ما يمكن لحمله على الاعتقاد أنّ الصحيفة ستخصّص له مساحة كبيرة في صفحاتها. الثالثة، عند انتهاء المقابلة، عندما يعتقد أنّه يمسك برسنا بلطف، نطرح السؤال الوحيد الذي يهمنا. بتلك الطريقة، سيشعر، ان لم نحب، بأننا لن نخصّص له المساحة التي يامل الحصول عليها وبأنه سيكون قد هدر وقته. الرابعة، إذا اجاب مراوغاً، نُعيد صياغة السؤال ونطرحه من جديد. سيقول إنّ الأمر غير مهم، لكن علينا الحصول على إجابة ما، تصرّيح واحد على الأقل. في تسعة وتسعين بالمئة من الحالات، يقع المعني بالمقابلة في الشرك.

هذا كلّ ما يلزمك. يُمكنك رمي ما تبقى من المقابلة واستعمال ذاك التصريح الوحيد في مقالة لا دخل لها بالمقابلة، بل تدور حول موضوع مهم يتناول بحثاً صحفياً، ووقائع رسمية، ووقائع غير رسمية، ومصادر مجهولة، وسواها.

إنّا بدأ متردداً، قلّبي له نقف في صفّه. تعلمين كيف تجري الصحافة. وسيكون لصالحك ايضاً ان....

اعرف، اعرف كيف تجري. مسيرة الصحافي المهنية قصيرة

قِصْر مسيرة لاعب رياضي. نحقق النفوذ والمجد باسكزا، ثم نتنخى لصالح الجيل التالي. قلة تكمل وتتقدم. يجد غالبية هؤلاء أن معيار عيشهم يتحدر وانهم يتحولون إلى نقاد في الصحافة، أو اشخاص يكتبون المدونات، ويقدمون الأحاديث، ويصرفون مزيلاً من الوقت أكثر مما يلزم على التأثير في أصدقائهم. الرحلة الوسطى لا وجود لها.

لا أزال ضمن فئة «المحترفين الواعدين». إذا تدبّرت الحصول على تلك التصاريح، من المحتمل ألا أضطر إلى سماع أحدهم يقول لي السنة المقبلة إن علينا خفض التكاليف و«بموهبتك واسمك، لن يصعب عليك إيجاد وظيفة أخرى».

وإذا رُقيت؟ سأتّمكّن من اتّخاذ القرار بشأن ما سيرد في الصفحة الأولى، ستكون مشكلة النخب أكل الأغنام، أم هجرة رؤوس أموال المصرفيين الأجانب إلى دبي وسنغافورة، أم الأمر التافه في غياب عقارات للإيجار؟ يا لها من طريقة مشوّقة في قضاء السنوات الخمس المقبلة...

أرجع إلى مكتبي، أجري بعض المكالمات غير المهمّة، واقرا كلّ أمر مثير للاهتمام على مواقع الكترونية مختلفة. زملائي يفعلون الأمر نفسه، يبحثون يائسين عن نُزُر من الأخبار من شأنها أن تحدّ من انخفاض أرقام مبيعاتنا بشكل كبير. يقول أحدهم إنه وُجد خنزير برّي على السكّة الحديد التي تربط جنيف بزوريخ. أيّمكن للأمر أن يُشكّل مادّة لمقالة؟

بالطبع. تمامًا كمادّة للمقالة التي يُمكنني تحويلها مقالة من امرأة في الثمانين تحتجّ على القانون الذي يحظر التدخين في

المشارب. تقول أن لا مشكلة في ذلك صيفاً، لكن في الشتاء، سيرتفع عدد الأموات جرّاء الإصابة بالالتهاب الرئوي أكثر من الإصابة بسرطان الرئة، لأنّ المدخّنين جميعاً سيضطرون إلى التدخين في الخارج.

ما الذي أفعله بالعمل في هذه الصحيفة؟
أعرف: نحبّ عملنا ونريد أن ننقذ العالم.

بعد الجلوس في وضعية اللوتس، والبخور يحترق، والموسيقا التي
تذكر بموسيقا المصاعد دائرة، أهدأ بـ .التأمل. ينصحني الناس
منذ دهر بتجربته. حدث ذلك عندما ظنوا أنني كنت .متوترة.
فحسب. (كنت متوترة فعلاً، لكن ذلك أفضل على الأقل من الشعور
باللامبالاة التامة تجاه الحياة).

سنخطر ببالكم فكر. لا تقلقوا. تقبلوا تلك الفكر، لا تحاولوا
التخلص منها..

تمام، هذا ما افعله. أقصي عني انفعالات سامة مثل الكبرياء،
والتحرر من الأوهام، والغيرة، ونكران الجميل، والإحباط. املاً ذلك
الحيز بالتواضع، بالامتنان، بالتفهم، بالضمير، وبالنعمة.
اعتقد أنني كنت أكثر من السكريات مؤخرًا، وهي ضارة
بالصحة والجسم الروحاني.

أترك الظلمة والياس جانبًا وأستحضر قوى الخير والنور.
أذكر كل تفصيل من غداي مع جاكوب.
أنشد المانترا مع باقي التلاميذ.
اتساءل إن كان مديري مُحققًا. هل يخون جاكوب زوجته؟
هل يتعرض للابتزاز؟
تطلب إلينا المعلمة أن نتخيل أنفسنا محاطين بدرع من نور.

علينا ان نعيش كل يوم بيقين ان هذه الدرع ستحمينا
من الخطر، ولن نضطر بعد ذلك إلى ان نكون مقيدين بازدواجية
الوجود. علينا ان نجد درباً وسطاً، حيث لا فرح فيها ولا معاناة،
السلام العميق فقط..

ابدا بفهم السبب الذي يدعوني إلى تفويت دروس اليوغا.
ازدواجية الوجود؟ درب وسط؟ يبدو ذلك غير طبيعي بقدر الحفاظ
على مستوى الكوليسترول لدي عند حد السبعين كما يُملي عليّ
طبيبي.

تدوم صورة الدرع لثوانٍ فقط قبل ان تنشطر إلى ألف قطعة
وقطعة ويحل محلها اليقين المطلق بأن جاكوب يُعجب بأي امرأة
فاتنة يلتقيها. لم إذا اكبد العناء معه؟

تستمر التمارين. نغير الوضعية، ونُصِر العُلمة، كما تفعل في
كل درس، ان علينا ان نجرب، ولو لثوانٍ، «إفراغ اذهاننا».
الفراغ هو بالضبط أكثر ما أخشاه وأكثر ما يُكدرني. لو أنها
تدري ما تطلب...

لكن، في النهاية، من أنا لأحكم على تقنية دامت قرونًا؟
ما الذي أفعله هنا؟
اعرف، «اتخلص من التوتر».

استفيق مجنّداً في وسط الليل. اتوجّه إلى غرفة الولدين لأرى
إن كان كل شيء بخير. أمرّ ينمّ قليلاً عن الهوس، لكن من المؤكّد
أنّ جميع الأهالي يفعلونه بين حين وحين.

ارجع إلى الفراش واستلقي محدّقاً إلى السقف.

لا املك القوّة لأقول ما أريد أو ما لا أريد فعله. لم لا اترك
دروس اليوغا نهائياً؟ لم لا استشير طبيباً نفسياً وأبدأ بتناول تلك
الأقراص السحرية؟ لم اعجز عن ضبط نفسي والكفّ عن التفكير
في جاكوب؟ في النهاية، لم يلمح إلى أنّه يريد مني أي شيء يفوق
كوني إنسانة يحدّثها عن زحل والإحباطات التي يواجهها كل
الراشدين عاجلاً أم آجلاً.

لم اعد أطيق نفسي. حياتي كفيلم يواصل تكرار المشهد
نفسه.

اخنت بعض الحصص في الطب النفسي عندما كنت ادرس
الصحافة. في إحداها، قال المعلم - وهو رجل مشوّق في الصف كما
في الفراش - إنّ كلّ المعنيين بالمقابلة يمرّون بمراحل خمس،
الدفاعيّة، ترقية الذات، الثقة بالذات، الاعتراف، محاولة تصويب
الأمور.

في حياتي، انتقلتُ تَوّاً من الثقة بالذات إلى الاعتراف. أنا قِيدُ
الاعتراف لنفسي بأمور من الأفضل إبقاؤها دفينة.
مثال، توقّف العالم.

ليس عالمي فحسب، بل عالم كلّ من هم حولي. عندما نلتقي
اصدقاءً، نتحدّث في الأمور نفسها على الدوام، وعن الناس أنفسهم.
تبدو الأحاديث جديدة، لكنّها كلّها مضيعة للوقت والطاقة. نحاول
أن نبرهن أنّ الحياة لا تزال مشوّقة.

يحاول الجميع التحكّم بسعادتهم. ليس جاكوب وأنا فحسب،
بل كذلك زوجي على الأرجح. غير أنّه لا يُظهر ذلك.

في حالتي الاعترافية الخطيرة، تُضحّي هذه الأمور أوضح. لا أشعر
بأنني وحيدة. يحوطني أشخاص لديهم المشكلات نفسها، ويدّعون أنّ
الحياة تجري كعادتها الطبيعية. أنا. جاري. وربّما مديري أيضاً،
والرجل النائم إلى جانبي.

بعد بلوغ سنّ معينة، نضع قناعاً من الثقة واليقين. مع الوقت،
يلتصق القناع بالوجه ونعجز عن نزعهِ.

عندما نكون أطفالاً، نتعلّم أنّنا إذا بكينا، سنحصل على العاطفة،
وإذا أبدينا حزننا، سنحصل على اللّواصاة. إذا عجزنا عن الحصول
عما نريده بابتسامة، نحصل عليه يقيناً بالدموع.

لكنّنا لم نعد نبكي، إلّا في الحمام حيث لا أحد يسمع. ولا نبتسم
لأحد سوى أولادنا. لا نُظهر مشاعرنا لأنّ الناس قد يظنّون بأننا
ضعفاء فيستغلّوننا.

النوم أفضل العلاج.

التقي جاكوب كما خُدد. هذه المرة، اختار انا المكان، ويؤول
بنا المطاف إلى متنزه. يارك دي زوه فيف، الجميل لكن المفهل،
حيث يقع مطعم فظيع بإدارة اللجنة أيضًا. تناولت الغداء فيه
ذات مرة مع مراسل من «فايننشيل تايمز». طلبنا مشروب المارتيني
وجاءنا النادل بمشروب السينزانو.

هذه المرة، لا نتناول الغداء في المطعم، نجلس ببساطة على
العشب ونتناول الشطائر. يُمكنه التدخين بحرية هنا، لأننا نحظى
بمنظر خاص بنا لكل ما يحيط بنا. يُمكننا مشاهدة الناس تمر
ذهابًا وإيابًا.

قررتُ أن أكون صريحة، بعد الشكليات المعهودة (تبادل الحديث
عن الطقس، العمل، وكيف كان النادي الليلي؟/سارتاده الليلة)،
أول ما أسأله هو إن كان يتعرض للابتزاز بسبب...كيف لي التعبير
عن ذلك...بسبب علاقة خارج الزواج.

لا يبدو متفاجئًا. يسأل فقط إذا كنتُ أتكلم كصحافية أو
كصديقة.

في هذه اللحظة، كصحافية. إن أكدت صحة الأمر، سأعطيك
كلمتي بأن الصحيفة ستسألك. لن ننشر أي شيء عن حياتك
الشخصية، لكننا سنسعى وراء المبتزين.

نعم، كانت لي علاقة غرامية مع زوجة صديق، وهو امر
اتصور أنك على علم مسبق به. كان هو من شجع على ذلك لأن
كلينا سنم من زواجه. اتستوعبين ما اقول؟..

الزوج شجع على الأمر؟ لا، لا أستوعب، لكنني اومىء ايجاباً
واتذكر ما حدث منذ ثلاث ليالٍ، عندما انتشيت مرّات عدّة.

وهلّا تزال العلاقة الغرامية مستمرة؟

لا، فقدنا اهتمامنا بها. زوجتي تعلم بامرّها. لا يُمكنك ستر
بعض الأمور. التقط بعض الأشخاص من نيجيريا صوراً لنا وهنّادنا
بنشرها، لكن الأمر معلوم من الجميع.

نيجيريا هي مقرّ شركة تصنيع الفلزّات تلك. الم تهنّده
زوجته بالطلاق؟

ظلت منزوعة جدّاً على مدى بضعة ايام، لا أكثر. لديها
مخططات عظيمة لزواجنا، واتصور أنّ الوفاء ليس بالضرورة جزءاً
منها. ادّعت أنّها تشعر بالغيرة قليلاً، لمجرد ان تظهر أنّ ما حدث
كان مهماً، لكنّها ممثلة سيّئة. بعد ساعات من اعترافي، كان ذهنها
قد انشغل بأمور أخرى.

قد يبدو الأمر أنّ جاكوب يحيا في عالم مختلف تماماً عن
عالمي، حيث الزوجات لا يشعرن بالغيرة والأزواج يشجعون زوجاتهم
على العلاقات الغرامية. هل من امر يفوتني؟

الزمن كفيل بشفاء كلّ شيء، الا تعتقدين ذلك؟..

هنا رهن الظروف. يمكن للزمن ان يجعل الأمور أسوأ. هنا ما
يحدث معي، لكنني جئت الى هنا لأجري مقابلة، لا لتجرى معي
مقابلة. لذا لا اقول شيئاً.

يتابع، لا يعلم النيجيريون بذلك. لقد نصبتُ لهم شركًا مع وزارة المالية ورتبتُ أمر تسجيل كل شيء، تمامًا كما فعلوا معي..
أرى مقالتي تذهب ادراج الرياح، ومعها فرصتي الكبرى في الارتقاء داخل قطاع يتراجع. لا جديد أكتب عنه، لا زنى، لا ابتزاز، لا فساد.
كل شيء يتبع النمط السويسري القائم على الجودة والامتياز.
هل انتهيت من طرح الأسئلة؟ هل يمكننا الانتقال إلى موضوع آخر؟..

نعم، طرحْتُ كل ما لدي من أسئلة، لكن لا موضوع آخر في ذهني.

في اعتقادي، كان عليك أن تسألني، لم أردتُ رؤيتك من جديد؟ ولم أردتُ أن أعرف إن كنت سعيدة؟ اتخالين أنني مهتم بك جنسيًا؟ لم نعد مراهقين. اعترف أنني فوجئتُ بما فعلته في مكتبتي، وراق لي أن أقنف في فمك، لكن ليس هذا سببًا كافياً لوجودنا هنا، خصوصًا وأن من غير الممكن لنا فعل أمر مماثل في العلن. إذا، ألا تريدان أن تعرفني لم أردتُ رؤيتك من جديد؟..

يباغتني مجددًا بذلك السؤال عن سعادتي أو غيابها. ألا يدرك أنه لا يجدر بالمرء طرح هذا النوع من الأسئلة؟

أخبرني، لمجرد أنك تريد ذلك. أجبك كذلك لاستفزازه وتوجيه ضربة قاضية إلى تعجرفه الذي يهز كياني بشدة. نعم أضيف، لأنك تريد أن تطارحني الفراش. لن تكون أول من أصده..

يهز رأسه. ادعي أنني غير منزعجة وأشير إلى الأمواج المتحركة على سطح البحيرة الهادئة عادةً. نقبع ونحن ننظر إليها كما

لو كانت أكثر الأمور تشويقًا في العالم، إلى أن يتمكن من إيجاد الكلمات الصحيحة،

كما أدركت بلا شك، سألتك إن كنت سعيدة لأنني تعرّفت إلى نفسي من خلالك. ثمّة تجانب بين الأشياء. قد لا تشعرين بالامر نفسه حيالي، لكن ليس الامر ذا أهمية. قد تكونين مرهقة ذهنيًا، مقتنعة بأن مشكلاتك غير الوجودية- مشكلات تعلمين أنها غير موجودة- تستنزف كل طاقتك.

خطرت لي الفكرة ذاتها تحديدًا في خلال الغداء، الأرواح المعنوية تتعرّف إحداها إلى الأخرى، وتجنب مفا لإلقاء الرعب في نفوس الأحياء.

يقول، «أشعر بالامر عينه، لكن مشكلاتي واقعية أكثر. اعتمد على موافقة الكثير من الناس، لذا يغمرنني شعور بكره الذات متى عجزت عن حل هذه المشكلة أو تلك. ويجعلني هذا أشعر بأنني عقيم. ففكرت في الحصول على مساعدة طبية، لكن زوجتي لا تريدني أن أفعل ذلك. تقول، إذا اكتشف أحدهم الأمر، فقد يدمر ذلك مسيرتي المهنية. أوافقها الرأي..»

إذا هو يحدث زوجته في هذه الأمور. قد أفعل الأمر ذاته مع زوجي الليلة. بدل أن أذهب إلى نادٍ ليلي، يمكنني أن أجالسه وأخبره بكل شيء. كيف سيكون ردّ فعله؟

يتابع، «بالطبع، ارتكبت كثيرًا من الأخطاء. حاليًا، أحاول إجبار نفسي على النظر إلى العالم بمنظار مختلف، لكنني لا أفجح. عندما أرى شخصًا مثلك - وقد التقيت كثيرين في الحوض نفسه- أحاول

ان اكتشف كيف يتعامل مع المشكلة. احتاج الى المساعدة، وهذه هي الطريقة الوحيدة التي تمكنني من الحصول عليها..
إذا هذا كل ما في الأمر. لا جنس، لا علاقة رومانسية رائعة تُثير
عصر جنيف الرمادي. هو يريد تشكيل مجموعة دعم فحسب،
كالمجموعة التي يلتحق بها مدمنو الكحول والمخدرات.
انهض.

ارشفه بنظري واقول إنني في الواقع سعيدة جدًا، وإن عليه
ان يرى طبيبًا نفسيًا. ولا يسع زوجته ان تضبط إيقاع كل ما في
حياته. وسوف تضمن السرية الطبية ألا يُكتشف أمره. ولي صديقة
شُفيت بتناول الأقراص. هل يريد أن يقضي باقي حياته مسكونًا
بطفيل الاكتئاب لجُرد ان يُعاد انتخابه؟ أهذا ما يريده لمستقبله؟

ينظر من حوله ليرى إن كان ثمة من يسرق السمع. سبق ان
فعلت ذلك، وأعرف أننا وحيدان باستثناء مجموعة من تجار المخدرات
في الجهة المقابلة من المتنزه، خلف للطعم. لكنهم لن يزعجوننا.

اعجز عن التوقف. كلما اتكلم، أدرك أنني استمع إلى نفسي
وذلك يساعدي. أقول إن السلبية تتغذى من ذاتها، إن عليه ان
يبحث عما يتيح له بعض الفرح، مثل الإبحار، أو مشاهدة الأفلام في
السينما، أو المطالعة.

لا، لا يتعلق الأمر بذلك. أتب لا تفهمين. يبدو ان اجابتي
ادهشته.

بل افهم. كل يوم تنهال علينا معلومات وصور- تعرض
مراهقات شهيدات التبج يحاولن الادعاء بأنهن راشدات في إعلان

برؤج كريمات عجائبية تُعدُّ بالجمال الخالد، وزوجين مسنين تسلفا جبل إيفيرست للاحتفال بعيد زواجهما، واجهزة تدليك من ماركات غير معروفة، وواجهات صيدليات خُشرت في خلفيتها مستحضرات التجميل، وأفلامًا تولد انطباعًا منافيا تمامًا للواقع، ومكتبًا تُعدُّ بنتائج مذهلة، ومختصين يُعطون نصائح عن السبيل إلى النجاح في الحياة أو الفوز بالسلام الداخلي. وتجعلنا هذه الأمور كلها نشعر بأننا عجزة، تجعلنا نشعر بأننا نحيا حياة مملة تفتقر إلى المغامرة فيما تترهل بشرتنا أكثر فأكثر، ونُراكم الكيلوغرامات التي تستحيل خسارتها. ومع هذا، نشعر بأننا مضطرون إلى صكبت عواطفنا ورغباتنا، لأنها لا تتناسب مع ما ندعوه «النضج».

انتقي المعلومات التي تُصغي إليها. غرِبِل ما يبلغ بصرك وسمعتك، وتقبل منها ما يرفع معنوياتك لأن لدينا حياتنا التي نعيشها يومًا بيوم لفعل ذلك. إلا تعتقد أن الأحكام تُطلق علي في العمل وتوجهني إلي الانتقادات؟ يحدث هذا في الواقع، بل يحدث كثيرًا! لكنني فُزرت أن أصغي فقط إلى الأمور التي تشجعني على أن اتحسن، الأمور التي تساعدني على تصحيح أخطائي. وبالأ، سادعي بأنني أعجز عن سماع الأمور الأخرى، أو أنني أقوم بصدّها.

جنّت إلى هنا بحثًا عن قضية معقّدة عن الزنى، والابتزاز، والفساد. لكنك أحسنت التعامل معها كلها. ألا ترى ذلك؟

من دون تفكير، اجلس من جديد، وأمسك براسه بين يديّ فلا يتفلّت مني. اقبله قبلة طويلة. يتردد أقل من ثانية، ثم يستجيب. على الفور، يحلّ محلّ ما أشعر به من عجز، وهشاشة، وإخفاق، وانعدام الأمان، شعور واحد من الانشراح العارم. بين لحظة وأخرى،

اصبحت حكيمة فجأة، استعلت الإمساك بزمام الوضع، وتجذرت
على فعل أمر كنت أتخيله فقط. غامرت في دخول أرض مجهولة،
ومباه خطيرة، مدمرة أهرامًا، ومشيئة معابد.

انا مرة أخرى سيّدة افكاري وافعالِي.

ما بدا مستحيلًا صباح اليوم، تحوّل حقيقة هذا العصر. استطيع
ان اشعر من جديد، ان احبّ شيئًا ليس ملكي. كفت الريح عن
ازعاجي وتحولت إلى بركة، كلّمسة من يد الله على وجنتي. عادت
روحي إليّ.

وفي خلال الوقت القصير الذي استغرقته القيلة بدا لي أن منات
السنوات قد مرّت. نبتعد ببطء، يُسرح نظره في عيني، وهو يداعب
شعري بحنان.

ونجد بالضبط ما كان فيهما من قبل.

الحزن.

اضف إليه التصرّف الآخرق واللامسؤول من جهتي على الأمل،
ليزيد الطين بلة.

نقضي مائة ساعة ونصف الساعة زيادة، نتحدّث في شؤون المدينة
وقاطنيها، كما لو أنّ شيئًا لم يحدث. بدونا متقاربين جدًا لدى
وصولنا إلى المتنزه. وبتلك القيلة، أصبحنا واحدًا. لكن الآن، نحن
غريبان تمامًا، نحاول الاستمرار في المحادثة قدر المستطاع لكي نتمكن
من الذهاب لكل في سبيله، من دون الشعور بكثير من الإحراج.
لم يرنا أحد. لسنا في مطعم. زواجنا بأمان.

أفكر في الاعتذار، لكنني أعلم أن لا لزوم لذلك. في النهاية، كانت مجرد قبلة.

لا يسعني ان اقول بصراحة إنني اشعر بالنصر، لكنني على الأقل
استعدت قليلاً من ضبط النفس. في المنزل، يجري كل شيء وفق
العادة، قبل ذلك كنت في حال فضيحة أما الآن، فأشعر بحال أفضل.
لا يسألني أحد عن حالي.

ساحذو حذو جاكوب كونيئش وأحدث زوجي عن حالتي
العقلية الغريبة. سوف أسر إليه أمري، وأنا متأكدة من مساعدته
لي.

من جهة أخرى، أشعر بأفضل حال اليوم، لم أفسدها بالاعتراف
بأمور لا يسعني أنا نفسي ان أفهمها؟ اواصل المعاناة. لا اعتقد ان ما
أمر به يمكن حصره بنقص في العناصر الكيميائية في جسمي، كما
قرأت عن ذلك في أحد المواقع الإلكترونية بعنوان: الحزن القسري.

لست حزينة اليوم. إنها إحدى تلك المراحل التي يمر بها الجميع.
اتذكر عندما نظم صفّي الثانوي حفلة الوداع الخاضة به، ضحكنا
ساعتين، وفي الختام، أجهشنا جميعاً في البكاء، لعلمنا بأننا كنا نفرق
إلى الأبد. دام الحزن أياماً او اسابيع، لا أذكر تماماً. لكن مجرد انني
لا اتذكر حيناً، يشير إلى أمر مهم هو ان الأمر قد انتهى. شقّ عليّ
بلوغ الثلاثين من العمر، وعلى الأرجح أنني لم أكن مهتاة له.

يصعد زوجي إلى الطابق العلوي ليضع الولدين في فراشيهما.
اسكب كاس نبيذ وأخرج إلى الحديقة.

لا يزال الطقس عاصفاً. إنها ريح نعرفها هنا تمام المعرفة،
قد تهب ثلاثة أيام، أو ستة، أو حتى تسعة. في فرنسا، وهي أكثر
رومنسية من سويسرا، تُعرف تلك الريح بريح الشمال، وتحمل معها
دوماً الطقس الساطع، البارد. أن الأوان لتنقش تلك الغيوم. سيكون
الطقس مشمساً في الغد.

لا انفك أفكر في الحادثة التي جرت في المتنزه، في تلك القبله. لا
اشعر بالندم على الإطلاق. فعلتُ أمراً لم يسبق لي فعله، وهذا بعد
ذاته ما بدأ يهدم الجدران التي تأسرني.

لا يهمني فعلاً ما يظنه جاكوب كونيشت. لا يُمكنني أن اصرف
حياتي في محاولة إرضاء الآخرين.

أجهز على كأس النبيذ وأملأها من جديد، وللمرة الأولى منذ
شهور، ينتابني شعور آخر مختلف عن الفتور والعبث.

ينزل زوجي وهو يرتدي ما يليق بسهرة، ويسألني كم سيمضي
من الوقت لأكون جاهزة. نسيْتُ أننا اتفقنا على الخروج للرقص
الليلة.

أهرع إلى الطابق العلوي. وعندما أهبط، أرى أن جليلة الأطفال
الفيليبينية قد وصلت، وفردت كتبها على امتداد الطاولة في غرفة
المعيشة. الولدان نائمان ولن يشكلاً مصدر إزعاج، لذا، تستثمر وقتها
في الدراسة. يبدو أنها تمقت التلفاز.

نحن جاهزان للمغادرة. ارتديتُ أحلى فساتيني، حتى ولو أنني
أجازف في التأنق المفرط لسهرة غير رسمية. ماذا يضورني؟ أنا في حاجة
إلى الاحتفال.

استفيق على صوت الريح تطرق النوافذ. الوم زوجي على عدم إغلاقها جيداً. أشعر بالحاجة إلى النهوض وتادية طقسي الليلي في التوجه إلى غرفة الولدين للتأكد من أن كل شيء على ما يرام. لكن، يمنعني امر ما. اهو لأنني افرطت في الشرب؟ افكر في الأمواج التي رايتها اليوم على سطح البحيرة، في الغيوم التي تبذبت الآن، في الشخص الذي كان معي. لا اذكر الكثير عن النادي الليلي، احسنا أن الموسيقى كانت مريحة، وأن الجو ممل للغاية. لم يطل بنا الامر ليعود كل منا إلى كمبيوتره.

وماذا عن كل تلك الأمور التي قلتها لجاكوب عصر اليوم؟ الا يجدر بي ان اخصص لها بعض الوقت لأفكر بها؟

هذه الغرفة تخنقني. زوجي المثالي ينام إلى جانبي، يبدو أنه لم يسمع الريح تطرق النوافذ. أتخيل جاكوب مستلقياً إلى جانب زوجته، وهو يخبرها بكل ما يشعر به (مع أنني واثقة بأنه لن يقول شيئاً عني). هو مرتاح لوجود من يساعده متى شعر بأنه وحيد. لا اصدق فعلاً ما قاله عنها - لو صح ذلك، لكانا انفصلا. في النهاية، لا اولاد لهما بقلقان عليهم!

اسأل هل ايقظته ريح الشمال هو أيضاً؟ وعم يتحنت هو وزوجته الآن؟ اين يعيشان؟ لن تصعب معرفة ذلك. استطيع ان اعرف عندما اصل إلى العمل في الغد. اسأل نفسي: هل مارسا الحب الليلة؟ هل ولجها بحرارة؟ هل تاوّهت من اللذة؟

سلوكي تجاهه مفاجيء على الدوام. الجنس الفموي، النصيحة
الرشيدة، القبلة في المتنزه. ابدو كأنني امرأة أخرى. من هذه المرأة
التي اتفصصها عندما اكون مع جاكوب؟

إنها نفسي المراهقة الاستفزازية. تلك التي كانت يوماً ثابتة
ثبات الصخر وشديدة شدة الريح التي تعكر هدوء مياه بحيرة
ليمان. غريب كيف أننا متى التقينا زملاء المدرسة القدامى، نظن
دوماً أنهم لم يتغيروا، حتى وإن تحول أضعفهم إلى قوي، وانتهى الأمر
باجملهن إلى أن تتزوج وحشاً، حتى وإن كان أكثرهم تقارباً على
ما بنا، قد تباعدوا ولم يرَ واحد منهم الآخر سنوات.

لكن مع جاكوب، على الأقل في المراحل المبكرة من الوصال، يظل
بإمكانني العودة في الزمن إلى صكوني الشابة التي لا تخشى العواقب.
إنها في السادسة عشرة، وعودة زحل، التي تحمل معها النضج، لا تزال
بعيدة.

أحاول أن انام، لكنني أعجز عن ذلك. الهضي ساعة أفكر فيه
بهوس. أتذكر جاري يغسل سيارته وكيف أنني حكمت على
حياته بأنها «عقيمة». وتشغلها أمور لا جدوى منها، مع أنها مجدية.
ربما كان يستمتع بما يفعل، يقتنص الفرصة لممارسة بعض
التمارين، واعتبار أبسط أمور الحياة بركة، لا لعنة.

هذا ما علي فعله، الاسترخاء قليلاً والاستمتاع بالحياة أكثر. لا
يسعني الكف عن التفكير في جاكوب. إنني أبدل بفرحي المفقود أمراً
محسوساً أكثر. أبدل به رجلاً لكن ليس هذا المقصود. إذا ذهبت
لرؤية طبيب نفسي، فسيقول لي إنها ليست هذه مشكلتي إطلاقاً،
بل إنه نقص في الليثيوم، ومستويات منخفضة من السيروتونين،

وغيرها وغيرها. لم يبدأ الأمر بظهور جاكوب على الساحة، ولن ينتهي برحيله.

لكنني اعجز عن نسيانه. يُكرّر ذهني لحظة القبلّة ويكرّرها. وأدرك أن لاوعي يُحوّل مشكلة خياليّة إلى مشكلة حقيقية. هذا ما يحدث دومًا. هكذا تظهر العلل.

لا أريد أن أرى ذاك الرجل بعد اليوم. هو مبعوث من الشيطان ليُزعزع ما هو هشّ بالأصل. كيف لي أن أغرم بشخص لا أعرفه؟ ومن يقول إنني مغرمة به؟ أعاني مشكلات منذ الربيع. إذا كانت الأمور على ما يرام قبل ذلك الوقت، فلا أرى سببًا لعدم رجوعها إلى حالها.

أكرّر ما قلته من قبل، إنها مجرد مرحلة.

عليّ أن أحافظ على تركيزي وأبقى بمنأى عن السلبية. ألم تكن هذه نصيحتي لجاكوب؟

عليّ أن أتخذ موقفًا حازمًا وانتظر مرور الأزمة. وإلا، أخاطر في أن أغرم فعلًا، وفي الشعور دومًا بما راودني لأقلّ من ثانية عندما تناولنا الغداء معًا للمرّة الأولى. وإن حدث ذلك، فلن تبقى الأمور محصورة بي. لا، فالمعاناة والألم سينتشران في كلّ مكان.

أظّل مستلقية على السرير اتقلب أرقًا لما بدا قرئًا من الزمن قبل أن اغفو. بعد مرور ما أحسست أنه لحظة، يوقظني زوجي. إنه يوم مشرق، السماء زرقاء، ولا تزال ريح الشمال تعصف.

يقول زوجي، «حان وقت الفطور. الأفضل ان اوقف الولدين..
اقترح ان نتبادل الأدوار مرّة: تذهب انت الى المطبخ، واجهز انا
الولدين للمدرسة.

يسأل، «هل هذا تحدّ؟ إذا كان كذلك، فسوف تتناولين أفضل
فطور تناولته منذ سنوات.

لا، ليس تحديًا، أريد فقط ان اغيّر مجرى الأمور قليلاً. اتعتقد إذا
أن الفطور الذي اعده ليس جيدًا بما يكفي؟

يقول: «اسمعي، الوقت مبكر للجدا. اسرف كلّ منا في الشرب
البارحة، والنوادي الليلية غير مخصصة لمن هم في مثل سننا. في اي
حال، انا موافق، انهبي لتجهيز الولدين للمدرسة..

يمضي قبل ان أتمكن من الرد. اتناول هاتفني الذكي واتحقق
مما عليّ فعله اليوم.

انظر إلى لائحة الارتباطات التي لا تحتمل التأجيل. كلما طالت
اللائحة، اعتبرت يومي أكثر إنتاجية. لديّ مهمات كثيرة، وهي
امور التزمّت إنجازها في اليوم السابق أو في خلال الأسبوع، لكنني لم
انجزها بعد. لهذا تطول اللائحة باستمرار، حتّى تؤثرني إلى درجة
ان اقرر محو كلّ شيء والبدء من جديد. وعند ذاك، أدرك ان لا
شيء مهمّ فيها فعلاً.

لكن ثمة أمرا لا تتضمنه، أمرا لن انساه حتماً، معرفة مكان سكن جاكوب كونيخ وقيادة سيارتي قرب منزله للحظة.

عندما انزل، تكون الطاولة مجهزة بشكل مثالي، عليها سلطة الفواكه، وزيت الزيتون، والجبن، والخبز الكامل الحبوب، واللبن الرائب، والخوخ. وعدد اليوم من الصحيفة التي أعمل لديها موضوع يحذر إلى اليسار. كفى زوجي منذ وقت طويل عن قراءة المطبوعات الورقية، ويستعمل الآن الآي-باد. يسأل ابننا البكر ما معنى «ابتزاز». لا استوعب لم يريد معرفة معناها إلى أن أرى الصفحة الأولى. ثمة صورة كبيرة لجاكوب، واحدة من صور كثيرة لا بد أنه أرسلها إلى الصحافة. يبدو مستغرقاً في التفكير، متأملاً. إلى جانب الصورة، عنوان رئيس عريض، «النائب يعلن عن محاولة ابتزاز».

لم اكتب المقالة. في الواقع، عندما كنت مجتمعة بجاكوب، هاتفني رئيس التحرير ليقول لي إن بإمكانني إلغاء الاجتماع لأنهم تلقوا بلاغاً من وزارة المالية، وأنهم يعملون على القضية. أشرح أن الاجتماع سبق أن بنا، وأنه حدث بأسرع ما توقعت ومن دون الحاجة إلى «التكتيكات العهودة». أرسلت عندئذٍ إلى محلّة قريبة (تعتبر «مدينة، وفيها محافظ) حيث ضبط محلّ بقالة فيها يبيع طعاماً انتهت مدّة صلاحيته. كلّمْتُ مالك المحلّ، والجيران، واصدقاء الجيران، وهو أمر أنا على ثقة بأنه شكّل مقالة أكثر إثارة لاهتمام القراء من أمر فضيحة سياسية ما. كما أنه وُضع على الصفحة الأولى، لكن من دون إبراز العنوان. «تغريم محلّ بقالة ولا بلاغات عن تسمّم بالطعام».

تكدّرني رؤية صورة جاكوب على مائدة الفطور امامنا.

اقول لزوجي ان علينا ان نتحدث الليلة.

يقول: ،يمكننا ترك الولدين مع والدتي والنهاب لتناول العشاء في مكان ما، انا وانت فقط. احتاج إلى قضاء بعض الوقت معك ايضاً، وحدنا من دون موسيقا مريضة تدوي في آذاننا. كيف يُحتمل ان تروق هذه الموسيقا الناس؟.

كان ذلك صبيحة يوم ربيعي .

كنت أجلس في إحدى زوايا الملعب المقفر في العادة، وأتأمل
سور المدرسة المكسو بالطوب. عرفت أنني لست على ما يرام.
اعتقد كل الأولاد الآخرين أنني كنت أتصرف أفضل منهم،
ولم أحاول يوماً إنكار ذلك. على العكس. كنت أدفع والدتي على
الدوام إلى شراء ملابس باهظة الثمن لي واصطحابي إلى المدرسة في
سيارتها الأجنبية الفارهة.

لكن ذلك اليوم في الملعب، أدركت أنني كنت وحيدة، وأنني قد
أبقي وحيدة طوال حياتي. مع أنني كنت لا أزال في الثامنة. بدا
الأمر وكأن الفرصة قد فاتتني لكي اتغير وأبرهن للأولاد الباقين
أنني مثلهم تماماً.

الزمن الآن، زمن صيف.

كنت في المرحلة الثانوية، وكان الفتیان يغازلونني على
الدوام، مهما حاولت إبعادهم. كان الحسد يتقد في ضلوع الفتيات
الأخريات، لكنهن كنّ يدعين عكس ذلك، وكنّ يتحلقن حولي

الأفضل أن أحافظ على حس من الغموض مع نفحة من اللذات البعيدة المنال.

في طريقي إلى المنزل، لاحظت وجود بعض الفطر الذي نبت بعد المطر. كان في حال ممتازة، لأن الجميع كان يعرف أنه سام. مز ببالي مروراً خاطفاً أن أكله. لم أكن أشعر بالحزن أو بالسعادة تحديناً، كل ما أردته هو لفت انتباه والدي. لم أكل الفطر.

هذا اليوم، هو اليوم الأول من الخريف، أحلى فصول السنة. قريباً ستبدل الأوراق لونها وستختلف كل شجرة عن الأخرى. في الطريق إلى موقف السيارات، أقرر أن أتخذ طريقاً مختلفاً قليلاً.

أتوقف أمام المدرسة التي تلقيت دروسي فيها. لا يزال السور المكسو بالطوب في مكانه. لم يتغير شيء، باستثناء أنني لم أعد وحيدة. في بالي رجلان، رجل لن يكون لي يوماً، ورجل سأتناول معه العشاء الليلة في مكان مميز، مُنتقى بعناية.

يعبر السماء عصفوراً، يلعب الريح. يطير جينةً وذهاباً، يرتفع وينخفض، تخضع تحركاته لمنطق لا يسعني فهمه. ربما كان منطقاً الوحيد هو منطق اللهو.

لست عصفوراً. لا يمكنني صرف حياتي في اللعب كثير من أصدقائنا، الذين يملكون من المال أقل مما نملك، لكنهم يقضون على ما يبدو حياتهم كلها في السفر أو ارتياد المطاعم. حاولت أن أكون هكذا، لكنني أعجز عن ذلك. بفضل نفوذ زوجي، تمكنت من الحصول على الوظيفة التي أشغلها الآن. أعمل، أملأ وقتي، أشعر بأنني فاعلة وقادرة على تبرير وجودي. ذات يوم، سيفتخر ولداي

بوالدتهما، وستصاب صديقات طفولتي بأشد ما عرفته من إحباط،
لأنني تمكّنت من بناء شيء محسوس، في حين أنهن كرسن ذواتهن
لتدبير شؤون المنزل، ورعاية أولادهن، وأزواجهن.

ربما كن لا يشعرن بهذه الحاجة إلى التأثير في أشخاص آخرين.
أنا أشعر بها، ولا يسعني صدها، لأن تأثيرها في حياتي كان فاعلاً،
فكان يسيرني. ما دمت لا أجازف مجازفة غير ضرورية. ما دمت
أتمكّن من صون عالمي تماماً كما هو اليوم.

حالما أصل إلى المكتب، أبحث في أرشيف الحكومة الرقمي. يستغرق
الأمر أقل من دقيقة للعثور على عنوان جاكوب كونيشت، إضافة
إلى معلومات عن دخله، ومكان دراسته، واسم زوجته، ومكان عملها.

اختار زوجي مطعمًا يقع في منتصف الطريق بين مكتبي
ومنزلنا. سبق أن ذهبنا إليه. يروّقي طعامه ونبيذه وجوّه، لكنني
أشعر دومًا بأن تناول الطعام في المنزل أفضل. أتعشى في الخارج فقط
عندما تستدعي حياتي الاجتماعية ذلك، وأتجنب الأمر متى كان
بإمكانني. أحبّ الطهو. أحبّ أن أكون مع أسرتي، والشعور بأنني
حامية ومحمية في آن.

من المهمات التي ليست على لائحة واجباتي هذا الصباح، القيادة
قرب منزل جاكوب كونيّش.. تمكّنت من مقاومة النزوة. لديّ
ما يكفي من المشكلات الخيالية لإضافة مشكلة الحبّ الأحادي
الطرف الحقيقية إليها. انطلقت المشاعر التي انقابتني منذ زمن بعيد.
لن تتأبني مجددًا. ويمكننا الآن أن نمضي إلى مستقبل من السلام،
والأمل، والازدهار.

يقول زوجي، يقولون إنّ للمالك قد تغير، وإنّ الطعام لم يعد
جيدًا كما كان.

لا يهتم. طعام المطاعم هو ذاته على الدوام، كثير من الزبدة،
تقديم مبهرج. وبما أننا نقطن واحدة من أعلى مدن العالم، يكون
السعر مبالغ به مقابل شيء لا يستحقه في الحقيقة.

لكنّ الخروج لتناول الطعام طقس. يرحب بنا الفادل الرئيسي،
الذي يقودنا إلى طاولتنا المهددة، مع أننا لم نأب إلى هنا منذ فترة.

يسال إن كُنّا نريد النبيذ نفسه (بالطبع) ويناولنا قائمة الطعام. أقرأها من الغلاف إلى الغلاف، واختار الطبق نفسه كما في كل مرة. يؤثر زوجي خياره التقليدي، اللحم المشوي مع العدس. يأتي النادل ليبلغنا بما أعده الطاهي اليوم من أطباق مميزة، نُصغي بتهذيب، نصدر أصواتاً تعبيراً عن تقديرنا، ثم نطلب طبقينا.

لا داعي لتذوق الكأس الأولى من النبيذ وتحليله بدقة، لأننا متزوجان منذ عشر سنوات. نتجرّعه بسرعة فائقة، وسط الحديث عن العمل والتذمر من الرجل الذي كان من المفترض أن يحضر لإصلاح التدفئة المركزية ولم يفعل.

يسال زوجي، «كيف تسير كتابة مقالاتك تلك عن الانتخابات يوم الأحد المقبل؟».

كُفّت الكتابة عن مسألة أجدها وحدها مثيرة للاهتمام، هل يحقّ للناخبين التدقيق في الحياة الخاصة لرجل السياسة؟ إنه ردّ على نبا ابتزاز نيجيريين لنائب. معظم الأشخاص الذين أجريت مقابلات معهم قالوا إنهم لا يابهون. يقولون إن الأمر ليس كما في الولايات المتحدة، وإنهم فخورون بذلك.

تحدثت عن أخبار حديثة أخرى، ازدياد عدد المصوتين في الانتخابات الأخيرة للمجلس الاتحادي، السائقون العاملون في شركة النقل العام في جنيف (تي بي دجي) الذين تعبوا من عملهم مع أنهم سعداء فيه، امرأة ذهست وهي تعبر خطّ المازة، القطار الذي تعطل وعطل السير أكثر من ساعتين، وموضوعات أخرى لا جوى منها.

اسكب كأس نبيذ أخرى من دون انتظار وصول المقبلات، ومن دون سؤال زوجي كيف كان يومه. يُصغي بلباقة إلى كل ما قلته قبل قليل. لا بُدّ أنّه يتساءل لم جننا بالأصل.

تبدلين أكثر سعادة اليوم، يقولها بعد أن يكون النادل قد جلب طبقينا الأساسيين، وبعد أن أدرك أنني كنت اتحدث ثلث ساعة بلا انقطاع. يتابع: «هل حدث أمر مميز أبهجتك؟».

لو أنه طرح السؤال نفسه يوم ذهبت إلى «بارك دي زوه فيف»، لصبغ الحياء وجهي، ولتذرعت بسلسلة الذرائع التي كنت قد أعدتها. لكن اليوم كان يومًا عاديًا آخر ومملاً على الرغم من محاولة الاقتناع بأنني مهمة لهذا العالم.

«ما الذي أردت أن تحدثيني به؟».

ارتشف بعض النبيذ من كاسي الثالثة، وانهيًا لتقديم اعتراف تام. يصل النادل ويمنعني من القفز إلى الهاوية وأنا على شفيرها. نتبادل كلمات أخرى لا معنى لها، مهديرين دقائق ثمينة من حياتي على تفاصيل خاوية.

يطلب زوجي زجاجة نبيذ أخرى. يتمنى النادل لنا «ماكول الهناء»، ويذهب لإحضار الزجاجة الجديدة.

ثم ابينا.

ستقول إنني في حاجة إلى رؤية طبيب، لكنني لا احتاج إليه. أتدبر أمري تمامًا، في البيت وفي المكتب، لكنني أشعر بالحزن منذ أشهر.

«كان ممكنًا أن تخدعيني. كما قلت من فوري، تبدلين أكثر سعادة».

طبعًا. بات حزني منتظمًا حتى أن أحدًا لم يعد يلاحظه. من الجيد فعلاً أن أتمكن أخيرًا من التحدث في هذا الأمر. لكن ما سأقوله أعمق من السعادة الزائفة. لم أعد أناام جيدًا. أشعر بأنني مهووسة

بذاتي فحسب، محاولة، التأثير في الناس كما لو أنني طفلة. في أثناء استحمامي ابكي وحيدة بلا سبب. استمتعت بممارسة الحب فعلاً مرة واحدة في خلال شهور عدة، وانت تعلم المرة التي اقصدها. خلت أنني على الأرجح أمر في أزمة منتصف العمر. لكن ليس ذلك تعليلاً كافياً. اشعر وكأنني اهدر حياتي، وبأنني يوماً ما سأنظر إليها واندم على كل ما فعلت، باستثناء زواجي منك وإنجابي ولدينا.

لكن اليس هذا أكثر ما يهم؟..

يهم كثيراً من الناس، نعم. لكنه لا يكفيني. يسوء الأمر يوماً بعد يوم. عندما أنهى الأعمال المنزلية كل مساء، يدور حوار لا ينتهي في رأسي. أخشى تغير الأمور، لكن في الوقت نفسه، أتوق إلى اختبار شيء مختلف. تواصل أفكارني اجترار نفسها بجموح. أنت لا تلاحظ لأنك تكون نائماً. هل لاحظت مثلاً ريح الشمال ليلة أمس وهي تطرق النوافذ؟

لا. كانت النوافذ مغلقة..

هنا ما أقصده. حتى الريح العاصفة التي هبت آلاف المرات منذ زواجنا قادرة على إيقاظي. لاحظ كيف تبدل وضعية نومك وتكلم في أثناء النوم. لكن أرجوك، لا تعتبر الأمر شخصياً. يبدو أن أموراً لامنطقية تحيط بي. لكن، وللتوضيح، أقول: أنا أحب ولدينا. أحبك. أعشق عملي. غير أن هنا يجعلني اشعر بمزيد من السوء، لأنني اشعر بأنني لا أنصف الله، ولا الحياة، ولا أنصفك أنت.

بالكاد تناول طعاماً. كما لو أنه كان يجلس قبالة شخص غريب عنه. غير أن التفوه بهذه الكلمات منحني سلاماً عارماً. افشيت سري. للنهيد مفعوله. لم أعد وحيدة. أشكر، جاكوب كونيـش.

..اتعتقدين أنك في حاجة إلى طبيب؟..

لا أعرف. حتى لو كنت أعرف، لا أريد أن أسلك ذلك الدرب.
عليّ أن أتعلّم كيف أحلّ مشكلاتي بنفسِي.
لا بُدّ من أن الاحتفاظ بكلّ تلك العواطف لنفسك فترة طويلة
كان أمراً صعباً. أشكرك لأنك أخبرتني. لكن لم تخبريني من
قبل؟..

لأن الأمور هافت القدرة على الاحتمال الآن. كنت أفكر اليوم في
سنوات طفولتي ومراهقتي. هل جنور كلّ هذا مترسّخة هناك؟ لا
أعتقد، إلا إذا كان عقلي يكذب عليّ كلّ تلك السنوات، وأعتقد أنّه
أمر غير محتمل. اتحدّر من عائلة عادية، اكتسبت تربية عادية،
أحيا حياة عادية. ماذا دهاني؟

أقول له وأنا أبكي الآن، لم أقل شيئاً من قبل لأنني خلتُ أن الأمر
سيمرّ ولم أرد أن أفلتُك.

لست مجنونة بالتأكيد. لم لاحظ أيّاً من هذا. لم يبدُ عليك
الانزعاج بوضوح، لم تخسري من وزنك، وإذا كنت تجيدين
التحكّم بمشاعرك بهذا القدر، فإن طريق الخروج سهلة..

لم ذكر خسارة الوزن؟

يمكنني أن أطلب إلى طبيبنا أن يصف لك بعض المهدّئات
لمساعدتك على النوم. سأقول إنّها لي. أعتقد أنك، إذا نعمت بالنوم،
ستتمكنين عندئذٍ من التحكّم تدريجاً بأفكارك. ربّما كان علينا
أن نمارس التمارين الرياضية أكثر. سيحبّ الولدان ذلك. نحن
منغمسان بالعمل، وهذا سيئ..

لستُ على هذا القدر من الانشغال بعَملي. على الرغم ممّا تظنّه،

تساعدني المقالات التافهة التي اكتبها على شغل ذهني، وتُبعد عني الأفكار الجامحة التي تستولي علي عندما لا اكون منشغلة.

لكننا نحتاج فعلاً إلى ممارسة التمارين الرياضية أكثر، إلى وقت في الخارج أكثر، إلى الركض حتى نسقط من الإعياء. وربما كان علينا الإكثار من دعوة الأصدقاء..

سيكون ذلك كابوساً بحثاً الاضطرار إلى محادثة الناس واستضافتهم بابتسامة جامدة على شفتي، والاستماع إلى وجهات نظرهم حول الأوبرا وزحمة السير. ثم، ولتتويج ذلك كله، علي التنظيف بعد مغادرتهم.

فلنذهب إلى متنزه جورا الوطني نهاية هذا الأسبوع. لم نذهب إليه منذ وقت طويل..

تجري الانتخابات نهاية هذا الأسبوع. سادوم في الصحيفة.

ناكل بصمت. سبق أن جاء النادل إلى طاولتنا مرتين ليرى إن كنا قد انتهينا، لكننا لم نلمس طبقينا لئلاً. ننتهي بسرعة من زجاجة النبيذ الثانية. استطيع أن أتصور ما يدور في ذهن زوجي، كيف أساعد زوجتي؟ ماذا علي فعله لإسعادها؟.. لا شيء، لا شيء أكثر مما يفعله حالياً. لن يروفتني إن جاء إلى المنزل وبيده علبة شوكولاتة، أو باقة زهر.

نخلص إلى أنه قد احتسى كثيراً من الشراب يمنع من القيادة إلى المنزل. لذا علينا ركن السيارة في المطعم، وإحضارها في الغد. اهاتف حماتي وأسال إن كان بوسع الولدين المبيت عندها الليلة. ساحضر باكراً في الغد لأصطحبهما إلى المدرسة. لكن ما الذي تفتقدينه بالضبط في حياتك؟..

ارجوك لا تسألني هذا الجواب، لا شيء! حبذا لو كانت لدي مشكلة فعلية. لا أعرف شخصاً يعاني الأمر نفسه. حتى صديقتي، التي قضت سنوات تعاني الاكتئاب، والتي تُعالج الآن. لا أعتقد أنني في حاجة إلى ذلك، لأنني لا أعاني الأعراض التي وصفتها. كما أنني لا أريد ولوج الميدان الخطر للعقاقير المشروعة. قد يكون الناس غاضبين، متوترين، أو في حالة أسى على قلب مفطور. وفي الحالة الأخيرة، قد يظنون أنهم يعانون الاكتئاب، وأنهم في حاجة إلى الأدوية والعقاقير، لكنهم لا يحتاجون إليها. هم يعانون فقط من قلب مفطور. عرف العالم القلوب المفطورة منذ بدئه، منذ أن اكتشف الإنسان ذاك الشيء الغامض الذي يُسمى الحب.

إذا كنت لا تريد أن يعالجك طبيب، فلم لا تجربين بعض البحوث؟..

حاولت. صرفت وقتاً هائلاً أطلع فيه على مواقع إلكترونية في الطب النفسي. كرسْتُ نفسي أكثر وبجدية أكبر لليوغا. الم تلاحظ الكتب التي كنت أجلبها إلى المنزل مؤخراً؟ هل اعتقدت أنني سأتحول فجأة إلى شخص أقل أدبية وأكثر روحانية؟

لا، لا أبحث عن جواب لا يسعني إيجاده. بعد قراءة نحو عشرة كتب من تلك التي ترشدك إلى مساعدة نفسك، وجدتُ أنها تُفضي إلى طريق مسدود. تأثيرها فوري، لكنه يبطل ما إن أغلق الكتاب. إنها مجرد كلمات تصف عالماً مثاليًا لا وجود له، حتى في نظر من كتبوها.

أتشعرين بحال أفضل الآن؟..

بالطبع، لكن ليست هذه هي المشكلة. احتاج إلى معرفة المرأة التي تحولت إليها، لأنني هي. هي ليست خارجة عني.
أرى أنه يحاول يائسًا مساعدتي، لكنه تائه بقدر توهي. يواصل الحديث عن الأعراض، لكنني أقول له إنها ليست المشكلة. كل شيء عارض. أتستطيع تخيل ثقب أسود إسفنجي؟
لا..

هذا ما في الأمر.
يطمئنني بأنني سأخرج من هذا الوضع. لا يجدر بي أن أحكم على نفسي. لا يجدر بي أن ألومها. وهو إلى جانبي.
في آخر النفق نور..

أودّ تصديقك، لكنني أشعر بأن قدمي عالقتان بالأرض. لكن في هذه الأثناء، لا تقلق، سأواصل الكفاح. أنا أكافح على مدى كل هذه الشهور. عرفت أوضاعًا مشابهة من قبل، ومررت على الدوام. ذات يوم، سأستفيق ويكون كل هذا مجرد حلم بشع. أو من بذلك حقًا.

يطلب الفاتورة، يمسك بيدي، ونطلب سيارة أجرة. شيء ما تحسن. الثقة بمن تحب، تؤدي دومًا إلى نتائج جيدة.

جاكوب كونيش، ما الذي تفعله في غرفة نومي، في سريري، في كوابيسي؟ عليك ان تكون في العمل. في النهاية، لم يبق سوى ثلاثة ايام على انتخابات المجلس الاتحادي، وسبق ان اهدرت ساعات ثمينة من حملتك على تناول الغداء معي في لا بيرل دو لاك، وعلى الحديث في .پارك دي زوه فيف..

الا يكفيك هذا؟ ما الذي تفعله في احلامي؟ فعلتُ كما اقترحت بالضبط، حدثتُ زوجي، وشعرت بالحب الذي يكنه لي. وبعد ذلك، عندما مارسنا الحب بشغف يفوق ما شعرنا به منذ فترة، تبدد الشعور بان السعادة قد استوصلت من حياتي، تبدد كلياً.

ارجوك ارحل. سيكون الغد يوماً شاقاً. عليّ ان استيقظ باكراً لاصطحاب ولديّ إلى المدرسة، ثم الذهاب إلى المتجر، فالعثور على بقعة اركن فيها سيارتي، والتفكير في شيء غير اعتيادي اقله عن موضوع اعتيادي جداً هو السياسة. دعني وشأني يا جاكوب كونيش.

انا سعيدة في زواجي. وانت لا تدري ما يشغل فكري. اتمنى لو ان شخصاً إلى جانبي الليلة يقص علي قصصاً ذات نهايات سعيدة، يغني لي اغنية تجعلني اغفو. لكن لا، كل ما أفكر فيه هو انت.

انا افقد السيطرة. مرّ اسبوع على رؤيتك، لكنك لا تزال حاضراً.

إذا لم تختف، فساظطر إلى الذهاب إلى منزلك وشرب الشاي معك ومع زوجتك، لأرى بأم عيني مدى سعادتك. لأرى أن فرصتي معدومة، أنك كذبت علي عندما قلت إن في وسعك أن ترى انعكاسك علي، أنك سمحت لي وأعيًا بأن أحمل جرح تلك القبلية المجانية المرفوضة.

أمل أن تفهم. أصلي طالبة أن تفعل، لأنني أنا نفسي اعجز عن فهم ما أطلبه.

انهض، واتوجه إلى حاسوبي لأبحث في موقع جوجل بكتابة عبارة، «كيف تحصلين على زجلك». بدلاً من ذلك، اكتب كلمة «اكتئاب». علي أن أفهم ما يحدث فهماً واضحاً كلياً.

أجد موقعاً فيه استبيان للتشخيص الذاتي عنوانه «اكتشف إن كنت تعاني مشكلة نفسية». أجيب عن معظم الأسئلة بـ «لا».

النتيجة، «انت تميز في وقت عصيب، لكنك لست مكتئباً سريراً على الإطلاق. لا تحتاج إلى طبيب».

ألم يكن هذا ما قلته؟ عرفت ذلك. لست مريضة. أنا اخترع كل ذلك لمجرد شد الانتباه إلي. أو أنني أخدع نفسي، محاولة أن أضخ بعض المشكلات في حياتي بداعي التشويق؟ تستدعي المشكلات حلولاً ويمكنني أن أصرف ساعاتي، وأيامي، وأسابيعي، بحثاً عنها. في النهاية، قد تكون فكرة جيدة أن يطلب زوجي إلى طبيبنا أن يصف لي شيئاً يساعدني على النوم. لعل ضغوط العمل هي التي تؤثرني. خصوصاً أنه وقت الانتخابات. أحاول جاهدة أن أتفوق على الآخرين، في العمل كما في حياتي الشخصية، ومن الصعب إحلال التوازن بين الأمرين.

اليوم يوم السبت، عشية الانتخابات. لي صديق يقول إنه يكره نهاية الأسبوع لأن سوق الأسهم المالية تكون مغلقة وهو لا يجد سلوى أخرى.

أقنعني زوجي بأننا في حاجة إلى الخروج من المدينة. يتذرع بأن الولدين سيستمتعان برحلة قصيرة، وإن كنا لا نستطيع قضاء نهاية الأسبوع كلها لأنني سأكون في العمل يوم غد.

يطلب إليّ أن ارتدي سروال الركض. أشعر بالخرج في الخروج بهذه الهيئة، خصوصاً لزيارة «نيون»، المدينة العتيقة المجيدة التي كانت يوماً موطن الرومان والتي يسكنها الآن أقل من عشرين ألف شخص. أقول له إن سروال الركض من الثياب التي يرتديها المرء عندما يكون على مقربة من المنزل، حيث من الواضح أنه ينوي ممارسة التمارين الرياضية، لكنه يصّر.

لا أريد المجادلة، لذا أفعل ما يقول. لا أريد مجادلة أحد حول أي شيء. ليس الآن. فخير الكلام ما قلّ.

وأنا اتنزه في بلدة صغيرة على بُعد أقل من نصف ساعة، سيكون جاكوب في جولة على الناهخين، يحادث المساعدين والأصدقاء، ويشعر بالتوتر، وبقليل من الضغط، لكنه يشعر بالفرح لأن أمراً ما يحدث في حياته. ليس لاستطلاعات الآراء في سويسرا أهمية كبيرة، فهنا، تؤخذ سرية التصويت على محمل الجد، لكن يبدو أنه سيعاد انتخابه.

من المؤكد أن زوجته قضت ليلتها بلا نوم، لكن لأسباب تختلف عن أسبابي. فهي ستخطط كيف ستستقبل اصدقاءهما بعد إعلان النتيجة رسميًا. هذا الصباح، ستذهب إلى السوق في شارع دو ريف، حيث تُنصب على امتداد الأسبوع الأكشاك التي تباع الفواكه والخضر والأحبان واللحوم تمامًا خارج مصرف بوليوس بير. وواجهات محالٍ پرادا، وغوتشي، وأرماني. وسواها من ماركات كبار للصممين. تختار الأفضل من كل صنف، من دون القلق في شأن الكلفة. وقد تتركب سيارتها وتقود حتى ساتيني، لزيارة صكروم العنب التي تعتبر فخر المنطقة، وتذوق نبيذ محاصيل العنب الجديدة، واختيار ما سيسر الخبراء في أمور النبيذ الفهماء في أمور النبيذ، الذين يبلو أن زوجها واحد منهم.

ستعود إلى المنزل تعبًا، لكن سعيدة. ولكن، لم لا تُجد الأمور للمساء؟ رسميًا، لا يزال جاكوب في حملته، إلهي، تُترك الآن أن ما لديها من الجبنة أقل مما ظننت! تتركب السيارة من جديد، وتعود إلى السوق. بين مختلف الأنواع للعروضة، تختار مفخرة مقاطعة هود. من الأحبان: غروير (الأنواع الثلاثة: المخفف، وللملح، والأعلى الذي يستغرق إنضاجه من تسعة شهور إلى اثني عشر، توم هودواز (الطري والقشدي، الذي يؤكل مذبذبًا أو على حاله)، وليتيهاز (الصنوع من حليب البقر الذي يرعى في أعالي الألب ويُحضّر بالطريقة التقليدية فوق نار غلايات نحاسية توضع في الخارج).

هل يستحق الأمر دخول أحد المتاجر وشراء ثياب جديدة؟ أو سيبدو ذلك تباهاً؟ من الأفضل أن ترتدي طقم موسكينو الذي اشتريته في ميلانو عندما رافقت زوجها إلى مؤتمر حول قوانين العمل.

وما حال جاكوب؟

بهاتف زوجته كل ساعة ليسأل ان كان عليه قول هذا أو ذاك، إن كان من الأفضل زيارة هذا الشارع أو تلك المنطقة، أو إذا كانت صحيفة .تريبون دو جنيف. قد نشرت شيئاً جديداً على موقعها الإلكتروني. هو يعتمد عليها وعلى نصيحتها، يخفف من وطأة التوتر الذي يتراكم مع كل زيارة يقوم بها، ويسألها عن الاستراتيجية التي وضعها مغا، وأين عليه ان يذهب بعد ذلك.

وقد أوحى خلال حديثنا في المتنزه ان السبب الوحيد الذي يُبقيه في السياسة حرصه على الا يخيب ظنها. حتى وإن كان يكره ما يفعله، يضفي الحب على جهوده طابعاً فريداً. إذا واصل السير على دربه اللامع، سيكون رئيس الجمهورية يوماً ما. ولا شك في ان هنا لا يعني الكثير في سويسرا، لأن الرئيس يتغير كل سنة وينتخبه المجلس الاتحادي. لكن أي امرأة لا ترغب في ان تقول إن زوجها كان رئيس سويسرا، المعروفة أيضاً بالاتحاد السويسري؟

سيفتح ذلك أبواباً، ويجلب الدعوات إلى المؤتمرات في أماكن بعيدة. ستقوم شركة كبيرة بتعيينه في مجلس إدارتها. يبدو مستقبل آل كونيشت باهراً، في حين أن كل ما يقبع أمامي في هذه اللحظة بالذات هو الطريق والنزهة المرتقبة، وأنا ارتدي سروال الركض القبيح.

أول ما نفعله هو زيارة المتحف الروماني، وتسلق هضبة صغيرة لرؤية بعض الآثار. يتسابق ولدانا، وهما يضحكان. زوجي الآن على علم بكل شيء. ولهذا السبب أشعر بالارتياح. ليس عليّ أواصل الادّعاء.

فلنذهب ولنركض حول البحيرة.

مانا عن الولدين؟

يلمح زوجي رجلاً وامراته من أصدقاء العائلة يجلسان على مقعد قريب، يأكلان البوظة مع أولادهما. هل نسألهم إن كان بإمكان ولدينا الانضمام إليهم؟ يمكننا أن نشترى لهما البوظة أيضاً. يُفاجأ صديقنا برؤيتنا لكنهما يوافقان. قبل أن ننزل إلى ضفة بحيرة. ليمان. التي بدعوها كل الأجانب «بحيرة جنييف». يشترى البوظة للولدين ويطلب إليهما البقاء مع أصدقائنا ريثما نذهب للركض. يتذمّر ابني من أنه لم يجلب جهاز الآي - باد. يذهب زوجي إلى السيارة ويحضر له الجهاز التافه. من تلك اللحظة فصاعداً، ستكون الشاشة أفضل جليسة أطفال. لن يتحرّكا إلى أن يقضيا على الإرهابيين في العاب ثلاثم الراشدين أكثر من غيرهم. نبدأ بالركض. في إحدى الجهات حدائق، وفي الأخرى طيور

النورس والمراكب الشراعية التي تستفيد ما أمكن من ريح الشمال. لم تتوقف الريح عن الهبوب في اليوم الثالث، ولا في السادس. لا بُدَّ أنها تقترب من يومها التاسع، حيث ستهمد وتأخذ معها السماء الزرقاء والطقس الجميل. نركض على طول المضمار لمدة ربع ساعة. لقد نسينا «نيون» و«حري» بنا أن نرجع.

لم أمارس التمارين الرياضية منذ مدة طويلة. بعد مرور ثلث ساعة، اتوقف. أعجز عن المضي في الركض. عليّ أن أمشي بقيّة الدرب.

«بالطبع أنت قادرة على الركض!»، يقول لي زوجي مشجعاً، مهزولاً في مكانه لنألاً يفقد إيقاعه. «لا تتوقفي، تابعي الركض..»
أنحني إلى أمام، يداي على ركبتَي. قلبي يخفق بشدة، إنه ذنب كل ليالي السهد تلك. يواصل الهرولة من حولي في حلقات.

«هيا! تقدرين على ذلك! سيكون الأمر أسوأ إن توقفت. قومي بذلك من أجلي، من أجل الولدين. ليس هذا مجرّد وسيلة للتمرن، بل إنه تذكير لك بأن ثمة خطّ نهاية عليك بلوغه وعدم التقاعس عند منتصف الدرب..»

هل يقصد «حزني القسري»؟

يتوقف عن الهرولة، يمسك بيدي، ويهزّني بلطف. أنا منهكة إلى حدّ يمنعني من مواصلة الركض، ولكن أيضاً إلى حدّ يمنعني من المقاومة. أفعل ما يطلب إليّ. نركض معاً طوال الدقائق العشر المتبقية.

أمر بجانب لوحات إعلانيّة للمرشحين للختلفين للمجلس

الاتحادي، والتي لم لاحظها من قبل. من بين الصور صورة لجاكوب
مكونيش، يبتسم فيها للكاميرا.

اركض على نحو أسرع. يُفاجأ زوجي ويسرع. نصل في غضون
سبع دقائق بدلاً من عشر. لم يتحرك الولدان. على الرغم من جمال
ما يحيط بنا، الجبال، طيور النورس، جبال الألب في البعيد. أعينهم
مسفرة على شاشة تلك الآلة التي توهن الروح.

يتوجه زوجي إليهما، لكنني أواصل الركض. يراقبني، متفاجئاً
لكن سعيداً. لا بد أنه يخال كلماته مؤثرة وانها تملأ جسمي
بالإندورفين الذي يجري في دمنا كلما قمنا بتمرين رياضي
مكثف قليلاً مثل الركض أو بلوغ الذروة الجنسية. من التأثيرات
الأساسية للهرمونات تحسين مزاجنا، وتقوية جهازنا المناعي، وتأخير
الشيخوخة المبكرة، غير أنها، فوق كل شيء، تولد فينا شعوراً من
البهجة العارمة واللذة.

لكن، ليس هذا ما يفعله الإندورفين بي. فقط يمنحني القوة
للمضي، للركض بعيداً بعد الأفق والتخلي عن كل شيء خلفي.
لم علي ولدي أن يكونا على هذا القدر من الروعة؟ لم كان علي أن
التقي زوجي وأغرم به؟ لو لم التقه، لكنت امرأة حرة الآن.

أنا مجنونة. علي أن أركض مباشرة إلى اقرب مستشفى
للأمراض العقلية، لأن افكاري من النوع الذي لا ينبغي له أن يخطر
ببال أي شخص. لكنني أواظب على مثل هذا التفكير.

اركض بضع دقائق إضافية، ثم اعود. في منتصف الطريق،
يرعبني احتمال أن تتحقق أمنية حريتي، والآن أجد أحداً لدى وصولي
إلى المنزل في نيو.

لكن، ها هم، الولدان يبتسمان لوالديهما والزوج لزوجته.
اعانقهم جميعًا. أنا متعزقة. وجسمي وعقلي متسخان، لكن،
اعانقهم بشدة. على الرغم مما أشعر به، أو بالأحرى، مما لا أشعر
به.

أنت لا تختار حياتك، هي تختارك. لا جدوى من السؤال: لم خُصصت لك الحياة افراحاً أو اتراحاً معينة؟ عليك ان تتقبلها وتمضي.

مع ان اختيار حياتنا غير ممكن، يمكننا ان نقرر ما نفعله بالأفراح أو الأتراح التي منحتنا إياها.

عصر ذاك الأحد، اكون في مقر الاحتفال أؤدي واجبي المهني. تدبرْتُ إقناع مديري بذلك، والآن احاول الاقتناع به. إنها السادسة إلا ربعا والناس يحتفلون. بخلاف تخیلاتي المحمومة، لن يُقيم أي من المرشحين حفل استقبال، ولذا لن تسنح لي فرصة الذهاب إلى منزل جاكوب وماريان كونيـش.

عندما اصل، تكون النتائج الأولى قد وصلت للتو. صوت أكثر من خمسة واربعين بالمنة من الناخبين، وهو رقم قياسي. حلت مرشحة أنثى في المرتبة الأولى، وحل جاكوب في الثالثة بشكل مشرف، ما سيمنحه الحق في دخول الحكومة إن اختاره حزبه.

القاعة الرئيسية مزينة ببالونات صفراء وخضراء. سبق ان بدأ الناس بالشرب، والبعض يرفع إشارة النصر، أملين ان تظهر صورهم في الصحيفة غداً. لكن المصورين لم يصلوا بعد، في النهاية، إنه الأحد، والطقس جميل.

يلمحني جاكوب من فوره، وسرعان ما يُشبح بتظيره عني،
باحثًا عن شخص آخر يمكنه محادثته في أمور لا بُدَّ من أنها، حسبما
اتصوّر، مملة إلى أبعد حدّ.

عليّ أن أعمل، أو ادّعي ذلك على الأقلّ. اتناول مسجّلاتي الرقمية،
ودفترًا، وقلّما ذا طرف لبادي. أمشي ذهائبًا وإيابًا، أجمع تصاريح
من نوع «الآن يمكننا أن نسير في إجراءات إقرار قانون الهجرة ذلك،
أو «أدرك النخبون أنهم اتّخذوا القرار الخاطيء المرّة للماضية والآن
صوّتوا لصالح عودتي».

تقول الفائزة: «الأصوات الأنثوية هي التي كانت تعينني في
الحقيقة».

نصبت «ليمان بلو»، محطة التلفزيون المحلية، استديو في الغرفة
الأساسية، وتقوم المقدمة السياسية العاملة فيها - والتي تثير شهوة
تسعة رجال من اصل عشرة هنا - بطرح اسئلة ذكية، لكنها تحصل
على الأجزاء السليمة فقط التي يوافق عليها معاونون السياسيون.

في لحظة من اللحظات، يُستدعى جاكوب كونيّش لإجراء
مقابلة معه، وأحاول الاقتراب لأسمع ما يقول. يعترض أحدهم
طريقي.

«مرحبًا، أنا مدام كونيّش. حدثني جاكوب كثيرًا عنك».

يا لها من امرأة! شقراء، زرقاء العينين، وترتدي سترة خفيفة
أنيقة مع وشاح هيرمس، الماركة للشهرة الوحيدة التي يمكنني
رصدها. لا بُدَّ أن ملابسها الأخرى قد ضُفمت لها خصيصًا، صمّمها
أفضل الخياطين في باريس، ولذا يجب الإبقاء على اسمه سرًا حتى لا
تقلّد تصاميمه.

أحاول ألا أبـدو متفاجئة.

حدثك جاكوب عني؟ أجريت مقابلة معه بالفعل، وبعد أيام قليلة، تناولنا الغداء. اعرف أنه لا يفترض بالصحافيين أن يكونوا رأيًا عمن يقابلونهم، لكنني اعتقد أن زوجك رجل شجاع إذ صرح علنًا عن محاول الابتزاز تلك.

تدعي ماريان - أو مدام كونيـش كما عزفت بنفسها- أنها مهتمة بما أقول. لا بد أنها تعرف أكثر مما تُظهر معرفته. هل يعقل أن يخبرها جاكوب عما حدث في خلال اجتماعنا في . يارك دي زوه قيف،؟ هل علي ذكره؟

بدأت المقابلة مع ،ليمان بلو، الآن. لكن لا يبدو أنها مهتمة بما يقوله زوجها. على الأرجح أنها تعرفه عن ظهر قلب في أي حال. من المؤكد أنها هي التي اختارت له قميصه الأزرق السماوي، وربطة العنق الرمادية، وسترته الجميلة التصميم المصنوعة من الصوف الناعم، والساعة التي يرتديها - ليست باهظة الثمن كثيرًا، حتى لا يبدو بمظهر المتباهي، ولكنها ليست رخيصة أيضًا، لإظهار ما يجب من الاحترام لإحدى شركات الساعات الأساسية في البلاد.

أسأل إن كان لديها ما تقوله. تقول إنها بصفتها استاذة فلسفة مساعدة في جامعة جنيف، يسرها التعليق، لكن بصفتها زوجة سياسي أعيد انتخابه، سيكون من السخف أن تعلق.

يبدو لي أنها تستفزني، لذا أقرر أن أرد لها الصاع صاعين.

أقول إنني معجبة بكبريائها. وإنها عرفت أن زوجها كان على علاقة غرامية بـزوجة صديق، ومع هذا لم تُبـر فضيحة. ولا حتى عندما نشر الأمر في الصحف قبيل الانتخابات.

، بالطبع لا. أنا أؤيد العلاقات المفتوحة عندما تنطوي على جنس رضائي يخلو من الحب.

أهي تلمح إلى شيء؟ لا يسعني النظر مباشرة إلى الفنارين الزرقاوين، عينيها. لاحظ فقط أن تبرجها خفيف. هي لا تحتاج إليه أصلاً.

تقول، في الواقع، كانت فكرتي أن نكلف مخبراً مجهولاً يُبلغ الصحف في الأسبوع السابق للانتخابات. سرعان ما سينسى الناس الخيانة الزوجية، لكنهم سيتذكرون دوماً شجاعته في استنكار الفساد مع أنه كان يُمكن للأمر أن يعود على حياته العائلية بانعكاسات خطيرة.

تضحك إزاء الجزء الأخير وتقول لي إن ما تقوله يجب ألا يُدون في المحضر، بالطبع، ولا يُنشر قطعاً.

أقول إنه بحسب أحكام الصحافة، على الناس أن يطلبوا ألا يُدون شيء في المحضر، قبل أن يتكلموا. يُمكن للصحافي عندئذٍ أن يوافق أو أن يرفض. لكن أن يُطلب ذلك بعد الكلام هو كمثل محاولة إيقاف ورقة سقطت في النهر، وبنات تجري حينما تختار المياه أخذها. لم يعد القرار قرار الورقة.

لكنك لن تكزري الكلام، أليس كذلك؟ أنا واثقة بأنك غير مهتمة ولو قليلاً بتشويه سمعة زوجي.

قبل انقضاء خمس دقائق على المحادثة، تظهر العداوة واضحة بيننا. لشعوري بالخرج، أوافق على أن أقوالها لن تُدون في المحضر.. وتقول إنها في أي فرصة مستقبلية مشابهة، سوف تسال أولاً. هي تتعلم شيئاً جديداً كل دقيقة. تقترب وتقترب من طموحها كل

بقيقة. نعم، طموحها، لأن جاكوب قال إنه غير سعيد في الحياة التي يعيشها.

هي تحدّق إليّ. أقرّر ان استأنف دوري كصحافية واسأل إن كان لديها ما تضيفه. هل نظّمت حفلة في المنزل للأصدقاء المقربين؟ بالطبع لا! تخيلي مدى العمل الشاق الذي يستدعيه ذلك، ناهيك بأنه قد انتُخب من قبل. فالحفلات ودعوات العشاء تتم قبل الانتخابات، لاستدراج الأصوات..

من جديد، اشعر بانني مخبولة كلياً، لكن عليّ أن أطرح سؤالاً واحداً آخر على الأقل،

هل جاكوب سعيد؟

واعرف أنني أصبّت الهدف. ترمقني مدام كونيّش بنظرة متعالية وتُجيب ببطء، كما لو أنّها معلّمة تُعطيني درساً، بالطبع. لماذا، بحق السماء، لا يكون سعيداً؟..

تستحقّ هذه المرأة أن تجرّ وتقطع أوصالها.

تقاطع كلتانا في الوقت نفسه. يقاطعني أحد المساعدين لتعريفني بالفائزة، ويقاطعها أحد معارفها لتقديم تهنئة إليها. أقول إن لقاءها سزني واشعر برغبة في القول إنني أودّ، في فرصة أخرى، أن اتعمّق في قصدها من الجنس بالتراضي مع زوجة صديق، مع تأكيد، عدم تدوين ذلك في المحضر، طبعاً، لكن لا يُتاح لي الوقت. اعطيها بطاقة العمل التعريفية الخاصة بي في حال احتياجها إلى الاتصال بي، لكنّها لا تبادلني الأمر. وقبل أن أبتعد، تمسك بذراعي، على مرأى المساعد والرجل الذي حضر ليهنئها على فوز زوجها، وتقول:

لقد رايت تلك الصديقة المشتركة والتي تناولت الغداء مع زوجي. اشعر بالأسف الشديد حيالها. تدّعي القوة، لكنّها في الواقع هشة جدًا. تدّعي الثقة، لكنّها تصرف كلّ وقتها وهي تسال نفسها عن ظن الناس بها وبعملها. لا بُدّ أنّها إنسانة وحيدة جدًا. كما تعلمين يا عزيزتي، نحن النسوة نملك حاسة سادسة فذة متى تعلّق الأمر بكشف أي شخص يشكّل تهديدًا لعلاقتنا. ألا توافقينني الرأي؟..
القول بالطبع، برودة تامة. يبدو المساعد نافذ الصبر. الفائزة بالانتخابات تنتظرني.
تختم ماريان، لكنّ فرصتها معلومة..
نمّ تمدّ يدها، التي اصافحها كما يجب، وتذهب، من دون ان تقول أي كلمة اخرى.

أصرف صباح الإثنين باكملة وأنا أحاول الاتصال بجاكوب عبر هاتفه المحمول الشخصي. أعجز عن ذلك. أفعل خدمة الحظر على رقمه، مفترضة أنه فعل الأمر نفسه برقمي. أحاول الاتصال به مجددًا، لكنني لا أوفق.

أتصل بمعاونيه. يُقال لي إنه شديد الانشغال بعد الانتخابات. ولكنني أحتاج إلى مكالمته. استمر في المحاولة.

اتبني استراتيجية غالبًا ما يتعين علي اللجوء إليها، أستعمل هاتف شخص آخر لا يكون رقمه على لائحة معارفه.

يرن الهاتف مرتين، ويرد جاكوب.

هذه أنا. علي أن أراك. الأمر طارئ.

يجيب جاكوب بتهنيب، ويقول إن اللقاء مستحيل اليوم، لكنه سيعاود الاتصال بي. يسأل،
«هذا رقمك الجديد؟».

لا، استعرت الهاتف من أحدهم لأنك لم تكن تردّ على اتصالاتي. يضحك. أتصور أنه محاط بالناس. هو يجيد الادّعاء بأنه يتكلم في أمر شرعي تمامًا.

التقط أحدهم صورة لنا في المتنزه ويحاول ابتزازي. أقول له ذلك كذبًا. سأقول إن النذب كله ذنبك، إنك انت من شلني إليه.

ستخيب ظن الذين انتخبوك واعتقدوا أن علاقتك الغرامية المؤخرة خارج الزواج كانت وحيدة وعابرة. قد تكون قد انتُخبت عضواً في المجلس الاتحادي، لكنك قد تفوت فرصة أن تصبح وزيراً.
هل انت بخير؟..

أقول نعم، وانهي المكالمة فقط بعد الطلب إليه أن يرسل إلي رسالة نصية يؤكد منها مكان لقائنا في الغد وزمانه.
أشعر أنني بخير.

لم لا أكون كذلك؟ حصلت أخيراً على ما يملأ حياتي المملة.
ولن تملأ ليالي سهدي أفكار مجنونة، الآن أعرف ما أريده. لديّ عبوة أدمرها وهدف أحققه.
إنه رجل.

ليس الحب (أو هو كذلك؟)، لكن لا يهم. حُبّي ملكي وأنا حرة في أن أقدمه إلى من أختار، حتى وإن كان أحادي الطرف. بالطبع، سيكون رائعاً لو كان متبادلاً، لكن ما المهم إن لم يكن كذلك. لن أتوانى عن حفر هذه الحفرة، لأنني أعرف أن الماء يجري تحتها.
مياه عذبة.

تسرّني الفكرة الأخيرة، أنا حرة في أن أحب أي شخص في العالم. يمكنني أن أقرر من يكون من دون طلب الإذن. كثيرون هم الرجال الذين وقعوا في حُبّي ماضياً ولم أبادلهم إياه. ومع هذا، ظلّوا يرسلون إليّ الهدايا، يتودّدون إليّ، يقبلون المذلة أمام الأصدقاء. ولم يغضبوا يوماً.

كأما راوني، تفرقت عيونهم ببريق الغزو الفاشل. سيواظبون على المحاولة بقية حياتهم.

إذا كان باستطاعتهم فعل ذلك، فلم لا أفعله أيضاً؟ من المشوق الكفاح من أجل حب من طرف واحد تماماً.

قد يخلو من المتعة. قد يترك ندبات عميقة ودائمة. لكنه مشوق، خصوصاً لإنسانة تخشى، منذ سنوات، ركوب المخاطر. وبدأ يربعها احتمال أن تتغير الأمور من دون أن تتمكن من السيطرة عليها.

لن اكبت مشاعري بعد الآن. هذا التحدي خلاصي.

منذ ستة أشهر، اشترينا غسالة ثياب جديدة واضطررنا إلى تغيير التمديدات في غرفة الغسيل. وكذلك تغيير البلاط، ودهن الجدران. في النهاية، بدت أجمل بكثير من المطبخ.

ومنعاً لأي تباين فاضح، اضطررنا إلى تغيير المطبخ. ثم لاحظنا أن غرفة المعيشة بدت قديمة وباهتة. لذا جندنا غرفة المعيشة، التي بدت عند ذلك أبهى من غرفة المكتب الذي لم نلمس قطعة فيه منذ عشر سنوات. لذا، انتقلنا إلى العمل على غرفة المكتب. تدريجاً، انتشر التجديد في أنحاء البيت كله.

أمل ألا يحدث الأمر نفسه لحياتي. أمل ألا تؤول الأمور الصغيرة إلى تحولات هائلة.

أصرف وقتاً طويلاً جداً أفتش فيه عن مزيد من المعلومات المتعلقة بماريان، أو مدام كونيشت، كما تدعو نفسها. وُلدت في كنف أسرة ثرية، شريكة في إحدى أكبر شركات تصنيع الأدوية في العالم. في الصور على الإنترنت، تبدو دوماً بالغة الأناقة، سواء أكانت في حدث اجتماعي أو رياضي. لا تتأنق أكثر أو أقل مما تستدعيه المناسبة. لن تلبس يوماً سروال ركض للذهاب إلى «نيون» أو فستان فيرساتشي لارتياح نادٍ ليلي مليء بالشباب، كما فعلت.

من المحتمل أنها المرأة المحسودة أكثر من غيرها في جنيف وحواليها. فهي ليست وارثة ثروة فحسب، بل هي متزوجة من سياسي واعد، ولها مسيرتها المهنية الخاضعة أيضاً بوصفها جامعية مساعدة في مادة الفلسفة. كتبت أطروحتين لشهادة الدكتوراه، إحداهما «سرعة التأثر والذهان لدى المتقاعدين» (صادرة عن «إديسيون أونيفرسيتيه دو جنيف»). ولها مقالان منشوران في الدورية العالية الشأن «ليه رانكونتر»، حيث ظهر بين صفحاتها، أدورنو وبياجيه من بين آخرين. لديها صفحة خاصة بها على موقع «ويكيبيديا» بنسخته الفرنسية، مع أنها لا تحدث غالباً. توصف فيها بأنها «خبيرة في شؤون العدائية، والفزع، والمضايقات في دور الرعاية في القسم الناطق بالفرنسية في سويسرا».

لا بُدَّ أنَّها على دراية عميقة بعذابات الإنسان ونشواته. عميقة جداً حتى إن ممارسة زوجها، الجنس بالتراضي، لم يصددها.

لا بُدَّ أنَّها مخططة استراتيجيّة المعية لكي تنجح في إقناع صحيفة سائدة بأن تصدّقها، هي المُخبر المجهول الهوية. (في العادة، هؤلاء لا يؤخذون على محمل الجد أبداً. ثم إنهم نادرون في سويسرا). اشكّ في أنَّها عرّفت بنفسها على أنها مصدر.

إنَّها إنسانة متلاعبة استطاعت تحويل شيء كان بإمكانه أن يدمّر مسيرة زوجها المهنية، إلى عبرة في التسامح الزوجي والاتحاد، وكذلك الكفاح ضد الفساد.

إنَّها رؤيوية وذكية بما يكفي للانتظار قبل إغجاب الأولاد. لا يزال لديها وقت. في هذه الأثناء، يمكنها أن تبني المسيرة المهنية التي تريد من دون أن يزعجها بكاء الأطفال في منتصف الليل أو الجيران الذين يقولون إنَّ عليها أن تتخلّى عن عملها وتوجيه مزيد من الاهتمام إلى الأولاد (كما يقول جيراني).

لديها حسّ غريزي ممتاز، ولا تراني اشكّل تهديداً لها. على الرغم من المظاهر فإنني الشخص الوحيد الذي يشكل خطراً عليّ. هي بالضبط نوع المرأة الذي أودّ تدميره بلا شفقة.

لأنَّها ليست بانسة فقيرة ما، لا تحمل ترخيص إقامة وتستيقظ في الخامسة فجراً لكي تنتقل إلى المدينة، مرعوبة من أن يكشف أمرها ذات يوم باعتبارها غير شرعية. لأنَّها ليست امرأة مرفهة ومتزوجة من شخصية رسمية رفيعة المقام في الأمم المتحدة، تُشاهد على الدوام في حفلات لتُظهر للعالم كم هي ثرية وسعيدة (مع أن الكل يعلم أن لزوجها عشيقَة تصغرها بعشر سنوات). ولأنَّها ليست عشيقَة



توصيل مجاني

استبدال مجاني

ماركات أصلية

دفع عند الإستلام

شُط نَسَائِيَّة من أشهر الماركات العالمية المميّزة

توصيل مجاني لباب بيتك

منتجات أصلية **100%**

تخفيضات كبيرة وعروض مميزة
وسائل دفع متعددة منها الدفع عند الإستلام

استبدال مجاني خلال **14** يوم

أكبر موقع للتسوق في

الشرق الأوسط

أضغطي هنا للدخول على موقعنا والتعرف

على منتجاتنا المميزة

شخصية رسمية رفيعة القام في الأمم المتحدة، حيث تعمل، وحيث
مهما حاولت جاهدة، فلن يُعترف بجهودها يوماً لأنها، على علاقة
غرامية بالمدير..

هي ليست رئيسة تنفيذية وحيدة وناهضة اضطرت إلى الانتقال
إلى جنيف لكي تكون على مقربة من المقر الرئيس لمنظمة التجارة
العالمية، حيث يتعرض الجميع للتحرش الجنسي في مكان العمل، إلى
حدّ خطير لا يجرؤ أحد معه على النظر في عين الآخر. وفي الليل،
هي لا تستلقي محذقة إلى سقف القصر الذي استأجرته، مُستاجرة
أحياناً مرافقاً ليلها ونفسها أنها ستصرف باقي حياتها من دون
زوج ولا أولاد ولا حبيب.

لا، ماريان لا تُصنّف في أي من تلك الفئات. فهي المرأة الكاملة.

انام بصورة افضل. سالتقي جاكوب قبل نهاية الاسبوع، هنا على الأقل ما وعدني به، واشك في أنه سيتحلى بالشجاعة لتغيير رايه. بدا عصبياً في اثناء محادثتنا الهاتفية يوم الإثنين.

يعتقد زوجي أن السبت الذي قضيناه في نيون أفادني. هو لا يدري أنني هناك اكتشفت ما يكدرني حقاً، الافتقار إلى الشغف والمغامرة.

من الأعراض التي لاحظتها على ذاتي نوع من قصر النظر النفسي. عالمي، الذي بدا يوماً واسعاً جداً ومليئاً بالاحتمالات، بدا ينكمش فيما كبرت حاجتي إلى الأمان. لم ذلك؟ لا بد أنها صفة ورثناها من أسلافنا الذين عاشوا في الكهوف. المجموعات تؤمن الحماية، أما المنفردون، فيموتون.

على الرغم من علمنا أن المجموعة تعجز عن التحكم بكل شيء- مثل تساقط شعرك أو خلية في جسمك تجنّ فجأة وتتحول إلى ورم- فإن شعور الأمان الزائف ينسينا هذا. كلما اتضحت لنا أسوار حياتنا، كان ذلك افضل. حتى لو كان مجرد سور نفسياني، حتى لو كنا في الصميم نعلم أن الموت سيدخل من دون طرق الباب، فمن المريح ان ندعي أن كل شيء تحت سيطرتنا.

مؤخراً، كان ذهني هائجاً وعاصفاً كالبحر. عندما استعيد ذلك الآن، يبدو لي كأنني أقوم برحلة عبر المحيط في عوامة بدائية،

في خضم بحر مائج. هل سانجوجو؟ أسأل نفسي ما دامت العودة
مستحيلة.

طبعاً سانجوجو.

سبق أن نجوت من عواصف. كما أنني وضعت لائحة بالأمور
التي علي التركيز بها كلما شعرت بأنني في خطر ان اهوي من
جديد في الثقب الأسود،

- اللعب مع ولدي، وقراءة حكايات لهما تزودهما وتزودني بعبرة،
لأن الحكايات خالدة.

- رفع بصري إلى السماء.

- شرب الكثير من المياه المعدنية. قد يبدو الأمر تافهاً، لكنها
تنعشني دوماً.

- الطهو. الطهو أجمل الفنون وأكثرها كمالاً. هي تُشرك
حواسنا الخمس، إضافة إلى أمر آخر - الحاجة إلى ان نعطي أفضل ما
عندنا. هي علاجي المفضل.

- كتابة لائحة بالتذمرات. كان هذا اكتشافاً حقيقياً! كلما
شعرت بالغضب حيال شيء ما، قمت بالتعبير عن ذلك كتابة. في
نهاية اليوم، عندما أقرأ اللائحة، أدرك أنني غضبت سدى.

- الابتسام، حتى إن كنت أشعر برغبة في البكاء. هذه أصعب
النقاط في لائحتي لكنك تالفها مع مرور الوقت. يقول البوذيون إن
الابتسامة الجامدة، مهما تكن مصطنعة، تُبهج الروح.

- الاستحمام مرتين في اليوم، بدلاً من مرة. الاستحمام يجفف
البشرة بسبب الماء الكلسية والكلور، لكنه نافع، لأنه يغسل الروح.

لكن ذلك ينجح الآن، فقط لأن لي هدفاً، ان أفوز بقلب رجل. انا
نمرة مطوّفة ولا مجال لي للهرب، الهجوم هو الخيار الوحيد المتبقي لي.

أخيراً حصل على موعد: غداً عند الثالثة بعد الظهر في مطعم نادي غولف جنيف في «كولوني». كان ممكناً أن يكون اللقاء في مقهى في المدينة أو مشرب في أحد الشوارع التي تتفرع من الشارع التجاري الرئيس في المدينة (ويمكن القول إنه الشارع الوحيد)، لكنه اختار المطعم في نادي الغولف.

في قلب فترة ما بعد الظهر.

لأن المطعم، في تلك الساعة، سيكون فارغاً وسنحظى بخصوصية أكبر. عليّ أن أخلق ذريعة جيدة لدير، لكن لا مشكلة في ذلك. في النهاية، فإن المقالة التي كتبتها عن الانتخابات اعتمدتها صحف أخرى عدة.

مكان بعيد عن الأنظار، هكذا فكر على ما يبدو. لكن بالنظر إلى هُوسي المعهود في تصديق ما أريده، أراه رومانياً لَوْن الخريف الشجر بظلال ذهبية كثيرة، وقد ادعو جاكوب إلى التمشي. أفكر أفضل وأنا أتحرّك، خصوصاً عندما أركض، كما ثبت الأمر في «نيون»، لكنني أشكّ جداً في أننا قد نركض ولو خطوة.

ها، ها، ها.

الليلة عند العشاء تناولنا الجبنة المذوّبة التي نسفها نحن السويسريين «راكليت»، ترافقها شرائح رقيقة من لحم الثور النيء

وطبق بطاطس، الروستي التقليدي مع الكريما. سألت عائلتي إن كنا نحتمي بأمر مميز، وقلت إن هذا صحيح، فبمجرد أن نكون معاً ويمكننا أن نستمتع بعشاء هادئ والواحد منا بصحبة الآخر فهذا احتفال. ثم استحمت مرة ثانية اليوم، وسمحت للماء بأن يغسل قلقي. بعدها، دهنت نفسي بكثير من الكريم المرطب وتوجهت إلى غرفة ولدي لأقرا لهما حكاية. وجبتهما ملتصقين بجهازيهما اللوحيين. أرى أن من الضروري منع اقتناء هذا الجهاز لمن هم دون الخامسة عشرة من العمر.

طلبت إليهما أن يطفئا جهازيهما، وإطاعا على كره. تناولت كتاباً من الحكايات التقليديّة، فتحتة عشوائياً، وبدأت بالقراءة. في خلال العصر الجليدي، ماتت حيوانات عدّة بسبب البرد، فقررت قوارض الشياهم أن تتجمع لتبادل اللقمة والحماية. غير أنّ أشواك الواحد منها أو أرياشه ظلت تنغرز في رفاقه للوجودين معه. وتحديداً تلك التي كانت تؤمن اللقمة الأكبر. فتفرقت.

ومن جديد، مات من البرد عدد منها. اضطرت إلى الاختيار، إما المجازفة والتعرض للانقراض أو تحمل أشواك نظيرتها من الشياهم. اتخذت قراراً حكيماً جداً هو أن تحتشد. تعلمت أن تتعايش مع الجروح البسيطة التي أصابها بها أهلها لأن الأهم هو البقاء، الذي تشاركت فيه بقاء. يريد الولدان أن يعرفوا إن كان بإمكانهما رؤية شيهم حقيقي.

هل هي موجودة في حديقة الحيوانات؟.

لا أعرف.

ما العصر الجليدي؟.

زمن كان باردًا، باردًا جدًا.

مثل الشتاء؟.

نعم، لكنه كان شتاء لا ينتهي.

لكن لماذا لم تنزع اشواكها الواخزة قبل ان تتحاضن؟.

يا إلهي، كان الأجدد بي ان اختار حكاية أخرى. اطفئ
الضوء واغزر ان أغني لهما حتى يناما أغنية تقليدية من احد أرياف
الألب، ملعبة شعرهما وانا أغني. يغفوان سريعًا.

ياتيني زوجي بالهاليوم. رفضت دومًا تناول أي دواء لأنني
أخشى ان أدمنه، لكن علي ان أكون بأفضل حالاتي في الغد.
أتناول حبة العشرة مليغرامات ونام نومًا عميقًا يخلو من
الأحلام. أنام الليلة كلها.

أصل إلى هناك باكراً، واتوَّجَّه مباشرةً إلى النادي ومنه إلى الحديقة. أسير نحو الأشجار في أقصى المكان، عازمةً على الاستمتاع إلى أبعد حدٍّ بعصر هذا اليوم الجميل.

الشجن. هي أول كلمة تخطر لي عندما يحل الخريف لعرفتي أنَّ الصيف قد انقضى. ستصبح الأيام أقصر، ونحن لا نحيا في عالم الشياهم الساحر من العصر الجليدي، لا نتحفل أن تجرحنا أشواك الآخرين، ولو قليلاً.

نسمع منذ الآن أخباراً عن أشخاص في بلدان أخرى يموتون من البرد، عن زحمة السير على طرقات سريعة مكسوة بالثلج، عن مطارات أفلتت. تُشعل النيران وتؤخذ الملاءات من الخزائن. لكن يحدث هذا فقط في العالم الذي صنعناه نحن البشر.

في الطبيعة، يبدو المنظر أخاذاً. الأشجار التي بدت متشابهة من قبل، تتخذ كل شخصيتها وتلون الغابة بألف ظلٍّ مختلف. بلوغ المنتهى هو أحد أجزاء دورة الحياة. سيرقد كل شيء بعض الوقت ثم ينبعث في الربيع، بشكل زهر.

ما من وقت أفضل من الخريف لنبدأ بنسيان الأمور التي تكدرنا، لنندع أنفسنا تتساقط مثل ورق الشجر الجاف. ما من وقت أفضل لنرقص من جديد، لنستفيد ما أمكن من كل ذرة من شعاع

الشمس، ونلغى الروح والجسم بشعاعاتها قبل أن تغيب وتصبح مجرد بصيص في السموات.

أراه يصل. يبحث عني في المطعم وعلى الشرفة، ويذهب أخيراً إلى النادل عند المشرب. يشير باتجاهي. رأني جاكوب، وها هو يلوح لي. ببطاء، أشرع في المشي عائداً إلى النادي. أريد أن يقدر فستاني، وحنائي، وسترتي الخفيفة العصرية، ومشيتي. قد يكون قلبي على وشك أن يخرج من أضلعي، لكن عليّ أن أحافظ على هدوئي.

أفكر في الكلمات التي عليّ قولها. ما السبب الغامض الذي قدّمته للقاء من جديد؟ لم التراجع الآن فيما نعلم أن أمراً يجري بيننا؟ أنخشي التعثر والسقوط، كما فعلنا من قبل؟

وأنا امشي، أشعر وكأنني أدخل نفقاً لم أدخله من قبل، نفقاً ينقلك من التصلب إلى الشغف، من السخرية إلى الاستسلام.

ما الذي يفكر به وهو يراقبني؟ هل أوضح له أن علينا طرد الخوف وإن كان الشر موجوداً، فسنجده في مخاوفنا؟

الشجن. تحوّلني هذه الكلمة إلى إنسانة رومانية، وتعيد إليّ شبابي مع كل خطوة أخطوها.

أواصل التفكير في ما عليّ قوله عندما أبلغ الطرف الذي يقف عنده. لا، أفضل ألا أفكر، وأن أدع الكلمات تخرج طبيعياً. هي بي. قد أنكرها أو اتقبلها، لكنّها أقوى من حاجتي إلى التحكم بكل شيء.

لم لا أريد أن أسمع كلماتي قبل أن أقولها له؟

أهو الخوف؟ لكن ما الذي سيكون أسوأ من عيش حياة حزينة، رمادية، تتشابه أيامها؟ ما الأسوأ من خوفي أن يختفي كل شيء، بما

فيه روعي، وتركني وحيدة تمامًا في هذا العالم فيما كان لدي
ذات يوم كل ما احتاج إليه لأسعد؟

أرى الأوراق تتساقط، تظلل أشكالها أشعة الشمس. يحدث الأمر
ذاته داخلي، مع كل خطوة أخطوها، يسقط حاجز آخر، يُدمر
دفاع آخر، تنهار جدران أخرى، وقلبي، المستتر خلفها كلها، يبدأ
برؤية نور الخريف والاستمتاع به.

عن أي أمور سنتحدث؟ عن الموسيقى التي استمعت إليها في
السيارة وأنا في طريقي إلى هنا؟ عن حالة الإنسان بكل تناقضاتها،
السوداوية كما الخلاصية؟

سنتحدث عن الشجن، وسيقول إنها كلمة حزن. سأقول لا، إنها
تحمل الحنين، تصف شيئاً منسياً، هشاً، كما نكون جميعاً عندما
ندعي عجزنا عن رؤية الطريق التي الت الحياة بنا إليها من دون
سؤال أو استئذان، عندما ننكر قدرنا لأنه يقودنا إلى السعادة، في
حين أن كل ما نريده هو الأمان.

بضع خطوات بعد، بضعة حواجز منهارة بعد. مزيد من النور
يتدفق إلى قلبي. لا يخطر لي حتى أن أحاول التحكم بكل شيء، بل
أن استمتع بهذا العصر الذي لن يتكرر. لست مضطرة إلى إقناعه
بشيء. إذا لم يفهم الآن، فسيفهم لاحقاً. إنها مسألة وقت.

على الرغم من البرد، سنجلس على الشرفة لكي يتمكن من
التدخين. بدايةً، سيكون دفاعياً، راغباً في معرفة أمر الصورة التي
التقطت في المتنزه.

سنتحدث عن إمكانية وجود حياة على كواكب أخرى وعن

وجود الله، الذي ننساه غالبًا في نمط الحياة الذي نتبعه. سنتحدث عن الإيمان والمعجزات واللقاءات المرسومة حتى قبل ان نولد.

سنناقش النزاع الأزلي بين العلم والدين. سنتحدث عن الحب، وكيف نرى دومًا على أنه مرغوب ويحمل تهديدًا. سيُصرَّ أن تعريفي للشجن مغلوطة، لكنني سأرتشف الشاي بصمت، وأنا أشاهد الشمس خلف جبال جورا وأشعر بالسعادة لأنني حية.

وسنتحدث عن الأزهار أيضًا، وإن كانت الأزهار الوحيدة التي باستطاعتنا رؤيتها هي تلك التي تزين المشرب في الداخل، تلك التي جاءت من دفيئة شاسعة حيث يُزرع الزهر بالجملة. لكن من الجيد التحدث عن الأزهار في الخريف. يَمُنّا ذلك بأمل الربيع.

فقط بضع خطوات بعد. سقطت الجدران كلها. وها قد وُلدت مجننًا من فوري.

أصل إلى الطرف الذي يقف عنده، ونتبادل قبلات التحية الثلاث المعهودة- الخدّ الأيمن، الخدّ الأيسر، الخدّ الأيمن، كما تقضي التقاليد السويسرية (مع أنني كلُّما سافرت إلى الخارج، يُفاجأ الناس بهذه القبلة الثالثة). استشعر مدى عصبتيته واقترح أن نجلس عند الشرفة، سنتمتع بخصوصية أكبر ويُمكنه أن يدخن. النادل يعرفه. يطلب جاكوب كامپاري مع الماء الفوار، وأطلب الشاي، كما خطّطت.

لأريحه، أبدا بالحديث عن الطبيعة، عن الأشجار، وعن روعة أن ندرك أن كلَّ شيء يتغيّر باستمرار. لم نحاول أن نكرّر النمط نفسه دومًا؟ إنه مستحيل. إنه غير طبيعي. أن يكون من الأفضل أن نرى التحنيات على أنها مصدر معرفة، لا على أنها عدو؟

لا يزال يبدو عصبياً. يُجيب ألياً، كما لو أنه يريد إنهاء الحديث، لكنني لن أسمح له. إنه يوم فريد من حياتي ويجب أن يلقى الاحترام. أواصل الحديث عن الأفكار المختلفة التي خطرت لي وأنا كنت أمشي، الكلمات التي لم يكن لي سيطرة عليها. أنا مذهولة لأراها تنبثق بهذه السهولة.

اتكلم عن الحيوانات الأليفة، واسأل إن كان يستوعب لم الناس يحبونها كثيراً. يُجيب جاكوب إجابة تقليدية ثم انتقل إلى الموضوع التالي الآتي، لم يصعب جداً تقبل اختلاف الناس؟ لم توجد قوانين كثيرة تحاول خلق قبائل جديدة بدلاً من أن تتقبل ببساطة أن الاختلافات الثقافية تجعل حياتنا أغنى وأكثر تشويقاً لكنه يقول إنه تعب من الكلام في السياسة.

ثم أخبره عن الحوض المائي الذي رأيته في المدرسة عندما اوصلت ولدي إليها هذا الصباح. كان في داخله سمكة تلور وتلور، فقلت لنفسي، إنها تعجز عن تذكر نقطة البداية، ولن تبلغ النهاية أبداً. لهذا نحن كالسمك في الأحواض المائية، هي تذكرنا بانفسنا، تتغذى جيداً لكنها تعجز عن تخطي الجدران الزجاجية.

يشعل سيجارة أخرى. أرى أن في المنفضة عُقبين. ثم أدرك أنني اتكلم منذ وقت طويل في نشوة من النور والسلام بحيث أنني لم أفسح له مجالاً للتعبير عن مشاعره. يودّ الحديث؟

يقول بحذر إذ لاحظ أنني في مزاج حساس، تلك الصورة التي ذكرت.

آه، الصورة. بالطبع، هي موجودة. محفورة في قلبي ولن يمحوها

سوى الله إن هو شاء. لكن تعال، ادخل لتراها بأَمِّ عينك، لأنَّ الحواجز التي تحمي قلبي سقطت وأنا أسير نحوك.

لا تقل لي الآن إنك تجهل الطريق، لأنك مشيتها مرّات عدّة من قبل، في الماضي وفي الحاضر. نعم، ضُغِبَ عليّ أن اتقبّل الأمر أولاً، واتفهم أنّك قد تتردّد. نحن متشابهان. لا تقلق، سارشدك إليه.

بعد أن قلتُ كلَّ هذا، يمسك بيدي بنعومة ويبتسم، ثمّ يطعنني بسؤاله،

«لم نعد مراهقين. أنت إنسانة رائعة، وأعلم أن لديك عائلة جميلة. هل فكّرتِ في الاستشارة الزوجيّة؟».

أشعر بالضيق لحظة. ثمّ أنهض وأسير مباشرة نحو سيّارتي. لا دموع. لا كلمة وداع. لا نظرة إلى الخلف.

لا اشعر بشيء. لا افكر في شيء. اركب سيارتي مباشرة واقود،
لا اعرف إلى أين اتوجه بالضبط. لا احد ينتظرني في نهاية المسيرة.
تحول الشجن إلى فتور. عليّ أن أجز نفسي للمتابعة.

بعد خمس دقائق، أكون خارج قلعة. اعرف ما حدث هنا،
نفخت إحداهن الحياة في وحش بقي مشهوراً حتى اليوم، مع أن قلّة
تعرف اسم المرأة التي خلقتة.

بؤابة الحديقة مقفلة، لكن ما الهم؟ يمكنني أن اتسلق السياج
الشجري. أجلس على المقعد البارد واتخيل ما حدث عام ١٨١٧. احتاج
إلى أن ألهي نفسي، لأنسى كلّ شيء من قبل، واركز في شيء
مختلف.

اتخيل ذاك العام، عندما قرّر ساكن القلعة، الشاعر الإنجليزي
اللورد بايرون، أن يعيش هنا في المنفى. كان مكروهاً في بلاده،
وكذلك في جنيف، حيث اتهم بإقامة حفلات عريضة وسكر علناً.
لا بُد من أنه كان يموت من الملل، أو الشجن، أو الغضب.

لا يهم. ما يهم أنه في يوم من أيام العام ١٨١٧، وصل ضيفان من
إنجلترا، شاعر آخر هو بيرسي بيش شيلي، وزوجته ماري التي
كانت في التاسعة عشرة. (انضم إليهما ضيف ثالث، لكنني اعجز
عن تذكر اسمه الآن).

لا شك في أنهم تحدثوا في الأدب. ولا شك في أنهم تدمروا من الطقس، والمطر، والبرد، وسكان جنيف، ومواطني إنجلترا، وقلة الشاي والويسكي. على الأرجح أنهم تبادلوا تلاوة القصائد الشعرية ومدح الواحد عمل الآخر.

ظنوا أنهم كانوا مميزين للغاية ومهمين للغاية حتى أنهم قرروا الرهان على الرجوع إلى هذا المكان نفسه بعد سنة وكل منهم يحمل كتاباً من تأليفه يصف فيه الحالة البشرية.

من الواضح أنهم بعد الحماسة الأولية والحديث عن مدى عيب الإنسان التام، نسوا أمر الرهان.

كانت ماري حاضرة في اثناء الحديث. لم تدع إلى المشاركة فيه، أولاً لأنها امرأة، ثانياً، وهو الأسوأ، أنها كانت فتية جناً. ومع هذا، لا بد من أن الحديث أثر فيها بعمق. لم لا تكتب شيئاً لتصرف الوقت؟ كان لديها موضوع، كان عليها ببساطة أن تصوغه وتحفظ بالكتاب لنفسها بعد الانتهاء منه.

مع ذلك، عندما عادوا إلى إنجلترا، قرا شيلي المخطوطة وشجعها على نشرها. وبما أنه كان مشهوراً، قرّر أن يسلمها إلى ناشر ويكتب التمهيد بنفسه. مانعته ماري، لكنها وافقت في النهاية بشرط واحد، ألا يظهر اسمها على الغلاف.

كانت الطبعة الأولى من خمسمئة نسخة بيعت كلها بسرعة. فكرت ماري أن تمهيد شيلي هو السبب على الأرجح، لكن في الطبعة الثانية، سمحت بمرور اسمها على أنها للؤلؤة. منذ ذلك الحين، لا تفرغ المكتبات عبر العالم من هذا الكتاب. ألهم كتاباً، ومخرجي مسرحيات، ومخرجي أفلام، ومحتفين بعيد الهالوين، ومرتادي

حفلات التنكر. وصفه مؤخرًا أحد النقاد المعروفين بأنه «أكثر أعمال الحركة الرومنسية إبداعًا في السنوات المتتين الماضية.. لا يستطيع أحد أن يفسر السبب. لم يقرأه معظم الناس، ولكن سمع به الجميع تقريبًا.

هو يحكي قصة فيكتور، وهو عالم سويسري، وُلد في جنيف ورباه والداه ليفهم العالم عبر العلم. عندما كان طفلاً، يرى صاعقة برق تضرب شجرة ويتساءل إن كان هذا ينبوع الحياة. يمكن لإنسان أن يخلق إنساناً آخر؟

وكانك به نسخة حديثة من بروميثيوس، الجبار الإغريقي الذي سرق النار من الآلهة لمساعدة جنس البشر (وضعت المؤلفة العنوان الفرعي للكتاب، «بروميثيوس الحديث». لكن قلّة تذكر ذلك)، يبدأ العمل ويحاول تقليد أعظم أعمال الله. غني عن الذكر، تخرج التجربة عن سيطرته على الرغم من حذره. عنوان الكتاب هو، فرانكنشتاين.

ربي العزيز، من أفكر به لأمّا، لكن به أضع كلّ ثقتي في الشئد، هل جنّت إلى هنا بالمصادفة المحض؟ أم أن يدك الخفية التي لا تعرف الصفح قادتني إلى هذه القلعة وذكرتني بتلك القصة؟

التقت ماري بشيلي عندما كانت في الخامسة عشرة. كان متزوّجاً، لكن من دون أن تردعها الأعراف الاجتماعية، تبعت الرجل الذي اعتبرته حبّ حياتها.

خمس عشرة سنة! وكانت تعرف بالضبط ما تريد. وكيف تحصل عليه كذلك. أنا في العقد الثالث من عمري، وأتمنى أموراً

مختلفة كل ساعة، لكنني غير قادرة على تحقيقها... مع أنني قادرة
تماماً على صرف عصر يوم خريفى رومنسي شجن، أفكر في ما
ساقول عند حلول اللحظة.

لست ماري شيلي. أنا فيكتور فرانكنشتاين ووحشه.
حاولت أن انفخ الحياة في جماد، وستكون النتيجة كنتك التي في
الكتاب، نشر الرعب والدمار.

لا دموع بعد. لا ياس بعد. أشعر أن قلبي قد كَفَّ عن الخفقان.
يتصرف جسمي على هذا الأساس، لأنني أعجز عن الحركة. إنه
الخريف، المساء يحلّ سريعاً، وسرعان ما يأخذ الشفق مكان الغيب.
بحلول الليل، لا أزال جالسة هنا أنظر إلى القلعة وأرى سكانها يروّعون
برجوازية جنيف بسلوكياتهم اللاأخلاقية في بداية القرن التاسع
عشر.

أين صاعقة البرق التي بعثت الحياة في الوحش؟
لا يصعقني شيء. تتضاءل الزحمة التي لا تشتدّ في هذه المنطقة
على أيّ حال. سيكون ولدي بانتظار عشائهما، وزوجي- الذي يعرف
حالتي - سيهدأ بالقلق عليّ قريباً. لكنني أشعر وكأنّ رجلي مكبلتان
بسلسلة وكرة من حديد. لا أزال عاجزة عن الحركة.
أنا فاشلة.

هل ينبغي للمرء طلب الغفران لإيواء حب مستحيل داخله؟
لا، بالطبع لا.

لأن محبة الله لنا هي أيضاً مستحيلة. لا نبادله إياها في وقتها،
ومع هذا، يستمر في محبتنا. أحبنا جناً حتى أنه أرسل ابنه الوحيد
ليشرح لنا كيف أن المحبة هي القوة التي تحرك الشمس والكواكب
باسرها. في إحدى رسائل بولس الرسول إلى أهل كورينثوس (التي
جعلونا نحفظها عن ظهر قلب في المدرسة)، يقول،

لو كنت أتكلّم بلغات الناس والملائكة وليس عندي محبة، لا
كنت إلا نحاساً يطنّ وصنجاً يرنّ.

ومكّنا نعلم السبب. نسمع غالباً ما يبدو أنها أفكار عظيمة
لتغيير العالم، لكنّها كلمات تخلو من الشعور، من المحبة. مهما تكن
منطقية وفذة، هي لا تؤثر بنا.

يقارن بولس الرسول المحبة بالنبوة، بمعرفة الأسرار، والإيمان،
والإحسان.

لِمَ المحبة أهمّ من الإيمان؟

لأن الإيمان هو فقط الدرب الذي يقودنا إلى المحبة العظمى.

لِمَ المحبة أهمّ من الإحسان؟

لأن الإحسان تجلّ واحد من تجلّيات المحبة. والكلّ دوماً أهمّ من

الجزء. والإحسان هو أيضاً درب من الدروب الكثيرة التي تستعملها المحبة لتقريب الإنسان من الإنسان.

وكلنا نعلم أن ثمة إحساناً وافراً حولنا يخلو من المحبة. كل أسبوع، تُقام حفلة خيرية. يدفع الناس ثروة لشراء المقاعد، والمشاركة، والسلوى وهم يرتدون حلّيتهم وملابسهم الباهظة. نغادر ونحن نظن أن العالم أصبح مكاناً أفضل بسبب المال الذي جُمع من أجل المشردين في الصومال، أو اللاجئين اليمنيين، أو الجياع في إثيوبيا. تكف عن الشعور بالذنب إزاء مظاهر الفقر الوحشية، لكننا لا نتساءل أبداً حول وجهة المال.

وأولئك الذين لا يعرفون الأشخاص المناسبين لارتداء حفلة خيرية، أو أولئك الذين لا يستطيعون البذخ هكنا، سيمزّون بمتسوّل ويعطونه قطعة نقدية. جيد. فهل هناك أسهل من أن نقلف بقطعة نقدية لتسوّل في الشارع؟ هو في العادة أسهل من عدم فعله. يا لهذا الشعور بالارتياح، وبسبب قطعة نقدية فقط! إنها بخسة وتحل مشكلات المتسوّل.

لكن، لو كنّا نحبه فعلاً، كنّا سنفعل أكثر بكثير لأجله. أو لا نفعل شيئاً. لن نعطيه تلك القطعة النقدية - ومن يدري؟ - قد يوظف إحساسنا بالذنب إزاء فقر مماثل الحب الحقيقي بنا. ثم يقارن بولس الرسول المحبة بالتضحية والاستشهاد. أفهم كلماته بشكل أفضل اليوم. حتّى إن كنت أكثر نساء العالم نجاحاً، وإن كنت موضع إعجاب وشهوة يفوقان ما لدى ماريان كونيّش، فلا قيمة لذلك إن خلا قلبي من المحبة. لا قيمة البتّة.

كلما اجري مقابلات مع فنانيين او سياسيين، عمالاً اجتماعيين
او اطباء، متعلمين او موظفين مدنيين، اسال دوماً، ما هدفك، ما
غايته؟. يقول بعضهم: إنشاء عائلة. يقول بعضهم الآخر، التقدم في
مسيرتي المهنية. لكن عندما اسبر اعماق، واسال مجدداً، تكون الإجابة
التلقائية، جعل العالم مكاناً افضل.

ارغب في الذهاب إلى جسر .مون بلان في جنيف حاملة بياناً
مطبوعاً بحروف ذهبية واعطيه لكل مار ولكل سيارة. سيكتب
عليه،

اطلب إلى كل من يامل العمل يوماً لصالح الإنسانية ألا ينسى
هذا: حتى إن سلمت جسدك حتى تحترق. فلن ينفعك في شيء إذا لم
يكن عندك محبة. لا شيء!

لا شيء مما نعطيه أهم من المحبة المنعكسة في حياتنا. إنها اللغة
الكونية الوحيدة التي تسمح لنا بان ننطق بالصينية او بلهجات
الهند. عندما كنت أصغر، كنت أسافر كثيراً- كان ذلك جزءاً
من الدمغة الانتقالية التي تطبع مراحل حياة كل متعلم. زرت
بلداناً ثرية وأخرى فقيرة. لم أكن أجيد اللغة المحلية، لكن حيثما
حللت كانت بلاغة المحبة الصامتة تساعدني على التعبير عن
نفسي.

مُرسله الحب تكمن في الطريقة التي احيا حياتي بها، وليس في
اقوالي أو في افعالي.

في رسالته إلى أهل كورنثوس، يخبرنا بولس الرسول في ثلاثة
اسطر موجزة أن المحبة مكونة من عناصر عدة، مثل النور. نتعلم

في المدرسة أننا إذا اخننا موشورًا وسلطنا شعاع ضوء عبره، سينقسم
ذاك الشعاع إلى ألوان سبعة، ألوان قوس قزح.

يُظهر لنا بولس الرسول قوس قزح المحبة كما يُظهر لنا
الموشور قوس قزح الضوء.

وما هي تلك العناصر؟ هي الفضائل التي نسمع عنها كل يوم
والتي بوسعنا ممارستها كل دقيقة.

الصبر: المحبة تصبر...

الطف: ...وهي لطيفة.

الكرم: المحبة لا تحسد...

التواضع:ولا تتفاخر، ولا تتكبر.

اللياقة:ولا تُقبح.

الغيرية: ولا تطلب ما لنفسها.

الدماثة: لا تحتد...ولا تبغض.

صفاء النية: ...ولا تبغض.

الصدق: لا تفرح بالإثم، بل تفرح بالحق.

كل هذه العطايا تتعلق بنا، بحياتنا اليومية، باليوم والغد،
وليس بالأزل.

المشكلة هي أن الناس ينزعون إلى أن ينسبوا هذه الخصال
إلى محبة الله، لكن كيف تتجلى محبة الله؟ إنها تتجلى عبر محبة
الإنسان.

لكي نعرف السلام في السموات، علينا أن نعرف الحب على
الأرض. من دونه، نحن بلا قيمة.

انا احب، ولا يمكن لأحد أن ينتزعه مني. احب زوجي، الذي
يساندني. اعتقد أنني احب رجلاً آخر، التقيته في شبابي. وفيما
كنت أسير نحوه، في عصر يوم من أيام الخريف الجميلة، أسقطت
كل دفاعاتي وأعجز عن إعادة نصبها. انا سريعة التأثر، لكنني لا
اندم على ذلك.

هذا الصباح، عندما كنت أشرب فنجان قهوة، نظرت إلى النور
الخفيف في الخارج وتذكرت تلك المشية، متسائلة للمرة الأخيرة:
هل أحاول أن أخلق مشكلة حقيقية لأبعد مشكلاتي الخيالية؟ هل
أنا فعلاً مغرمة، أم أنني حوّلت ببساطة كل المشاعر البغيضة التي
انتابتنني الشهر الماضي إلى استيهام؟

لا. لن يكون الله على هذا القدر من الإجحاف لكي يدعني أغرم
هكذا لو لم يكن ثمة احتمال بأن يكون هذا الغرام متبادلاً.

لكن أحياناً يطلب الحب أن تناضل من أجله. وهذا تماماً ما
سأفعله. سعياً إلى العدالة، سوف أبعد الشر بلا سخط أو عجلة. بعد
أن تكون ماريان قد ولت من وقت بعيد، ويكون جاكوب معي،
سيشكرني بقية حياتنا.

أو، سيرحل مجدداً، لكن سيبقى لي الشعور بأنني ناضلت بما
أمكنني من قوة.

أنا امرأة جديدة. أنا أسعى إلى شيء لن يأتيني بإرادته الحرة. هو
متزوج ويعتقد أن أي زلة قد تزعزع مسيرته المهنية.

إذاً، بما علي التركيز؟ بحل زواجه من دون أن يدرك ذلك.

سوف التقى تاجر مخدرات للمرة الأولى!

أعيش في بلد قرر مسروراً أن ينعزل عن العالم. عندما تقرر

زيارة القرى المحيطة بجنيف، سرعان ما يتضح ان لا مكان لركن السيارة، إلا إذا استعملت موقف احد معارفك.

الرسالة هي، لا تاتوا الى هنا يا دخلاء لأن منظر البحيرة في الأسفل، وجبال الألب المهيبة في الأفق، والزهر البري الذي يتفتح في الربيع، ولون الكروم الذهبي في الخريف، كلها ارث أسلافنا الذين عاشوا هنا في سلام كلي. ونريد ان نبقى الأمر على هذه الحال يا دخلاء، لذا لا تاتوا الى هنا. حتى وان كنت قد ولت ونشأت في المدينة المجاورة، لسنا مهتمين بما لديك لتقوله. إذا اردت ان تركزن سيارتك، ابحت عن مدينة كبيرة، ملأى بالأماكن المخصصة لذلك.

نحن معزلون تمامًا عن العالم، حتى أننا لا نزال نعتقد بخطر حرب نووية. على كل المباني السويسرية ان تُجهز بملاجئ تقي من الغبار الذري. حاول نائب مؤخرًا إبطال القانون، لكن البرلمان وقف في وجهه، نعم، قد لا تندلع حرب نووية أبدًا، لكن ماذا عن خطر الأسلحة الكيميائية؟ علينا ان نحمي مواطنينا. لذلك، لا تزال الملاجئ المكلفة التي تقي من الغبار الذري تُبنى، وتستخدم كاقبية للنهيد ومساحات للتخزين فيما ننتظر تحقق سفر الرؤيا.

مع هذا، ثمة أمور نعجز عن منعها من تخطي حدودنا رغم كل جهودنا في ان نبقى جزيرة سلام.

المخدرات، مثلاً.

تحاول الحكومات الوطنية وضع اليد على المروجين وتغض الطرف عن الشارين. قد نكون في جنة، لكن الا تضغطنا جميعًا زحمة السير، والمسؤوليات، ومواعيد التسليم القصوى، والضجر؟ المخدرات تحفز الإنتاجية (الكوكايين) وتزيل التوتر (الحشيش).

لذا، ولأننا لا نريد أن نضرب مثلاً سيئاً للعالم، نمنعها ونسمح بها في آن.

لكن كلما بدأت المشكلة بالتوسع بشكل ملحوظ، يتم توقيف شخصية مشهورة أو علنية، مصادفة، في حوزتها مخدرات. ينتهي الأمر بالقضية في وسائل الإعلام، ويكون الهدف منها إثني الشباب عن فعل ذلك، والإظهار للناس أن الحكومة مُسيطرَة على الوضع. والويل لأولئك الذين يمتنعون عن التزام القانون!

يحدث هذا مرة في السنة على أبعد تقدير. لكنني لا أصنق أن شخصاً مهماً يقرّر مرة في السنة فقط أن يخرق الرتبة ويتوجّه إلى الممرّ التحتي أسفل جسر «مون بلان» لشراء البضاعة من التجّار الذين يظهرون في أوقات دقيقة مثل الساعة كلّ يوم. لو كانت تلك الحال، لكان التجّار قد ولّوا منذ زمن طويل لنقص الزبائن.

أصل إلى الممرّ التحتي. تذهب عائلات وتجيء فيما يلزم أشخاص مشبوهون أماكنهم، لا يُزعج واحد منهم الآخر ولا يتجاوبون، إلاّ بمرور ثنائي يافع يتحدّث بلغة أجنبية، أو عندما يعبر شخص تنفيذي يرتدي بزّة، وسرعان ما يستدير لينظر في عيونهم.

إنها المرة الأولى التي أعبّر بها الممرّ وأصل إلى الطرف الآخر. أتناول رشقة من المياه المعدنية وأندمّر بشأن البرد لإنسانة أراها للمرة الأولى. لا تردّ، غارقة في عالمها. أرجع ولا يزال الرجال أنفسهم في مكانهم. نتواصل بالنظرات، لكن لمرة، يمزّ أشخاص كثير. إنه وقت الغداء وعلى الناس أن يكونوا في المطاعم بأسعارها المبالغ بها التي تملأ المنطقة، محاولين عقد صفقة أعمال مهمّة أو استضافة السياح الذين أتوا إلى المدينة بحثاً عن عمل.

انتظر قليلاً واعبر الممر للمرة الثالثة. اتواصل بالنظرات من جديد، ويطلب إلي رجل بإيماءة خفيفة أن اتبعه. لم اتخيل ولو ليوم في حياتي أن أفعل ما أفعل، لكن كانت هذه السنة غير اعتيادية إلى حد أنني لم أعد أجد تصرفي غريباً.

أدعي اللامبالاة والحق به.

نمشي دقيقتين بل ثلاثاً نحو الحديقة الإنجليزية. نمرّ بسيّاح يلتقطون صوراً أمام الساعة الزهرية، أحد معالم المدينة.

ينتظرني لأقول شيئاً، لكنني أخشى أن يرتجف صوتي على الرغم من هينتي الواثقة. أظلّ على سكوتي وأجبره على اختراق الصمت،

«غانجا، كريستال، أسيد، أو بلوه؟».

أو كيه، ضعت. لا أعرف بم أجيب. يحزر الرجل أنني مبتدئة. لقد اختبرت ورسبت.

يضحك. أسأل إذا كان يظن أنني مع الشرطة.

بالطبع لا. ستعرف الشرطة على الفور ما أقصد..

أشرح أنها المرة الأولى التي أفعل بها هذا.

واضح. امرأة متأنقة مثلك لا تتكبد عناء المجيء إلى هنا البتّة.

يمكنك أن تطلبي إلى ابن أخيك أو ابن أختك، أو زميلك في العمل إعطائك ما تبقى في جعبته. لهذا أحضرتك إلى طرف البحيرة. تمت الصفة ونحن نمشي، وبالتالي لن أهدر الكثير من وقتي. لكنني أريد أن أعرف عما تبحثين بالضبط، وإن كنت تحتاجين إلى نصيحة..

لم يكن يهضر وقته، لا بدّ أنّه كان يموت ضجراً من الوقوف
فحسب في ذاك الممرّ التحتي. في المرات الثلاث التي عبرته خلالها، لم
يأت ولو زيون مهتّم.

حسن، ساكّر بمفردات قد تفهمينها، أحشيش، ام امفيتامين،
ام إل إس دي، ام كوكايين؟..

اسأل إن كان لديه كراك او هرويين. يقول إن هذين المخدّرين
ممنوعان. أوّد ان أقول له إنّ تلك التي ذكرها ممنوعة ايضاً، لكنني
اعقد لساني.

أشرح، هي ليست لي. هي لعلو.

اتقصدين الانتقام؟ تريدان قتل احدهم بجرعة زائدة؟
أرجوك يا سيّدة، جدي شخصاً آخر..

يبدأ بالابتعاد، لكنني اوقفه وارجوه ان يصغي إليّ. لاحظ انّ
الياس سبق ان ضاعف السعر على الأرجح.

أشرح، على حدّ علمي، المعنيّة لا تتعاطى المخدّرات. لكنّها انت
علاقتي الرومنسية بشكل فادح. أريد فقط ان انصب لها فخاً.
هنا يخالف الأخلاقيات الإلهيّة..

ما هذا؟ شخص يبيع المخدّرات ويحتمل أنّه يبيع منتجات قاتلة،
يحاول وضعي على الصراط المستقيم!

أحكى له قصّتي. أنا متزوّجة منذ عشر سنوات، لديّ ولدان
رائعان. أملك وزوجي النوع نفسه من الهواتف الذكيّة، ومنذ
شهرين، أخلتْ هاتفه عرضاً.
ألا تستعملان رمز أمان؟..

بالطبع لا. يثق واحدنا بالآخر. او ربما كان لديه رمز، لكنه لم يكن مفعلاً في تلك اللحظة. المهم أنني وجدت نحو أربعمئة رسالة نصية وصوراً عدة لامرأة شقراء جذابة تبدو غنية، بالنظر إلى الصور. فعلت ما لا ينبغي فعله. ثارت ثائرتي. سألته من هي، ولم ينكر الأمر. قال إنها المرأة التي أحبها. سرُ لاكتشاف الأمر قبل أن يُجبر على إخباري.

يحدث هذا غالباً..

تحول التاجر من قس إلى مستشار أزواج! لكنني أواصل السرد: بما أنني متحمسة للقصة، أخبر ما ابتكره. طلبت إليه أن يغادر المنزل. وافق، وفي اليوم التالي تركني أنا والولدان للعيش مع حب حياته. لكنها لم تستحسن الخطأ، إذ اعتقدت أن من المتع أكثر أن تكون على علاقة برجل متزوج أكثر من العيش مع زوج لم تختره. أنتن النساء! من المستحيل فهمكن!..

اعتقد ذلك أيضاً. أواصل قصتي، قالت إنها لم تكن مستعدة للعيش معه وقطعت العلاقة. كما أتخيل أن هذا ما يحدث غالباً، عاد إلى المنزل يرحو المغفرة. غفرت له. في الواقع أردته أن يعود. أنا امرأة رومانية، ولا أدري كيف أعيش من دون من أحب.

لكن الآن، بعد أسابيع قليلة فقط، لاحظت أنه قد تغير مجدداً. لم يعد أحرق ليترك هاتفه في أي مكان، لذا من المستحيل أن أعرف إن كانا قد استأنفا العلاقة. لكنني اشتبه بذلك. والمرأة- تلك الشقراء، التنفيذية المستقلة، الساحرة والقوية إلى حد الإغواء- تأخذ أهم ما في حياتي، الحب.

أعرف ما الحب؟

أفهم مرادك، لكنّه أمر خطير فعلاً..

كيف له أن يفهم وأنا لم أنه شرحي بعد؟

تريدين الإيقاع بهذه المراهقة. لكننا لا نملك نوع البضاعة التي
تطلبينها. لتنفيذ خطتك، ستحتاجين إلى ثلاثين غراماً من
الكوكايين على الأقل..

يسحب هاتفه الذكي، يختار شيئاً، ويريني إياه. إنها صفحة من
موقع CNN Money تفصّل سعر المخدرات. أتفاجأ، لكنني اكتشف
أنّه تقرير حديث عن الصعوبات التي تواجه الاتّحادات الاحتكاريّة
الكبرى.

كما ترين، سيكون عليك إنفاق خمسة آلاف فرنك سويسري.
هل يستحق الأمر ذلك؟ ألن يكون أرخص أن تذهبي إلى منزل تلك
المراهقة وتجادلينها؟ كما أنها، بحسب ما فهمت، قد تكون غير مذنبة
البتة..

كان قد تحوّل من قس إلى مستشار أزواج. والآن، من مستشار
أزواج إلى مستشار مالي، محاولاً ثنيي عن صرف مالي بلا لزوم.
أقول إنني أقبل المجازفة. أعرف أنني على حق. لكن، لم ثلاثون
غراماً وليس عشرة؟

إنّه المقدار الأدنى للإيقاع بأحدهم على أنّه تاجر مخدرات.
والعقوبة أقسى كثيراً من العقوبة الواقعة على المتعاطين. هل أنت
واثقة بأنك تريدين فعل ذلك؟ لأنك قد تتعرضين للتوقيف في
طريقك إلى المنزل، ولن يكون لك أي سبيل لتعليل وجود المخدرات
في حوزتك..

أكل تجار المخدرات هكذا، أم أنني وقعتُ بين يديّ شخصٍ مميز؟

اودّ ان اقضي ساعات اتجاذب الحديث مع هذا الرجل. إنه متمرس وعارف. لكن من الواضح أنّه شديد الانشغال. يطلب إليّ ان اعود بعد نصف ساعة حاملةً المال نقدًا. اتوجه إلى صراف آلي، متفاجئة بسنّاجتي. بالطبع لا يحمل تجّار المخدرات كمّيات كبيرة. وإلاّ سيُعتَبَرون تجّار مخنّرات!

اعود ويكون في انتظاري. امدّ اليه المال خفية، ويُشير إلى سلّة نفايات.

ارجوك لا تتركّي البضاعة حيث يُمكن للمرأة ان تجدها، لأنّها قد ترتبك وينتهي بها الأمر إلى ابتلاعها. سيكون ذلك كارثيًا.

هذا الرجل فريد من نوعه، يفكر في كلّ شيء. لو كان مديرا تنفيذيًا لشركة متعدّدة الجنسيّات، لجمع ثروة من علاوات حملة الأسهم.

افكر في مواصلة الحديث، لكنّه ابتعد. انظر مجتهدًا إلى سلّة النفايات. ماذا لو لم يكن فيها شيء؟ لكن لا، لهؤلاء الرجال سمعة يصونونها ولن يفعل امرًا مماثلًا.

امشي نحوها وأنا انظر من حولي، اخذ الغلف الأصفر من داخلها، اضعه في حقيبتي. وسرعان ما اركب سيارة اجرة إلى مكاتب الصحيفة. سأتأخّر من جديد.

دفعْتُ ثروة مقابل شيء لا وزن له تقريبًا.

لكن كيف لي ان اعرف ان هذا الرجل لم يخدعني؟ عليّ ان اكتشف بنفسي.

استاجر فيلمين او ثلاثة ابطالها مدمنون. يُفاجأ زوجي باهتمامي الجديد.

انت لا تفكرين في فعل هذا، اليس كذلك؟..

بالطبع لا! إنه مجرد بحث للصحيفة. على فكرة، سأتأخر في العودة إلى المنزل غداً. قررتُ أن اكتب مقالاً عن قلعة اللورد بايرون وعليّ أن اذهب إليها. لا داعي لأن تقلق.

لست قلقاً. اعتقد أن الأمور تحسنت كثيراً منذ أن قضينا ذاك النهار في نيون. علينا أن نساغر أكثر، ربّما سافرنا عشية رأس السنة. في المرة المقبلة، سنترك الولدين مع والدتي. لقد كنت اكلم أشخاصاً يفهمون هذا النوع من الأمور..

لا بدّ من أن الأمور، التي يقصدها هي ما يعتبره اكتنابي. مع من بالضبط كنت تتكلم؟ مع صديق، سوف يفشي ما في جوفه في الفرصة الأولى بعد أن يسرف في الشرب؟ لا، أبداً. مع مستشار أزواج..

يا للفضاعة! كانت الاستشارة الزوجية آخر شيء سمعته عصر ذاك اليوم الرهيب في نادي الخولف. هل كانا يتحادثان من وراء ظهري؟

ربّما كنت السبب في مشكلتك. لا أوليك الانتباه الذي تستحقينه. أنا اتحدّث دوماً عن العمل، أو الأمور التي علينا فعلها. فقدنا الرومنسية اللازمة للحفاظ على السعادة الأسرية. رعاية الولدين لا تكفي. علينا أن نفعل أكثر من هذا ونحن لا نزال في شبابنا. من يلري، قد يكون في وسعنا أن نزور بلدة إنترلاكن. مجدّداً، حيث اتخذنا رحلتنا الأولى بعد أن التقينا؟ يمكننا أن نتسلّق يونغفرو، ونستمتع بالمنظر الطبيعي من الأعالي..
مُستشار أزواج! هذا كلّ ما احتاج إليه.

يُذكّرني الحديث مع زوجي بقولٍ قديم: لا أحد أعمى من ذاك الذي لا يريد أن يبصر.

كيف ظن أنه أهملني؟ من أين خطرت له تلك الفكرة المجنونة؟ وكأنني أرخب به في الفراش باسطة ذراعي وساقَي.

مرّ وقت منذ أن مارسنا الجنس بشدة. في علاقة سليمة، يكون ذلك لاستقرار ثنائي أهم من التخطيط للمستقبل أو الحديث عن الأولاد. ترجع بي، إنترلاكن، إلى زمن كنا فيه نجول في المدينة عند العصر، لأننا في الوقت المتبقي كنا نحجز أنفسنا في الفندق، نمارس الحب ونحتسي النبيذ الرخيص.

عندما نحب أحداً، لا نكتفي بمعرفة روح هذا الشخص، بل نريد أن نفهم جسمه أيضاً. اضروري؟ لا أعرف، لكن الغريزة تشجعنا على ذلك. لا وقت محدّد لحدوثه، ولا قواعد يجب اتباعها. لا شيء يضاهي لحظة الرؤيا تلك عندما يستسلم الحياء للجراة، وتتحوّل التآوهات الخافتة إلى زعيق وشم. نعم، شتم. تغمرني حاجة طافحة إلى سماع الأمور المحرّمة، والقذرة. عندما يكون رجل داخلي.

في هذه اللحظات، تُطرح الأسئلة القديمة ذاتها: هل أشدّ كثيرًا؟.. هل عليّ أن أسرع أو أتمهل؟.. قد تبدو هذه الأسئلة غريبة أو مزعجة، لكنّها جزء من فعل الافتتاح هذا، والفهم، والإحترام المتبادل. من المهم جدًا التحدث عند تكوين حميمية مثالية. العكس سيعني الإحباط الصامت والكاذب.

ثمّ يأتي الزواج. نحاول الحفاظ على السلوكيات ذاتها، وأحياناً ننجح. في حالتني، دامت هذه السلوكيات إلى أن حملت المرة الأولى، الأمر الذي حدث سريعاً. إلى أن ندرك فجأة أن الأمور قد تغيّرت.

الجنس، من الآن فصاعداً، يحدث ليلاً فقط، والأفضل قبل النوم مباشرةً. كما لو أنه كان واجباً، يقبل الطرفان من دون التساؤل إن كان الآخر في المزاج لذلك. إذا فُوت الجنس، ينشأ الشك. لذا من الأفضل التزام الطقس المعهود.

إذا لم يكن ممتعاً، لا تقل شيئاً، ففي الغد قد يكون. في النهاية، نحن متزوَّجان. لدينا الحياة بأكملها أمامنا.

استكشفنا كل شيء، ونحاول التلذذ ما أمكن في الأمور ذاتها. إنه كتناول الشوكولاتة كل يوم، من دون تغيير الماركة أو تذوق نكهات جديدة؛ ليست تضحية، لكن ألا يوجد شيء آخر؟

بالطبع يوجد، العاب صغيرة يمكن شراؤها من متاجر العاب الجنس، نوادي تبادل الشريك، دعوة شخص ثالث إلى العلاقة، أو اتخاذ فرص مغامرة في حفلات يُقيمها أصدقاء خارجون عن المألوف. كل هذا ينطوي، في نظري، على مجازفة كبيرة. لا نعلم ما ستكون العواقب. من الأفضل أن ندع الأمور وشانها.

وتمر الأيام. نكتشف بالحديث مع أصدقاء أن النشوة المتزامنة المزعومة - أي عندما يثار الثنائي في الوقت نفسه، وهما يداعبان الأجزاء ذاتها، ويتأوهان معاً - خرافة. كيف لي أن أشعر باللذة وأنا اتنبه لما أقوم به؟ لامس جسدي، دعني أجن ثم أفلل الأمر ذاته لك. سيكون هذا طبيعياً أكثر.

لكن الأمر لا يجري على هذا النحو معظم الوقت. على الجماع أن يكون - مثاليًا، أو بعبارة أخرى، لا وجود له. وحذار التأوه، لنلا توقيظ الأولاد.

كم أنا سعيدة أننا انتهينا، كنت تعباً جداً ولا أدري كيف
تدبرُ أمري. أنت الأفضل! تصبح على خير.

إلى أن يحلّ اليوم الذي يدرك فيه أحدهما أنه في حاجة إلى كسر
الرتابة. لكن بدلاً من الذهاب إلى نوادي تبادل الشريك، أو متاجر
العاب الجنس المليئة بالخردة التي نعجز عن معرفة كيف تعمل
بالضبط، أو إلى منزل أصدقاء جامحين يواظبون على استكشاف
أمور جديدة، نقرّر أن نقضي بعض الوقت مع الأولاد.

نخطط لفرصة رومنسية. لا مفاجات فيها. حيث كل شيء
سيكون مخططاً له ومنظماً حتماً وتاماً.

ونخالها فكرة رائعة.

افتح حساباً إلكترونياً زائفاً. لديّ المخدرات، مجربة بحسب
الأصول (استتبعها عهدي على نفسي ألا أفعل ذلك مطلقاً مرة ثانية،
لأنها كانت رائعة).

اعرف كيف أدخل إلى الجامعة من دون أن يراني أحد وأدس
الدليل في طاولة مكتب ماريان. كل ما عليّ فعله هو تحديد الدرج
الذي لن تفتحه قريباً، وهو الجزء الأكثر مخاطرة في خطتي. لكن
هذا ما اقترحه تاجر المخدرات، وعليّ أن أصغي إلى صوت التجربة.

لا يمكنني أن أطلب إلى طالب المساعدة. عليّ فعل ذلك بنفسي.
لكن عدا ذلك، لن يكون عليّ فعل شيء باستثناء تغذية الحلم
الرومنسي، لزوجي وإطلاق وابل من رسائل الحب والأمل النصية
على هاتف جاكوب.

وُلد الحديث مع تاجر المخدرات لديّ فكرة، اضعها موضع

التنفيذ، كل يوم، ارسل رسائل حب وتشجيع نضية. قد يفلح ذلك في طريقتين. الأولى أن جاكوب سيدرك أنني اسأله، وأنتي لست مستاءة ولو قليلاً من لقائنا في نادي الغولف. والثانية، إن فشلت الأولى، احتمال أن تنقب مدام ككونيش في هاتف زوجها.

ادخل الإنترنت، أنسخ شيئاً يبدو ذكياً، واضغط زر «ارسل».

منذ الانتخابات، لم يحدث أي أمر مهم في جنيف. لم تعد الصحافة تقتبس عن جاكوب، ولا فكرة لدي عما يجري معه. أمر أوحده فقط حشد الرأي العام مؤخراً، إلغاء المدينة لحفلة عيد رأس السنة أو الإبقاء عليها.

بحسب بعض النواب، النفقات «فاحشة». كُلفت الاستقصاء عن معنى ذلك بالضبط. ذهبت إلى مجلس البلدية وكشفت النقاب عن المبلغ، مئة وخمسة عشر ألف فرنك سويسري، أو ما يدفعه شخصان. أنا وزميلي الذي يعمل إلى جانبي مثلاً - من ضرائب.

بعبارة أخرى، بضريبة الدخل المحصلة من مواطنين يجنیان مرتباً معقولاً لكن ليس استثنائياً، يمكن لهم إسعاد آلاف الناس. لكن لا. علينا أن نذخر مالنا، لأن لا أحد يعلم ما يخبئه المستقبل لنا. في هذه الأثناء، تمتلئ خزانة البلدية. قد ينفد الملح الذي علينا أن نذره على الطرقات هذا الشتاء لكي نحول دون تحوّل الثلج إلى جليد والتسبب بحوادث، أو الأرصفة التي تحتاج إلى الترميم بشكل دائم. حيثما يقع نظرك، ترى اشغالات على الطرقات وأعمال بناء لا يمكن لأي يكن تفسيرها.

يُمكن للسعادة أن تنتظر. المهم، الإبقاء على المظاهر، التي تعني فعلاً، لا تدع أحداً يعلم أننا فاحشو الثراء.

عليّ ان أنهض باكراً في الغد وأشرع في العمل. واقع أنّ جاكوب قد تجاهل رسائل النصية قربني من زوجي. مع ذلك، لا أزال أنوي الانتقام.

صحيح أن لا رغبة عندي تقريباً في المضي بالأمر الآن، لكنني أكره أن اتقاعس عن تنفيذ مخططاتي في منتصفها. العيش هو اتخاذ القرارات والتعامل مع العواقب. لم أفعل ذلك منذ وقت طويل، ولعلّ هذا أحد الأسباب التي تجعلني أستلقي الآن في سريري في عزّ الليل محنّة إلى السقف من جديد.

إرسال الرسائل إلى رجل يصنّي مضيقاً للوقت والمال. لم أعد أبالي بسعادته. في الواقع، أريده أن يكون تعيشاً جداً، لأنني قدّمت إليه أفضل جزء بي واقترح عليّ اللجوء إلى الاستشارة الزوجية. ولهذا السبب، عليّ أن أزجّ بتلك الساحرة في السجن، حتّى وإن طافت روعي في المظهر قروناً.

عليّ؟ من أين جاء هنا؟ أنا تعب، تعب جداً، وأعجز عن النوم. لدى المتزوجات إمكانية الإصابة بالاكتئاب أكثر من العزابات، هكنا جاء عن مقالة منشورة في صحيفة اليوم. لم أقرأها. لكن هذه السنة تبدو غريبة، غريبة جداً. عندما كنت مراهقة، جرى كلّ ما في حياتي تماماً كما هو مخطّط له. كنت سعيدة... لكن شيئاً ما حدث.

إنّه مكفيروس دخل الحاسوب. بدأ الدمار، ببطء لكن بلا كلل. كلّ شيء يتباطأ. بعض البرامج الكبيرة الحجم تحتاج الآن إلى مساحة ذاكرة أكبر لتفتح. بعض الملفات - صور، مستندات - اختفت من دون أن تخلف أثراً.

بحثنا عن السبب ولم نجد شيئاً. سالنا أصدقاء يعرفون أكثر عن هذه الأمور، لكنهم عاجزون عن كشف المشكلة كذلك. الحاسوب يفرغ، يتباطأ، لم يعد ملكاً لنا. الفيروس الخفي هو من يملكه الآن. من المؤكد أن بوسعنا الحصول على جهاز آخر، لكن ماذا عن الأمور المحفوظة هنا، الأمور التي استغرقت سنين لتنظيم؟ هل فُقدت إلى الأبد؟ هذا ظلم.

لا املك ولو ذرة سيطرة على ما يجري.

افتتاني السخيف برجل لا بُدَّ من أنه الآن يفكر أنه يتعرض للتحرش. زواجي من رجل يبدو قريباً لكنه لا يُظهر أبداً مواطن ضعفه وتأثره. الرغبة في تدمير شخص التقيته مرة واحدة فقط بذريعة أن ذلك سيحزر اشباحي الداخلية.

يقول كثير من الناس أن الزمن يشفي الجراح كلها، لكن هذا غير صحيح.

الظاهر أن الزمن يشفي الأشياء الجميلة فقط التي نتمنى الاحتفاظ بها إلى الأبد. يقول لنا الزمن، لا تنخدعن، فهذه الحقيقة.. لهذا فالأمور التي أقرأها لأرفع معنوياتي تغيب عن بالي سريعاً. ثمة ثقب في روحي يمتص كل طاقتي الإيجابية، ويخلف الفراغ فقط. اعرف الثقب حق المعرفة. عايشته لشهور. لكنني لا اعرف كيف اقلت من قبضته.

يعتقد جاكوب أنني في حاجة إلى الاستشارة الزوجية. يعتبرني مديري صحافية ممتازة. بلا حظ ولداي تغيراً في سلوكي،

لكن لا يسألان أي شيء. فهم زوجي شعوري فقط بعدما ذهبنا إلى مطعم وحاولت أن أفتح روحي له.

أتناول الآي-بياد عن الطاولة المجاورة للسريـر. اضرب ٣٦٥ بـ ٧٠. الجواب هو ٢٥,٥٥٠. هذا متوسط عدد الأيام التي يحياها الشخص العادي.

الناس من حولي يتذمرون على الدوام بشأن كل شيء. «أعمل ثماني ساعات في اليوم، وإذا تمت ترقيتي، فسأعمل اثنتي عشرة ساعة.. منذ أن تزوجت، لم أعد أملك وقتاً لنفسي..» بحثت عن الله والآن عليّ حضور الخدمات الإلهية في الكنيسة، والقناديس، والاحتفالات الدينية..

كل ما نسعى إليه بحماسة قبل بلوغ سن الرشد- الحب، العمل، الإيمان- يتحول إلى عبء ثقيل جداً.

نفة طريقة وحيدة لتجنب ذلك: الحب. أن تحب يعني أن تحول العبودية إلى حزية.

لكن الآن، أعجز عن الحب. أشعر بالكراهة فقط. ومهما بدا ذلك سخيفاً، فهو يسبغ على أيامي معنى.

أصل إلى المبنى الذي تُدرّس وفيه وماريان حصص الفلسفة- هو مبنى مُلحق يقع، لعجبي، حرم من حُرْم مستشفى جامعة جنيف. ثم أبدا بالتساؤل: هل يمكن لهذه المادّة الدراسيّة المقدّرة على سيرتها الذاتية ألا تكون سوى مادّة لاصفيّة لا ثقل أكاديمي لها البتّة؟

ركنْتُ سيارتي خارج سوبرماركت، ومشيتُ نحو كيلومتر لأصل إلى هذه المباني المُربكة المنخفضة المشيدة فوق مساحة خضراء جميلة تتوسطها بحيرة صغيرة. تُشير أسهم إلى الاتجاهات. هناك مؤسسات تبدو وكأنّها غير مترابطة لكنّ إحداها تكمل الأخرى متى توقفت للتفكير فيها، جناح المستشفى المخصّص للعجائز ومستشفى للأمراض العقليّة. والآخر يتخذ مبنى جميلاً من أوائل القرن العشرين حيث يتخرّج منه الأطباء النفسيّون، والمرضون، وعلماء النفس، والمعالجون النفسيّون من أنحاء أوروبا.

امرّ بجانب شيء غريب يشبه فنارات التوجيه التي تراها في آخر مدرج المطار. عليّ أن اقرأ اللافتة إلى جانبه لأعرف ما هو. إنّها منحوتة مسماة Passage 2000، أغنية بصرية. مؤلّفة من عشرة قضبان من خطوط عبور سكك حديد، كلّها مجهزة بأضواء حمراء. اتساءل إن كان الذي صنعها أحد المرضى، فأكتشف وأنا أواصل القراءة أنّها عمل لنحات مشهور. فلنحترم الفنّ، لكن لا تقل لي إنّ الفنانين طبيعيّون.

إنها ساعة الغداء- وقتي الحر الوحيد في النهار، والذي يبدو أن أكثر الأمور تشويقاً في حياتي تحدث في خلاله دومًا- كلقاء الصديقات، السياسيين، المصادر، وتجار المخدرات.

يجب أن تكون غرف الصفوف خالية. لا يُمكنني الذهاب إلى مطعم حرم الجامعة، حيث ماريان- أو مدام كونيـش- تميل على الأرجح شعرها الأشقر إلى جهة واحدة بعفوية في حين يتخيل الطلاب من الفتيان كيف يمكنهم أن يغروا امرأة مثيرة للاهتمام إلى هذه الدرجة، والفتيات يحلن إليها كمثال على الأناقة والذكاء، والسلوك الصحيح.

أتوجه إلى مكتب الاستقبال وأسأل عن الإرشادات إلى غرفة صف مدام كونيـش. أبلغ أنها ساعة الغداء (وكانه أمر لا اعرفه أصلاً). أقول إنني لا أريد أن أقاطع وقت استراحتيها، لذا سانتظرها عند الباب خارج غرفة صفها.

ارتدي ثياباً عادية، مثل شخص تنظر إليه وتنساه من فورك. الأمر المشبه الوحيد هو ارتدائي نظارة شمسية في يوم غائم. ادع عاملة الاستقبال تلمح الضفادات الظاهرة من تحت عدستي النظارة. ستستنتج بالتأكيد أنني خضعت مؤخراً لعملية تجميلية.

امشي نحو غرفة الصف حيث تلتزم ماريان، متفاجئة برصانتي. تصوّرت أنني سأخاف، أنني سأستسلم عند منتصف الطريق، لكنني لم أفعل. أنا هنا وأشعر بالارتياح إلى حد بعيد. إذا كان لي أن أكتب عن نفسي يوماً، فسأقوم بذلك للسبب نفسه الذي دعا ماري شيلي وشخصيتها هيكتور فرانكنشتاين إلى ذلك، أريت أن أخرج عن الرتابة فحسب، أن أجد سبباً أفضل لحياتي المملة

الغالية من التحذيات. كانت نتيجتها وحشاً قادراً على توريط البريء وإبراء المذنب.

للجميع جانب مظلم. يريد الجميع أن يتنوّفوا طعم النفوذ المطلق. اقرأ قصصاً عن التعذيب والحرب واجد أن مُسببي الأذى يُمسون كمن يسوقهم وحش مجهول متى اقتدروا على ممارسة النفوذ، لكنهم يتحوّلون إلى آباء ودعاء، خدم الحمى، وأزواج ممتازين عندما يرجعون إلى المنزل.

اتذكّر عندما كنت أصغر، طلب إليّ حبيبي انذاك ان اعطني بكلبه اليهود. كرهت الكلب. كان عليّ ان اتقاسم مع الكلب حبّ الرجل الذي أحببت. وأنا أردت كلّ حبه.

نات يوم، قررت ان أنزل انتقامي بذاك الحيوان اللامنطقي، حيوان لم يسهم ولو بأيّ شكل في نماء البشرية، لكنّ ضعفه ايقظ المحبة والعطف. ابدأ بمهاجمته بطريقة لن تترك أثراً عبر نخسه بدبّوس عالق في طرف مكنسة. أن الكلب ونبح، لكنني لم اتوقف إلا عندما تعبت.

عندما وصل حبيبي، عانقني وقبلني كعادته. شكرني على الاعتناء باليهود. مارسنا الحب، واستمرت الحياة على وتيرتها. الكلاب لا تنطق.

افكر في هذا وأنا في طريقي إلى مكتب ماريان. كيف قدرت على فعل ذلك؟ لأن الجميع قادرون. صادفت رجالاً مغرمين بزوجاتهم إلى حدّ الجنون يفقدون عقولهم ويضربونهن، ليعودوا من فورهم ويتوسلوا الغفرة وهم يبكون.

إننا حيوانات مُبهمة.

لكني لم أفعل هذا بماريان، في حين أن كل ما فعلته هو أنها تنكرت لي في حفلة؟ لم قُمت بوضع مخطط والمجازفة في شراء المخدرات لدسها في طاولة مكتبها؟

لأنها بلغت ما أعجز عن بلوغه، حب جاكوب واهتمامه.

وهل هذه إجابة جيدة بما يكفي؟ إن صح ذلك، فسيكون ٩٩,٩% من الناس يتآمرون ليدمر واحد منهم الآخر في هذه اللحظة.

ربما كان السبب أنني تعبت من التذمر. لأن جنوني يُريحني. لأنني لن أضبط. لأنني أريد الكف عن هوسي بذلك. لأنني فعلاً سقيمة. لأنني لست الوحيدة. لا يزال فرانكنشتاين يطبع لأن الجميع يرى جزءاً من نفسه في كل من العالم والوحش.

اتوقف. أنا فعلاً سقيمة. إنه احتمال حقيقي. ربما توجب علي أن أغادر هذا المكان الآن وأبحث عن طبيب. علي أن أنجز المهمة التي عزمت على تنفيذها، وسافعل، حتى وإن أخبر الطبيب الشرطة عندها - سيحميني بموجب سرية المرضى، لكن في الوقت نفسه سيفضح عملاً تعسفياً.

أصل إلى باب غرفة الصف، مُسترجة بتأمل الدلم، التي عندها في طريقي. أدخل في كل الأحوال، بلا تردد.

أجد طاولة مكتب رديئة بلا أدراج. مجرد سطح خشبي بارجل مبرومة. شيء لوضع بضعة كتب، وحقيبة، ولا شيء آخر.

كان علي أن أحمّن ذلك. أشعر بالإحباط والارتباك في أن.

تدب الحياة من جديد في الأوراق التي كانت ساكنة. الناس

يرجعون الى صفوفهم. ارحل من دون أن انظر الى الوراء، سائرة في الاتجاه الذي يأتون منه. ثمة باب في آخر الرواق. افتحه واخرج إلى أعلى هضبة صغيرة مقابل مستشفى العجزة بأسواره الضخمة وحيث تعمل التلفنة بسلاسة، وأنا متاكدة من ذلك. اتوجه إلى هناك، واسأل عند مكتب الاستقبال عن شخص لا وجود له. يقال لي إن الشخص لا بد من وجوده في مكان آخر- تملك جنيف على الأرجح دور رعاية عجزة في كل متر مربع أكثر من أي مدينة أخرى. تقترح الممرضة أن تبحث عنه من اجلي. أقول أن لا داعي لذلك، لكنها تصر،
ما من إزعاج..

ولئلا يخامرها الشك، اوافق على أن ادعها تفتش. هيما هي مكتبة على حاسوبها، انتقي كتابًا عن النضدة واتصفحه.
«إنها قصص أطفال»، تقول الممرضة ذلك من دون أن ترفع بصرها عن الشاشة، وتكمل، «الرضى يحبونها».
هذا منطقي. افتح صفحة عشوائيًا،

كان ثمة فار مكتئب دومًا لخوفه من الهررة. أشفق ساحر عظيم عليه وحوله إلى هز. فأخذ يخاف من الكلاب، ولذا حوله الساحر إلى كلب. فأخذ يخاف من النمر. كان الساحر صبورًا جدًا، فاستعمل قواه لتحويله إلى نمر. فأخذ يخاف من الصيادين. أخيرًا، استسلم الساحر وحوله إلى فار من جديد، قائلًا،
«لن ينفعك أي شيء أفعله، لأنك لم تفهم نموك يومًا. الأفضل لك أن تكون ما كنته دومًا».

تعجز المرّضة عن إيجاد المريض الوهمي. تعتذر. أشكرها وأهمّ بالرحيل، لكن الظاهر أنّها مسرورة لوجود شخص تتحدّث إليه،
أتعتقدين أنّ الجراحة التجميلية نافعة؟..

الجراحة التجميلية؟ أه، صحيح. اتذكّر قطع الشريط اللاصق الصغيرة تحت النظارة الشمسية.

معظم المرضى هنا خضعوا لعمليات تجميلية. لو كنت مكانك،
لما دخلتُ هذا الباب. هي تحدّث اختلالاً بين العقل والجسم. لم
أطلب رأيها، لكنّها تبدو مُستغرقة في الواجب الإنساني وتكمل، «تكون
الشيخوخة أكثر إيلاماً لأولئك الذين يظنون أنّ بإمكانهم التحكّم
بمرور الزمن».

أسأل عن جنسيتها، هنغارية. بالطبع. فالسويسريون لا يُعطون
رأيهم ما لم يُطلب إليهم ذلك.

أشكرها على تكبّدها العناء وأغادر، مُزيلة النظارة والضمادات
عن وجهي. نجح التقنّع، لكنّ الخطّة لم تنجح. حرم الجامعة فارغ
من جديد. الآن الجميع منشغلون في تعلّم كيف يهتمّون، كيف
يفكّرون، وكيف يجعلون الآخرين يفكّرون.

أأخذ الطريق الطويل للوصول إلى سيارتي، يُمكنني من مساهمة
أن أرى مستشفى الأمراض النفسية. أيجدر أن أكون فيه؟

أجميعنا هكنا؟ أسال زوجي بعد ان يكون الولدان قد ناما
ونحن نستعدّ للنوم.
هكنا كيف؟..

مثلي أنا، التي تشعر أنها إما على خير ما يرام وإما على شرّ ما
يكون.

أعتقد ذلك. نمارس ضبط النفس دومًا، محاولين منع الوحش
من الخروج من مخبئه..

هنا صحيح.

لسنا ما نريد أن نكونه. نحن ما يستدعيه المجتمع. نحن ما
اختاره والدانا. لا نريد أن نخيب أحداً، وبنا حاجة كبرى إلى أن
نُحِبَّ. لذلك نقمع أفضل ما بنا. وتدرّجًا، يتحوّل نور أحلامنا
إلى وحش كوابيسنا. هتَمسي أمورًا غير مُنجزّة، وإمكانيات غير
معيّشة..

بحسب فهمي، درج الطبّ النفسي على تسمية ذلك، ذُهان
الهوس والاكْتئاب، لكنّهم الآن يُسمّونه، الاختلال ثنائي القطب.
ليكون مقبولاً اجتماعيًا. من أين جاءوا بهذه التسمية؟ هل القطبان
الشمالي والجنوبي مختلفان؟ لا بُدّ من أنها أقلية...

بالطبع، أقلية هي من تُظهر تلك الازدواجيّة. لكنني أراهن
على أن في داخل معظم الأشخاص وحشًا..

من جهة، أنا امرأة شريرة تذهب إلى حرم جامعي لتجريم شخص بريء من دون فهم دافِع حقدِها. ومن جهة أخرى، أنا أم ترعى عائلتها بحُب، تُجدُّ في العمل لنلّا يحتاج أحبّتها إلى شيء، وكذلك من دون أن أفهم من أين آتي بالقوّة للحفاظ على شدّة هذه المشاعر.

..اتنكرين دجيكِل وهايد؟..

من الواضح أنّ فرانكنشتاين ليس الكتاب الوحيد الذي لا يزال يطبع منذ صدوره الأول. فالقصة التي ألفها روبرت لويس ستيفنسون في ثلاثة أيام، القضية الغريبة للدكتور دجيكِل والسيد هايد، تحنو الحنو نفسه. تجري أحداثها في لندن في القرن التاسع عشر. يؤمن هنري دجيكِل، عالم الفيزياء والباحث، بأنّ الخير والشر يتعايشان في الناس كلّهم. يعزم على إثبات نظريّته، التي سخّفها معظم من عرفوه، بمن فيهم والده وخطيبته، بياتريكس. بعد العمل بلا كلل في مختبره، يتمكّن من تطوير معادلة. ولأنّه لم يُرد أن يخاطر بحياة أحد، يستخدم نفسه للتجربة.

وبالنتيجة، يظهر جانبه الشيطاني - الذي يُسمّيه السيد هايد. يحسب دجيكِل أنّ بوسعه السيطرة على ظهورات هايد وغيابها، لكنّه ما يلبث أن يدرك أنّه مخطيء جدًّا، فعندما تُطلق جانبنا المظلم، يُظلل تمامًا أفضل ما بنا.

ينسحب ذلك على الناس كلّهم. وهكذا يولد الديكتاتوريون. في البداية، تكون نياتهم صافية كلّيا بشكل عام، لكن رويداً رويداً، ولكي يفعلوا ما يعتقدون أنّه «الصالح» شعبهم، يستخدمون أسوأ ما في الطبيعة البشريّة، الإرهاب.

أنا مرتبكة، ومرتاعة. أيُمكن أن يحدث هذا لأي إنسان؟
لا. أقلية هي التي تفتقر إلى القدرة على التمييز بوضوح بين
الصّح والخطأ..

لا أدري إن كانت هذه الأقلية قليلة إلى هذا الحدّ، جرى معي
أمر مماثل في المدرسة. كان لي استاذ، وكان أفضل الناس في العالم،
لكن فجأةً تغيّر وأوقعني في حيرة تامة. عاش جميع التلاميذ في خوف
إذ كان من المستحيل توقع حاله بين اليوم والآخر. لكن لم يجروا
أحد على الاشتكاء. ففي النهاية، الأساتذة دومًا على حق. خال
الجميع أنّه يعاني مشكلةً أسريةً ما، وأنها ستحل قريبًا، إلى أن فقد
السيد هايد ذاك السيطرة على نفسه وهاجم أحد زملائي في الصف.
رُفعت القضية إلى مجلس المدرسة، وتمّ صرفه.

منذ ذلك الحين، بتّ أخشى الناس الذين يبدوون مُفرطي
الحساسية.

مثل التريكوتور؟..

نعم، مثل أولئك النسوة الكادحات اللاتي أردنّ العدل والخبز
للفقراء، واللاتي قاومن لتحرير فرنسا من تهتك لويس السادس
عشر. عندما بدأ حكم الإرهاب، كنّ ينزلن منذ الفجر إلى ساحة
المقصلة، حاجزات المقاعد الأولى، يجكن فيما ينتظرن موت من
حُكم عليهم بالموت. كنّ أمهات على ما يُحتمل، يصرفن باقي
يومهنّ يرعين أولادهنّ وأزواجهنّ.

الحياكة، لصرف الوقت بين رأس قُطع وآخر سيليه.

انتِ أقوى منّي. لطالما حسدتك على هذا. ربّما لهذا السبب لم
أظهر مشاعري يومًا، لنلأ أبدو ضعيفًا..

هو لا يدري ما يقول. لكنّ هذا الحديث سبق أن انتهى. يستدير
في السرير وينام.
وأترك وحيدة مع قوتي، مُحذقة إلى السقف.

بعد اسبوع، افعل ما عاهدتُ نفسي ألا أفعله يوماً، رؤية طبيب نفسي.

أُحَدِّد ثلاثة مواعيد مع ثلاثة أطباء مختلفين. جداول مواعيدهم حافلة، وهي إشارة إلى وجود عدد يفوق تصوّري من مختلّي التوازن في جنيف. أقول إن الأمر طارئ، غير أن السكرتيرات يُحِبُّن بأن كل شيء طارئ، ويشكرنني على اهتمامي ويعتذرن. لا يستطعن إلغاء مواعيد مرضى آخرين.

الجا إلى الورقة الرابعة دوماً، أقول أين اعمل. يُمكن لكلمة صحافية، السحرية، يتبعها اسم صحيفة رئيسة، أن تفتح أبواباً كثيرة مغلقة ما ينغلق منها. في هذه الحالة، عرفتُ أصلاً أن النتيجة ستكون في صالحني. وُحِّدَت المواعيد.

لا أخبر أحداً. لا زوجي، ولا مديري. أذهب إلى الطبيب الأول، وهو رجل غريب يتحدث بلكنة بريطانية، ويصرّ بعناد على أنه لا يقبل التأمين الصحي الوطني. اشتبهُ بأنه يعمل في سويسرا بشكل غير مشروع.

أشرح، بكل ما في العالم من صبر، ما حدث لي. أستخدم مثالي فرانكنشتاين ووحشه، والدكتور دجيكول والسيد هايد. أتوسّله أن يعينني في السيطرة على الوحش الذي يشبّ ويُنبِذ بالتفلّت من قبضتي. يسأل ما قصدي. لا أريد أن أعطي تفاصيل قد تضعني في

وضع مُريب، كمحاولتي في جعل امرأة تقع في قبضة الشرطة تعسفًا
للاتجار بالمخدرات.

أقرّر أن أخبر كنبه، أشرح أنّ افكارًا جُرميّة تدور في بالي،
افكر في قتل زوجي وهو نائم. يسأل إن كان لدى أيّ منا عشيق أو
عشيقة. أقول لا. هو يفهم تمامًا ويعتقد أنّ الأمر طبيعي. من شأن
سنة من العلاج، بمعدل ثلاث جلسات في الأسبوع، أن تخفّف هذا
الانففاع بنسبة خمسين بالمئة.

أنا مصدومة! لكن ماذا لو قتلت زوجي قبل ذلك؟ يُجيب بأن
ما يحدث هو «نقل»، «استيهام»، وأن القتل الحقيقيين لا يلجأون إلى
المساعدة أبدًا.

قبل أن أهاجر، أدفع أتعابه ٢٥٠ فرنكًا سويسريًا، ويطلب إلى
السكرتيرة أن تحدّد لي مواعيد منتظمة بدءًا بالأسبوع التالي.
أشكره، أقول له إنّ عليّ التحقق من جدول مواعيدي، وأغلق الباب،
إلى غير رجعة.

يكون للموعد الثاني مع امرأة. تقبل التامين الصحي وهي أكثر
انفتاحًا لسماع ما في جعبتي. أكرّر القصة نفسها، أنّي أريد قتل
زوجي.

تقول لي باسمّة، «حسنّ، أحيانًا أنا أيضًا افكر في قتل زوجي.
لكن كلنا نعرف أنّه إذا مضت كل امرأة في تحقيق أمانيتها السريّة،
يمسي معظم الأولاد يتامى. هذا انففاع طبيعي..»

طبيعي؟

بعد محادثة طويلة تشرّخ في خلالها أنّي أتعرض، للتنمر،
في زواجي، أنّي بلا شك لا أملك، حيّزًا لأنمو، وأنّ جنسويتي

تُسبب اضطرابات هرمونية تتناولها الأدبيات الطبية على نطاق واسع، تتناول دفتر الوصفات وتدوّن عليه اسم دواء معروف مضادّ للاكتئاب. تُضيف أنّه، إلى أن يُعطي الدواء مفعوله، سأعاني شهراً بعد من الجحيم، لكن قريباً لن يكون كلّ هذا سوى ذكرى بغیضة.

ما دمت أثابر على تناول الدواء بالطبع. إلى متى؟
حسب الظرف. لكنني اعتقد أنّك في غضون ثلاث سنوات ستمكّنين من تخفيف الجرعة..

المشكلة الكبرى في استعمال التامين هي إرسال الفاتورة إلى منزل المريض. ادفع نقداً، أغلق الباب، وأقسم ألا أرجع إلى هذا المكان، هو أيضاً.

أخيراً، أذهب إلى الموعد الثالث. رجل آخر في مكتب لا بُدّ من أن تأثيثه وتصميمه الداخلي كلّاً ثروة. بخلاف الطبيبين الأولين، يُصفي إليّ بانتباه، ويبدو أنّه يوافقني. أنا فعلاً أواجه خطر ارتكاب جريمة قتل زوجي. أنا قاتلة محتملة. أنا أفقد السيطرة على وحش أعجز عن إعادة زجه في قفصه.

أخيراً، وبتأن كبير، يسأل إن كنت أتعاطى المخدرات.
أجيب، مرّة فقط.

لا يُصدّقني. يُغيّر الموضوع. نتكلّم عن النزاعات التي تُجبر على التعامل معها كلّ يوم، ثمّ يعود إلى أمر المخدرات.

عليك أن تضعي ثقتك فيّ. لا أحد يتعاطى المخدرات مرّة فقط. سرّية الطبيب-المريض تحميننا. سأفقد رخصتي الطبية إن ذكرتُ أيّ أمر حول هذا. من الأفضل أن نتكلّم بصراحة قبل

تحديد موعدك التالي. ليس عليك وحدك ان تتقبلي اني طبيبك، بل عليّ انا ايضاً ان اتقبل انك مريضتي. هكنا تجري الأمور..

أصّر قائلةً لا. لا اتعاطى المخدرات. اعرف القوانين ولم آت إلى هنا لأكذب. أريد فقط ان أحلّ هذه المشكلة سريعاً، قبل ان أؤذي الناس الذين أحبهم أو المقربين إليّ.

هو بهي الطلعة وتخطط وجهه المتفكر لحية. يومئ إيجاباً قبل ان يردّ،

،صرفت سنوات تراكمين هذه الضغوط والآن تريدان ان تتخلصني منها بين ليلة وضحاها. لا وجود لذلك في الطب النفسي او في التحليل النفسي. لسنا شامانات نطرد الأرواح الشريرة بالسحر.. بالطبع هو يسخر، لكنّه اعطاني فكرة لتوّه. ها قد ولت أيام لجوئي إلى المساعدة الطبية النفسية.

Post Tenebras Lux. بعد الظلمة، نور.

أنا واقفة أمام سور المنيعة العتيق، وهو مُعلَّم يمتدّ على عرض مئة متر وفيه تماثيل شاهقة لأربعة رجال تحاذيهم تماثيل أصغر إلى اليمين واليسار. يتميّز تمثال واحد منها. رأسه مغطى وله لحية طويلة ويحمل بيديه ما ضاهى السلاح الحربي في زمنه قوّة، يحمل الإنجيل.

فيما انتظر، أفكر، لو وُلد هذا الرجل في أيامنا، لاعتبره الجميع- وخصوصاً الكاثوليكين، في فرنسا وفي أرجاء العالم- إرهابياً. إن التكتيكات التي اعتمدها لتطبيق ما آمن بأنه الحقيقة المطلقة تُذكرني بعقل أسامة بن لادن المنحرف. كان لهذين الرجلين الهدف نفسه: إنشاء دولة ثيوقراطية يُعاقب فيها كلّ من يعصى ما اعتُبر قانون الله.

ولم يتوان الاثنان عن اللجوء إلى الإرهاب لتحقيق أهدافهما. اسمه جون كالفين، وكانت جنيف مقرّ عملياته. حُكم على مئات الناس بالموت وأُعدموا في مكان قريب من هنا. لم يعمد الكاثوليكيون وحدهم إلى الاعتراض على التفسير الحرفي للإنجيل، ممّن تجزّأوا على صون إيمانهم، بل اعترض علماء أيضاً، بحثاً عن الحقيقة وعلاجات الأمراض. كانت القضية الأشهر قضية

ميخائيل سيرفيتوس، الذي اكتشف الدورة الدموية التنفسية ومات على المقصلة بسببها.

كل من يعتبر أن معاقبة المهرطقين والمجذفين هو خطأ في حقهم، يعتبر شريكاً في جرمهم، ومدنناً بقدر ذنبهم. سلطان الإنسان ههنا بمنأى عن الشك، إن الله من يتكلم [...] لنا لا يطلب إلينا ممارسة القسوة بأشنعها، ما لم يكن ليرينا أن الإجلال الواجب لا يُعطى له، بما أننا لا نضع خدمته فوق كل اعتبار بشري، لنلا ندخر نسباً، ودماء أي نسب، ونتغافل عن البشرية جمعاء متى كان الكفاح من أجل مجده.

لم يقتصر الهلاك والدمار على جنيف، فقد قام رُسُل كالفين، الذين يُحتمل أن التماثيل الأصغر تعود إليهم، بنشر كلمته وتحجّره عبر أوروبا. عام ١٥٦٦، دُمّرت عدّة كنائس في هولندا وقتل المتمردون، أو بمعنى آخر من يدينون بدين آخر. رُمي عددٌ هائل من الأعمال الفنية في النار بذريعة الوثنية. ودُمّر جزءٌ من إرث العالم التاريخي والثقافي وفُقد إلى الأبد.

واليوم، يتعلّم ولداي عن كالفين في المدرسة كما لو أنه كان مستنيراً عظيماً، رجلاً جاء بفكر جديد. اعتقنا، من عبودية الكاثوليكية. وكأنه ثوري يستحقّ الوفاة من الأجيال المستقبلية. بعد الظلمة، نور.

اتساءل ما الذي دار في بال ذاك الرجل؟ هل استلقى صاحياً في الليل عارفاً أن عائلات كانت تُكسح، أن أولاداً كانوا يُفصلون عن أهاليهم، أو أن الدم قد افترش الأرض؟ أو أنه كان على قناعة بمهمته، فلم يترك للشك مدعاة؟

هل فكر في تبرير كل ما فعله باسم الحب؟ لأن هذا موضع شكّي، وجوهر مشكلاتي الحالية.

الدكتور دجيكل والسيد هايد. من عرف كالفين قال إنه كان رجلاً صالحاً في الخفاء، قادراً على اتباع كلمة يسوع وفعل ما يُذهل من الصنائع المتواضعة. كان مهيباً، لكنه كان محبوباً أيضاً- وامكنه ان يلهب حشوداً بذلك الحب.

ولما كان التاريخ يُدوّن على ايدي الظافرين، لا يتذكر احدُ فضائله اليوم. اليوم يرى على أنه طبيب النفوس، المصلح العظيم، مُخلصنا من الهرطقة الكاثوليكية، بملائكته، وقديسيه، وعذراواته، والذهب، والفضة، وصكوك الغفران، والفساد.

يصل الرجل الذي انتظره، مُقاطعا افكاري. إنه شامان كوبي. اشرح أنني اقنعتُ محرري بكتابة قصة عن الطرائق البديلة لعلاج التوتر. عالم الأعمال مليء بالناس الذين يتصرفون بسخاء مفرط في لحظة، وفي الأخرى يصبنون جام غضبهم على من هم اضعف منهم. يزداد سلوك الناس إبهاماً.

جدول مواعيد الأطباء النفسيين والمحلّين النفسيين ملآن ولا يسعهم رؤية كل مريض. ولا يُمكن لأحد ان ينتظر شهوذاً او سنوات لمعالجة الاكتئاب.

يُصغي الرجل الكوبي إلي من دون التفوّه بكلمة. أسأل إذا كان بوسعنا أن نُكمل حديثنا في مقهى، بما أننا نقف في الخارج ودرجة الحرارة انخفضت بشكل ملحوظ.

إنها الغيمة،، يقول ذلك مُلبياً دعوتي.

تعلق الغيمة الشهيرة في سماء المدينة حتى شهر شباط/فبراير

أو آذار/مارس، وتتبدّد أحياناً فقط بسبب ريح الشمال، التي تُعجلي السماء لكنها تزيد من انخفاض درجة الحرارة.

«كيف عثرت عليّ؟»

أخبرني عنك حارس أمن من الصحيفة. أراد رئيس التحرير أن أجري مقابلات مع أطباء نفسيين، ومحلّين نفسيين، ومعالجين نفسيين، لكن هذا حدث مئات المرات.

أحتاج إلى شيء غير اعتيادي، وقد يكون هو الشخص المناسب فعلاً.

«لا يمكنك نشر اسمي. التامين الوطني لا يغطّي ما افعله».

افترض أنّ ما يُحاول قوله لي بالفعل هو، «ما افعله عمل غير مشروع».

اتكلّم نحو ثلاث ساعة، مُحاولاً أن أريح الرجل الكوبي، غير أنّه يصرف كلّ الوقت في تأمّلي. هو أسمر السحنة، أشيب الشعر، مربوع القامة ويرتدي بزّة وربطة عنق. لم أتصوّر شاماناً يلبس شيئاً كهنا.

أشرح أنّ كلّ ما يُخبرني به لن يُناع. نحن مهتمّون فقط بمعرفة إن كان عدد الناس الذين يلجأون إلى خدماته عدداً كبيراً. حسبما أسمع، لديه قدرات شفائيّة.

«هذا غير صحيح. لا يُمكنني شفاء الناس. وحده الله على ذلك قدير».

حسنٌ، نحن متفقان. لكن كلّ يوم، نلتقي شخصاً يتغيّر سلوكه بين لحظة ولحظة. ونتساءل، ما الذي جرى لهذا الشخص

الذي حسبت أنني أعرفه؟ لم يتصرف بهذه العدائية الشديدة؟ هل
ضغوط العمل هي السبب؟

وفي اليوم التالي، يعود الشخص إلى طبيعته. ترتاح، ثم يسحب
البساط من تحت قدميك على حين غرة. وهذه المرة، بدل أن تسأل
الشخص ما خطبه، تتساءل ما الخطأ الذي اترفته؟

يظل الشامان ساكناً. هو لا يزال غير واثق بي.

هل هو قابل للعلاج؟

.نعم علاج، لكنه في يد الله..

نعم، أعرف، لكن كيف يعالجه الله؟

.حسب الظرف. انظري إلى عيني.

أطيعه، وادخل في حالة من الانخفاف، عاجزة عن التحكم
بوجهتي.

.باسم القوى التي ترشد عملي. باسم القدرة التي منحتها، اطلب
إلى الأرواح التي تحميني أن تدمر حياتك وحياة عائلتك إن قررت أن
تسلميني إلى الشرطة أو تبغني سلطات الهجرة عني.

يلفخ بيده مرات عدة حول رأسي، ما يبدو وكأنه أكثر الأمور
السورالية في العالم. أرغب في النهوض والمغادرة. لكن عندما استعيد
وعبي، يكون قد رجع إلى حال عادية - لا ودوداً ولا محتاطاً.

.يمكنك أن تسأليني. أنا أثق بك الآن.

أشعر بالذعر قليلاً. لكنني لا أنوي إيذاء هذا الرجل. اطلب
كوباً آخر من الشاي وأشرح ما أريده بالضبط. يقول الأطباء الذين
قابلتهم، إن الشفاء يستغرق وقتاً طويلاً. اعتبر حارس الأمن أن الله

كان قادرًا على استعمال الشامان قناة لوضع حد لمشكلة اكتئاب خطيرة. أقول هذا وأنا أزن كلماتي بعناية.

نحن النمين نخلق الفوضى في عقولنا. هي لا تأتي من الخارج. كل ما عليك فعله هو أن تطلبي العون من الروح الحارس الذي يدخل روحك ويساعدك على ترتيب الأمور. لكن لم يعد أحد يؤمن بالأرواح الحارسة. هي هنا تسهر علينا، تستميت للمساعدة، لكن لا أحد يستدعيها. يقتضي عملي تقريبها إلى المحتاجين إليها وانتظارها لتقوم بعملها. هذا كل شيء..

فلنقل، نظريًا، إن شخصًا في إحدى لحظات العدائية تلك، يأتي بخطة احتيالية لتدمير شخص آخر، بقدحه وذمه في العمل. يحدث هذا كل يوم.

أعرف، لكن عندما تزول هذه العدائية، عندما يرجع الشخص إلى طبيعته، ألن يشعر بالذنب؟

بالتأكيد. وبمرور السنين، يزيد ذلك حالته سوءًا..

هذا يعني أن شعار كاليفين - بعد الظلمة نور - شعار خطأ. ماذا؟..

لا شيء. كنت اتسكع في محيط المعلم في المتنزه.

بلى، ثمة نور في آخر النفق، إن كان هنا ما تقصدينه. لكن أحيانًا، عندما يعبر الشخص الظلمة ويبلغ الطرف الآخر، يخلف دمارًا جلاً..

تمام، فلنعد إلى طريقتك.

ليست طريقتي. استعملت سنوات عدة ولا تزال تُستعمل

لعالجة التوتر، والاكتئاب، والنزق، ومحاولات الانتحار، وكثير من الطرائق التي ابتكرها بنو البشر لإيذاء أنفسهم.

ربّي، وجلتُ الشخص المناسب. لكن عليّ أن أحافظ على هدوئي. يُمكننا أن نسفّيها...

...الانخطاف المُستحثّ ذاتياً. التنويم المغنطيسي الذاتي. التأمل. تدعوها كلّ ثقافة باسم مختلف. لكن تذكر أنّ الجمعية الطبية السويسرية لا تستحسن أموراً مماثلة.

أشرح أنّي أمارس اليوغا وأنني لا أزال أعجز عن بلوغ الحالة التي تُفرز عندها المشكلات وتحلّ.

انتحدثتُ عنك أم عن قصة للصحيفة؟..

كلا الأمرين. ألقى سلاحي. لأنني أعرف أنّي مكشوفة أمام هذا الرجل. فقد تيقنْتُ من الأمر لحظة طلب إليّ أن انظر في عينيه. أشرح أنّ قلقي في شأن عدم ذكر اسمه قلق سخيف. من لا يعرف أن منزله في قريته يكتظ بالزائرين. هاليه يلجا الكثيرون، بمن فيهم حرس الأمن في السجن. هذا ما شرحه لي الشاب في الصحيفة.

يقول: «مشكلتك مع الليل».

نعم، هذه مشكلتي. لمانا؟

ليلاً، ولأنّه ببساطة الليل، نتمكّن من إحياء رُعب طفولتنا، الخوف من البقاء وحيدين، الخوف من المجهول. لكن إذا تمكّنا من الحاق الهزيمة بتلك الأشباح، سنهزم بسهولة تلك التي تظهر نهاراً. لن نخشى الظلمة لأننا شركاء النور..

اشعر كائنني اجلس برفقة أستاذ مدرسي بشرح البديهيات.
أيمكنني أن اذهب إلى منزلك لـ....

....طرد الأرواح؟..

لم يخطر لي هذا، لكنه بالضبط ما احتاج إليه.
لا داعي لذلك. أرى ظلمة وارقة فيك، ولكنني أرى نوراً وارفاً
أيضاً. وفي هذه الحال، أنا أكيد أن النور سيغطي في النهاية..
أنا على شفير البكاء. يسر الرجل روحي حقاً، ولا يسعني أن أفسر
ككيف يفعل ذلك تحديداً.

دعي الليل يرتحل بك بين الحين والحين. ارفعي بصرك إلى
النجوم وحاولي أن تتخلي من حس اللانهاية. الليل هو أيضاً، بكل
أسحاره، درب إلى التنوير. كما لبئر مظلمة مياه تروي الضما في
القعر، لليل أيضاً، الذي يقربنا غموضه من غموض الله، شعلة قادرة
على إنارة روحنا المستترة في ظلاله..

نتحدث نحو ساعتين. يُصرّ على أنني لا احتاج إلى شيء سوى أن
أدع نفسي ترتحل- وأن أعظم مخاوفي لا أساس لها. أشرح عن رغبتني
في الانتقام. نصغي من دون أن يعلّق على كلمة أو أن يحكم عليّ بها.
كلّما اطلنا الحديث، تحسّن شعوري.

يقترح أن يغادر وأن نتمشّي في المتنزه. عند إحدى بواباته، رسم
على الأرض للوح شطرنج بمربعات عدّة بالأبيض والأسود وبيادق
ضخمة من الهللاستيك. يلعب بعض الناس على الرغم من برودة
الطقس.

لا يعقّب على كلامه بالكثير، وأواصل الكلام بلا انقطاع،
مُمتنة من حياتي تارةً ولأعنة إياها تارةً. نتوقّف أمام أحد الواح

الشطرنج العملاقة. يبدو أكثر انتباهاً للعبة من كلماتي. اتوقف
عن التذمر وأبدأ أيضاً بمتابعة اللعبة مع أنها لا تثير اهتمامي ولو
قليلاً.

يقول: «امضي حتى النهاية..»

امضي حتى النهاية؟ اخون زوجي، اضع الكوكابين في حقيبة
منافستي، واتصل بالشرطة؟
يضحك.

أترين اللاعبين؟ عليهم دوماً اتخاذ الخطوة التالية. لا يمكنهم
التوقف في منتصف الدرب، لأن ذلك يعني تقبل الهزيمة. يحل
وقت تكون فيه الهزيمة محتومة، لكنهم يكونون على الأقل قد
قاتلوا حتى النهاية. لدينا بالأصل كل ما نحتاج إليه. ما من امر
يستدعي التحسين. ان نفكر أننا صالحون أو طالحون، مُنصفون أو
مُجحفون، كلها ترهات. نعلم أن جنيف اليوم مليدة بغيمة قد
تستغرق شهوراً لتنجلي، لكن عاجلاً أو آجلاً، ستنجلي. امضي إذا،
اطلقي العنان لنفسك.

ما من كلمة تردعني عن فعل أمر لا يجدر بهي فعله؟
لا. ان تفعلي ما لا يجدر بك فعله، أمر ستدركينه بنفسك.
كما قلت عندما التقينا في المطعم، النور في روحك اعظم من
ظلمتها. لهذا عليك أن تمضي حتى النهاية كي تنهي اللعبة..
احسب أنني في حياتي كلها لم اسمع يوماً نصيحة متعذرة
مثلاً. أشكره على وقته، واسأل إن كنت أدِين له بشيء. يقول لا.

في الصحيفة، يسألني المحرر: لم تأخرت كل هذا الوقت؟ اشرح

أن السبب يكمن في طبيعة الموضوع غير التقليدية. فحصولي على ما احتاج إليه استغرق وقتًا.

ولما كان غير تقليدي جدًا، أؤمن الممكن أن نشجع فيه على أي نشاط غير قانوني؟..

أونشجع على أي نشاط غير قانوني عندما ننهل على الشبان بمُحفّزات للاستهلاك المفرط؟ أونشجع الحوادث عندما نسوق للسيارات الجديدة وإمكانية بلوغها سرعة ٢٥٠ كيلومترًا في الساعة؟ أونشجع على الاكتئاب واليول الانتحارية عندما ننشر مقالات حول أشخاص ناجحين، من دون أن نشرح كيف بلغوا النجاح ونجعل الباقين يقنعون انفسهم بأنهم بلا قيمة؟

لا يريد رئيس التحرير الجدل في ذلك. قد يكون لصالح الصحيفة، التي جاء عنوانها الرئيس لليوم، سلسلة السعادة تجني ٨ ملايين فرنك للبلد الأسوي. أكتب مقالة من ستمئة كلمة- وهي المساحة الكبرى التي يُخصّصونها لي- وكل ما فيها مستقن من البحث في الإنترنت. لم أتمكن من استعمال أي شيء من حديثي مع الشامان الذي تحوّل إلى جلسة علاج.

جاكوب! قام من بين الأموات للتوّ، وارسل إلي رسالة نصية يدعوني فيها إلى تناول القهوة- كما لو أنّ الحياة تخلو من أمور مشوّقة يُمكنني فعلها. أين اختفى متذوّق النبيذ المتحدّق؟ أين الرجل الذي يملك الآن السلطة، مثيرة الشهوة الجنسية العظمى في العالم؟

لكن الأهم، أين الحبيب السابق المراهق الذي التقيته عندما كان كلّ شيء ممكناً؟

تزوج، تغير، وبعث إلي برسالة يدعوني فيها إلى تناول القهوة. ألم يكن بمقدوره أن يكون أكثر إبداعاً ويقترح أن نقوم بجولة ركض عريانيين في شاموني؟ قد اهتم أكثر في ذلك الحين.

لا أنوي الردّ. أدار لي ظهره وأهانني بصمته لأسابيع متتالية. أياخالي سأتيه ركضاً لمجرّد أنّه تكرّم علي بدعوة؟

بعد أن أخلد إلى النوم، أستمع عبر سماعة الأذن إلى أحد الأشرطة التي سجّلتها لحديث الشامان الكوبي. عندما كنت لا أزال ادّعي بأنني مجرد صحافية- وليس امرأة ترتاع من نفسها- سألت إن كان التنويم المغناطيسي الفاتي (أو، التأمّل، وهو المصطلح الذي يفضّله) يُمكن أن يُنسي شخصاً ما شخصاً آخر. تناولت الموضوع بطريقة يفهم من خلالها أنّ الحب هو صدمة من تهجم كلامي، وهو بالضبط ما كنّا نتحدّث عنه في تلك اللحظة.

ردّ: «هذه منطقة ضبابيّة نوعًا ما. نعم، يُمكننا حتّ النسيان، لكن هذا الشخص مُرتبط بوقائع وأحداث أخرى. عمليًا سيكون من المستحيل محو أحدهم كليًا. بالإضافة إلى أن النسيان مقاربة خطأ. عليك مواجهة الأمور مباشرة.

استمع إلى الشريط باكملة، ثمّ احاول أن اتلّهُ، فاطعة على نفسي عهودًا ومُدوّنَة بعض الأمور الأخرى في روزنامتي، لكن لا شيء ينفع. قبل أن أنام، أرسل رسالة إلى جاكوب، أطلب فيها دعوته. اعجز عن ضبط نفسي، هذه مشكلتي.

لن اقول لك انني اشتقت اليك لأنك لن تصدقيني. لن اقول لك انني لم ارد على رسائلك لأنني اخشى ان اغرم بك مجدداً..

لا اصدق ايها من هذا فعلاً. لكنني ادعه يكمل محاولة تفسير ما لا يمكن تفسيره. ها نحن، في مقهى عادي، لا شيء مميز، في كولونج سو ساليق، قرية على حدودنا مع فرنسا تبعد ربع ساعة عن مكان عملي. وبقية الزبائن ما هم إلا سائقي شاحنات وعمال من مقلع قريب.

انا المرأة الوحيدة، باستثناء العاملة على المشرب، التي تنتقل من طرف إلى آخر، مفرطة التبرج تمارح الزبائن بنكات طريفة.

اعيش جحيماً حياً منذ ان ظهرت في حياتي، يوم اتيت لمقابلتي في مكتبي، تبادلنا الحميمية..

(تبادلنا الحميمية،) صورة بلاغية. لعقت عضوه. هو لم يفعل لي شيئاً.

لا يسعني القول انني تعيس، لكنني ازداد وحدة، مع ان احداً لا يعلم. حتى عندما اكون مع الأصدقاء، حين يكون الجو رائقاً والمشروبات مذهلة والحديث شيقاً وأنا أبتسم. فجأة، وبلا سبب، اعجز عن التنبه للحديث. اقول ان عندي ارتباطاً وارحل. اعرف من أفتقده، أنت..

أن الأوان لانتقم، الا تعتقد أنك في حاجة إلى الاستشارة الزوجية؟
بلى. لكن سيكون عليّ الذهاب برفقة ماريان، ولا أستطيع
إقناعها. ففي نظرها، الفلسفة تفسر كل شيء. لاحظت أنني
مختلف، لكنها تعزو ذلك إلى الانتخابات.

كان الشامان على حق عندما قال إن علينا المضي في الأمور
حتى النهاية. في هذه اللحظة، أنقذ جاكوب زوجته من تهمة
خطيرة بالاتجار بالمخدرات.

أخذت على عاتقي مسؤوليات كثيرة جداً ولم ألفها بعد.
بحسب قولها، سألف كل شيء قريباً. ماذا عنك؟.

ماذا عنّي؟ ماذا بالضبط تريد أن تعرف؟

تهشمت كل جهودي في المقاومة لحظة رأيته يجلس وحيداً
إلى طاولة في الزاوية أمامه كأس كامپاري مع الصودا، وابتسم
حين رأيته أدخل. نحن مراهقان من جديد، لكن الفرق هذه المرة
أن بإمكاننا شرب الكحول من دون خرق القانون. أمسك بيديه،
المتجمدتين من البرد، أو الخوف. لست أدري.

أقول إنني بخير. اقترح أن نلتقي في وقت أبكر المرة المقبلة. انتهى
الدوام الصيفي والعطلة تحل بسرعة.

يوافقني ويطلع على شفتي قبلة خجولة، قلقاً من لفت انتباه
الرجال حولنا.

أنا أرى أن أسوأ الأمور هي الأيام الحلوة المشمسة في هذا الخريف.
أفتح الستائر في مكثبي وأرى الناس في الخارج، يمشي بعضهم متشابكي
الأيدي غير عابئين بالعواقب. أما أنا، فاعجز عن إظهار حبي.

الحب؟ هل أشفق ذاك الشامان الكوبي عليّ وطلب العون من
أرواح غامضة؟

توفعتُ كل شيء تقريبًا من هذا اللقاء، باستثناء رجل يفتح لي روحه كما يفعل الآن. يخفق قلبي القوي بالقوى، من الفرح، من الدهشة. لن أسأل لم يحدث ذلك.

ليس الأمر أنني اغار من الآخرين. أنا فقط لا أفهم لم يمكنهم أن يسعدوا ولا يمكنني ذلك.

يدفع قيمة الفاتورة باليورو. نعبّر الحدود مشيًا ونسير باتجاه سيارتنا المكونتين في الطرف الآخر من الشارع، أي سويسرا. لم يعد ثمة وقت لعرض العواطف. نتبادل في الوداع قبلاً ثلاثاً على الخدين ويثجه كل منا إلى قدره.

كما حدث لي في نادي الغولف، أعجز عن القيادة لدى وصولي إلى السيارة. أرتدي وشاحاً بقلنسوة لأتقي البرد وأبدأ بالسير بلا وجهة في أرجاء القرية. أمر بمكتب بريد ومحل مصفف شعر. أرى مشرباً مفتوحاً، لكنني أرتأي المشي لأروح عن نفسي.

أفتح الستائر في مكتبي وأرى الناس في الخارج، يمشي بعضهم متشابكي الأيدي غير عابئين بالعواقب. أما أنا، فأعجز عن إظهار حبي. هكذا قال.

وعندما شعرت أن لا أحد، لا أحد مطلقاً، قادر على فهم ما يجري في داخلي - لا شامان ولا محلل نفسي ولا حتى زوجي - تجسدت أنت لتشرح ذلك لي...

إنها الوحدة. مع أنني محاطة بأحباء يهتمون لأمرى ويتمنون لي الأفضل، من المحتمل أنهم يحاولون مساعدتي فقط لأنهم يشعرون بما أشعر به، الوحدة. ولهذا، في لفظة تكافل، سترى هذه الجملة محفورة على حجر، أنا نافع، وإن كنت وحيداً.

مع أن العقل يقول إنَّ كلَّ شيءٍ بخير، فالروح ضالة، مرتبكة، لا تُدري لِمَ الحياةُ مُجحفةٌ بحقِّها. مع هذا، نستيقظ في الصباح، ونعتني بأولادنا، وأزواجنا، وأحببتنا، ومديرينا، وموظفينا، وتلاميذنا... لفيف الناس ذاك الذي يجعل يوماً عادياً نابضاً بالحياة.

وغالباً ما نرسم البسمات على وجوهنا ونتفوه بكلمات تشجيع، لأنَّ أحداً لا يسعه تفسير وحدته للآخرين، خصوصاً عندما يرافقنا يوماً ناس أخيار. لكن هذه الوحدة موجودة وتاكل أفضل ما بنا لأنَّ علينا جميعاً أن نستهلك طاقتنا كلها لنبدو سعداء، على الرغم من أننا لن نتمكن يوماً من خداع أنفسنا. لكننا نصر، كلُّ صباح، على إظهار الوردة المفتحة فقط، ونخفي ساقها الشوكية التي تجرحنا وتجعلنا ننزف.

وعلى الرغم من معرفتنا أن الجميع شعروا في مرحلة ما بوحدة تامة مطلقة، فإنها لإهانة أن يقول واحدنا «أنا وحيد، احتاج إلى الرفقة». عليَّ قتل هذا الوحش الذي يخاله الجميع خيالياً كتنين في حكاية، لكنَّه ليس كذلك. لكنَّه ليس كذلك. أنا أنتظر وصول فارس أصيل شريف، بكلِّ مجده، ليهزمه ويقذف به إلى الهاوية إلى الأبد. لكنَّ ذاك الفارس لا يأتي.

مع ذلك، لا يمكن أن نفقد الأمل. نبدأ بفعل أمور لا نفعلها في العادة، مُتجزئين على تخطي العقول والضروري. ستكبر الأشواك أكثر وتكثُرنا أكثر، لكن لا يسعنا أن نستسلم في منتصف اللرب. ينتظر الجميع معرفة النتيجة، كما لو أنَّ الحياة لعبة شطرنج ضخمة. ندَّعي أننا لا نكثُر للربح أو الخسارة، التناقص هو المهم. نحيز مشاعرنا الحقيقية لتبقى ظليلاً ومحجوبة، لكن عندها...

...بدل البحث عن الرفقة، نفعلز أكثر لكي نبلسم جراحنا
في صمت. أو نخرج لتناول العشاء أو الغداء مع أشخاص لا علاقة لهم
بحياتنا ونصرف الوقت كله ونحن نتكلم كلامًا تافهًا. حتى أننا
نتسلى قليلاً بالشرب والاحتفال، غير أن التنين يصمد حتى يرى
المقربون إلينا أننا نشكو من علة، ويبدأون بلوم أنفسهم على أنهم لم
يحققوا لنا السعادة. يسألون ما المشكلة. ونقول إن كل شيء بخير،
لكن...

كل شيء رهيب. أرجوك، دعني وشاني، فقد جفّ دمي
وتحجر قلبي. أعيش الأرق والفراغ والفتور، وإن أنت سألت روحك،
لأجابت بأنها تشعر بمثل شعوري. لكنهم يصرون على أنها مجرد
مصاعب، مجرد اكتئاب، لأنهم يخشون استعمال الكلمة الحقيقية
اللعينة: الوحدة.

في هذه الأثناء، نواصل البحث عن الشيء الوحيد الذي يسعدنا:
الفارس بدرعه اللامع الذي سيذبح التنين، ويقطف الورد، ويقطع
الأشواك. يدعي كثيرون أن الحياة مُحجفة. ويسعد آخرون
لاعتقادهم بأن هنا بالضبط ما نستحقه: الوحدة، التعاسة. لأننا
نملك كل شيء وهم لا يملكونه.

لكن ذات يوم، يُصبح الأعمى بصيرًا. ويعرف الحزين السلوان،
والمعذب يجد خلاصه. يأتي الفارس لنجدتنا، وتُصان حياتنا من
جليد.

مع هذا، عليك أن تكذب وتغش، لأن الظروف مختلفة هذه المرة.
من منا لم يشعر بالحاجة الملحة إلى التخلي عن كل شيء والسعي
إلى حلمه؟ الحلم محمّل بالمخاطرة دومًا، لأن ثمة ثمنًا ندفعه. الثمن

هو الموت رجماً في بعض البلدان، أو النبذ الاجتماعي أو اللامبالاة في بلدان أخرى. لكن ثمة ثمناً ندفعه على الدوام. وتستمر في الكذب، ويستمر الناس في الادّعاء بأنهم لا يزالون يصدقونك، لكنهم في سرهم يغارون منك، يفتابونك، يقولون إنك أخطر الناس واسوأهم. لا يكون الرجل زانياً، بل يُغفر له، حتى أنه يكون محط إعجاب في الغالب، أما المرأة، فهي زانية، تخون زوجها المسكين، المتفهم والمُحب على الدوام...

لكن أنت تعرف وحدك أن هذا الزوج عاجز عن ردع الوحدة. لأنه يفتقر إلى شيء تعجز أنت عن وضع إصبعك عليه، لأنك تحبه ولا تريد أن تخسره. لكن غواية فارس بهي بعدك بمغامرة في بلاد بعيدة أقوى من رغبتك في أن يبقى كل شيء على حاله، حتى لو حذق إليك الناس في الحفلات وتهامسوا بأن ربط عنقك برحى ورميك في البحر، سيكون أفضل من الإبقاء عليك مثلاً سيئاً.

وما يزيد الطين بلة أن زوجك يتحمل كل شيء بهدوء. لا يتذمر ولا تثور ثائرتة. يؤمن بأن الأمر سيمر. تعلم أنت أيضاً أنه سيمر، لكنه الآن أقوى منك.

هكذا تسري الأمور شهر، شهرين، سنة... والكل يتحملها بهدوء. لكن لا يتعلق الأمر بطلب الإذن. تسترجع ما مضى في ذهنك وترى أنك أنت أيضاً كنت تفكر مثل أولئك الناس الذين يشيرون إليك الآن بإصبع الاتهام. كنت أيضاً تحكم على أولئك الذين عرفت أنهم زناة وتخيّل أنك لو عشت في مكان آخر، لكان الرجم هو العقوبة. إلى أن يحلّ اليوم الذي يحدث فيه ذلك لك. فتأتي بالذرائع كلها لتبرز سلوكك، وتقول إن من حقك أن تكون سعيداً،

ولو لوقت قصير، لأن الفرسان قتلوا التنانين موجودون في الحكايات فقط. التنانين الحقيقية لا تموت أبداً، لكن، من حقت أن تعيش حكاية من حكايات الراشدين ولو مرة واحدة في حياتك.

ثم تحلّ اللحظة التي حاولت تجنبها مهما كلفك ذلك من أثمان، لحظة كنت تؤجلها منذ زمن، لحظة اتخاذ القرار بأن تبقى مع شريك أو أن تنفصلا إلى الأبد.

لكن يرافق هذه اللحظة الخوف من ارتكاب خطأ، مهما كان هرارك. وتأمل أن يقوم أحدهم بالاختيار عنك، أن يطردك من المنزل أو من الفراش، فمن المستحيل البقاء على هذه الحال. في النهاية، لم نعد شخصاً واحداً، بتنا اثنين أو أكثر، والواحد مختلف تماماً عن الآخر. وبما أنك لم تمر بهذه التجربة من قبل، لا تدري إلى أين ستؤول بك. الواقع أنك الآن تواجه وضعاً سيسبب المعاناة لشخص، أو اثنين أو أكثر.

لكن في الغالب، سيدمر ك، مهما كان هرارك.

السير لا يتحرك. اليوم من بين الأيام كلها!

تتصرف جنيف، بسكانها الذين يقل عددهم عن منتي ألف، وكأنها مركز العالم. ثمة أشخاص يصدقون ذلك ويأتون على طول اللرب من بلدانهم لاستضافة ما يسمونه .القمم. تجري هذه اللقاءات في العادة في ضواحي المدينة، ويندر أن تتأثر بها حركة المرور. نلمخ بالأكثر بضع طائرات مروحية تحلق فوق المدينة.

لا ادري ماذا حدث اليوم، لكن أحد الطرق الرئيسية مقطوع. قرأت صحيفة اليوم، لكني لم اقرأ الأبواب المتعلقة بالمدينة والأخبار المحلية. اعرف أن قوى عالمية رئيسية ترسل ممثلها إلى هنا للتباحث في خطر انتشار الأسلحة النووية، على أرض حيادية.. وهل يؤثر ذلك في حياتي؟ كثيرًا. لا يمكنني أن اتأخر. كان حريًا بي أن أستقل النقل العام بدل السيارة الحمقاء.

كل سنة، تصرف أوروبا نحو سبعة وأربعين مليون فرنك سويسري (أكثر من ثمانين مليون دولار أميركي) على استئجار رجال تحرّ خصوصيين مختصين في تعقب زوج الزبون أو زوجته، وتصويره وتقديم البرهان على خيانتة. ففي حين أن باقي القارة في أزمة والشركات تُشهر إفلاسها وتصرف عمالها، شهدت سوق الخيانة نموًا هائلًا.

ليس رجال التحري من يستفيدون فحسب، فقد ابتكر مطورو البرامج تطبيقات للهواتف الذكية مثل تطبيق SOS Alibi. طريقة عمله بسيطة، في وقت محدد، يقوم التطبيق بإرسال رسالة لطيفة إلى شريكك وذكائك لا تزال في مكتبك. أي، بينما يكون الرجل في الفراش يحتسي مع امرأة الشمبانيا أو العكس، تظهر رسالة على هاتف شريكك تُخبره بأنك ستتأخر في العمل بسبب اجتماع غير متوقع. ويُقدّم Excuse Machine وهو تطبيق آخر، سلسلة من الأعذار بالفرنسية، والألمانية، والإيطالية- ويمكنك أن تختار العذر الأنسب حسب الظروف.

علا عن رجال التحري والمبرمجين، تحتل الفنادق المرتبة الأولى. وفق الإحصائيات الرسمية، إذا احتسبنا واحداً من أصل سبعة راشدين في سويسرا يمارس علاقات خارج الزواج، واخذنا في الاعتبار عدد المتزوجين في البلد، نجد أربعمئة وخمسين ألف شخص يبحثون عن غرفة بعيداً عن الأنظار حيث يمكنهم التلاقي. لجذب الزبائن، قال مدير أحد الفنادق الفخمة ذات مزة، لدينا نظام يُتيح بإظهار المدفوعات عبر بطاقات الائتمان على أنها فواتير لقاء غداء في مطعمنا.. أصبح هذا الفندق مفضلاً لدى أولئك المستعدين لرمي ستمئة فرنك سويسري لقضاء فترة بعد الظهر من يوم واحد. وأنا متوجهة إلى هناك بالضبط.

بعد مرور نصف ساعة من التوتر، أترك سيارتي مع موظف يهتم بركن السيارات الخاصة، وأهرع إلى الغرفة. بفضل خدمة البريد الإلكتروني لديهم، أعرف تماماً إلى أين علي الذهاب من دون أن اضطر إلى المرور بمكتب الاستقبال.

من المقي على الحدود الفرنسية إلى حيث أنا الآن، لم أحتج إلى شيء آخر - لا تبريرات، ولا وعود بالحب، ولا حتى تحديد لقاء آخر - لكي نتأكد من أن هذا ما نريده. خاف كل منا من التفكير كثيرا والتراجع، لذا اتخذ القرار من دون أسئلة أو إجابات.

لم نعد في الخريف، إنه الربيع. أنا في السادسة عشرة من جديد، وهو في الخامسة عشرة. استعلتُ بغموض غنرية رُوحِي (مادام جسدي فقد إلى الأبد). نتبادل القبل. إلهي، كُنْتُ قد نسيت طعمها على ما اعتقد. كُنْتُ أحياناً عما كُنْتُ أريده، ما علي فعله وكيفية فعله، ومتى علي التوقف، وتقبل الأمر نفسه من زوجي. كان كله خطأ. لم يعد واحدنا يستسلم للآخر تماماً.

قد يتوقف الآن. لم نتخطِ التقبيل من قبل. كانت قبلة مطولة ولذيذة، تبادلناها في زاوية مخفية من المدرسة، مع أنني أردت أن يراني الجميع ويحسدوني.

لا يتوقف. طعم لسانه مر، كمزيج من الدخان والهودكا. أنا مُحَرَّجة ومشدودة، اعتقد أنني احتاج إلى تدخين سيجارة واحتساء بعض الهودكا لتعادل. ادفعه عني بلطف، اتوجه إلى ثلاجة المشروبات واتجزع قنينة صغيرة من الجين دفعة واحدة. تحرق الكحول حلقي. أطلب سيجارة.

نُعطيني واحدة، لكن ليس قبل أن يذكرني بأن التدخين ممنوع في الغرفة. خَرَقُ القوانين يولد شعوراً جميلاً جداً، حتى إن كان تافهاً إلى هذه الدرجة! اسحب نفساً واحداً وأشعر بالإعياء. لا أدري إن كان الجين هو السبب أو التدخين، أدخل إلى الحمام وألقي السيجارة في المرحاض من باب الأمان. يلحق بي، يمسكني من الخلف،

ويُقبل مؤخرة عنقي واذني. جسمه ملتصق بجسمي، وأشعر بانتصاب قضيبه في ظهري.

أين أخلاقياتي؟ ماذا سيحدث عندما أغادر هذا المكان وأستأنف حياتي الطبيعية؟

يسحبني إلى الغرفة. أستدير، وأقبل شفتيه ولسانه الذي له طعم التبغ، واللعب، والهودكا. أعض شفتيه ويلامس نهدتي للمرة الأولى منذ أن كنّا في الثانوية. أخلع فستانني وأقذف به إلى الزاوية. أخجل من جسدي هنيهة. لم أعد فتاة أيام ذاك الربيع في المدرسة. نبقى واقفين. الستائر مفتوحة وبحيرة. ليمان، هي الحاجز الوحيد بيننا وبين الناس في المباني على الضفة البعيدة.

اتخيل أننا يرانا، ويُهيجني ذلك أكثر من تقبيله نهدتي. أنا فاسقة، عاهرة استاجرها رجل إداري ليضاجعها في فندق، وهي مستعدة كلياً لفعل أي شيء.

لكنّ هذا الشعور لا يستمر طويلاً. أنا في السادسة عشرة من جديد، يوم كنتُ استمني عدّة مرّات في اليوم وأنا أفكر فيه. أشدّ راسه نحو صدري وأطلب منه أن يعض حلمتي بشدّة، وأصرخ قليلاً من الوجع واللذة.

لا يزال مرتدياً ثيابه، وأنا عارية كلياً. أبعد راسه وأطلب منه أن يلعق أماركني. لكنّه بدلاً من ذلك، يرمي بي على السرير، يخلع ملابسه، ويجثم فوقي. تبحث يلاه عن شيء على الطاولة بجانب السرير. يخلّ ذلك بتوازننا ونسقط أرضاً. إشارة أكيدة إلى كوننا مبتدئين. لكننا فعلاً مبتدئان ولا نخجل من ذلك.

يجد ما يبحث عنه، إنه واقٍ ذكري. يطلب مني أن أضعه بضمي.

أفعل، كمبتدئة غرة تفتقر إلى البراعة. لا أفهم ما اللاعي له. لا
أصدق أنه يظنني أضاحج الجميع وأنني قد اكون مصابة بشيء
ما. لكنني أحترم رغبتة. لا تزال نكهة المطاط المزعجة في فمي، لكنني
عازمة على تعلم كيفية القيام بذلك. لا ادعه يظن أنها المرة الأولى
التي استعمل فيها أحد هذه الأشياء.

عندما أنتهي، يقلبني ويطلب مني أن أجتو على ركبتني ويدي.
إلهي! الأمر يحدث! وأنا سعيدة.

لكنه يبدأ بولوجي من شرجي بدلاً من مهيلي. ارتعب. أسأله
ماذا يفعل، لكنه لا يجيب، يأخذ شيئاً آخر فحسب من الطاولة
بجانب السرير ويمسح شرجي به. أعتقد أنه هازلين، أو شيء شبيه
به ثم يطلب أن استمني. وببطء، يلجني.

أتبع تعليماته، شاعرة من جليد بأنني مراهقة ترى في الجنس
أمراً محرماً. إنه مؤلم. آه كم أنه مؤلم. أعجز عن الاستمنااء- أشد
الملاءات واعض على شفتي لنألاً أصرخ من الألم.

يقول أمراً، «قولي إنه مؤلم. قولي إنك لم تفعلي هذا يوماً.
أصرخي».

مرة أخرى، أطيع أمره. إنها الحقيقة تقريباً؛ فعلته أربع مرات
أو خمساً، لكنه لم يرقني يوماً.

تشتد حركته. ينن من اللذة. وأنا، من الألم. يشدني من
شعري كما يشد حيواناً أو فرساً، ويسرع وتيرته. يسحب قضيبه
بحركة واحدة، يمزق الواقعي، يقلبني، ويقنف على وجهي.

يحاول ضبط انبته، لكنه أقوى من سيطرته على نفسه. ينحني

فوقي ببطاء. انا مرتاعة ومذهولة في آن من ذلك كله. يذهب إلى الحمام، يرمي الواقي في سلة المهملات، ويعود.

يتمدد إلى جانبي، يُشعل سيجارة أخرى ويستعمل ككوب القودس كما منفضة، واضعاً إياه على بطني. نحدّق طويلاً إلى السقف، صامتين. يُداعبني. لم يعد الرجل العنيف الذي كان منذ لحظات، بل الشاب الرومنسي الذي ألف محادثتي عن المجزات وعلم الفلك في المدرسة.

لا يُمكننا ترك أي روائح..

كلماته عودة قاسية إلى الواقع. على ما يبدو، ليست هذه المرة الأولى بالنسبة إليه. هذا يُفسر أمر الواقي والتفاصيل التي تشنّد على إعادة كلّ شيء في الغرفة كما كان قبل أن ندخلها. أشتّمه في سري وأكرهه، لكنني أفتّع ذلك بابتسامة واساله إن كان لديه أي نصائح لإزالة الروائح.

يطلب منّي أن أستحمّ عندما أصل إلى المنزل قبل معانقة زوجي. ويقترح كذلك أن أرمي سروالي التحتي لأنّ القازلين سيبقّعه.

إذا كان في المنزل، ادخلي راكضة، فائلة إنك تستميتين للاستحمام..

أقرف من نفسي. انتظرتُ طويلاً لكي أتصرف مثل نمرّة، وانتهى بي الأمر إلى استغلالي مثل فرس. لكنّها الحياة، لا يقرّ بالواقع أبناً من استيهاماتنا الرومنسية في زمن المراهقة.

تمام، سأفعل ذلك.

أودّ أن أراك مرة أخرى..

حسنًا. لم يتطلب الأمر سوى تلك الجملة البسيطة لتحوّل ما

بدا جحيماً، غاطلة، هفوة، إلى نعيم. نعم، أود أن أراك أنا أيضاً مرة أخرى. كنت متوترة وخجولة، لكن المرة المقبلة ستكون أفضل.

في الواقع، كانت رائعة..

نعم، كانت رائعة. أدرك ذلك الآن فقط. نعلم أن نهاية هذه القصة محتومة، لكن لا يهم الآن.

لا اضيف كلمة أخرى. استمتع فقط باللحظة إلى جانبه وانتظر أن ينهي سيجارته قبل أن ارتدي ملابسني وأسبقه إلى الأسفل. سأغادر من الباب نفسه الذي دخلت منه.

سأركب السيارة نفسها وسأقود إلى المكان نفسه الذي أرجع إليه كل ليلة. سأدخل راكضة، قائلة إنني مصابة بغسر الهضم واحتاج إلى قضاء حاجتي. سأستحم، مزيله القليل الذي بقي منه علي. وعندئذ فقط، سأقبل زوجي وولدي.

تعارضت نياتنا في غرفة الفندق تلك.

كنتُ أسعى إلى رومنسية مفقودة، وحرّكته هو غريزة صياد.

كنتُ أبحث عن الفتى من مراهقتي، وأراد هو المرأة الجذابة والجريئة التي ذهبت إلى إجراء مقابلة معه قبل الانتخابات. اعتقدتُ بأن حياتي قد تتخذ اتجاهًا آخر، وفكر هو أن بعد ظهر ذلك اليوم سيعني شيئًا مختلفًا غير المناقشات المضجرة التي لا تنتهي في المجلس الاتحادي.

بالنسبة إليه، كان مجرد لهو بسيط، لكن خطير. بالنسبة إليّ، كان شيئًا وحشيًا لا يُغتفر، عرضًا للنرجسية المخبولة بالأنانية. يخون الرجال لأن ذلك في شيفرتهم الوراثية. وتغش المرأة لأنها لا تملك من الكرامة إلا النزر، فبالإضافة إلى تسليم جسدها، ينتهي بها الأمر دومًا إلى تسليم قليل من قلبها. جريمة حقّة. سرقة. إنها أسوأ من السطو على مصرف، لأنها إن هي ضُبطت يومًا (وتُضبط دومًا)، ستُلقى بعائلتها ضررًا لا يُعوّض.

في نظر الرجال هي «غلطة حمقاء». وفي نظر النساء، تبدو وكأنها جريمة روحية بحقّ كلّ من يغمرها بالعطف ويُساندها كأم وزوجة.

وانا مستلقية إلى جانب زوجي، اتخيل جاكوب مُستلقياً إلى جانب ماريان. تقلقه مشاغل أخرى، اجتماعات سياسية في الغد، مهمات تستدعي الإنجاز، جدول أعماله الحافل، في حين أنني، انا البلهاء، أحتق إلى السقف واستحضر كل ثانية قضيتها في ذاك الفندق، أشاهد الفيلم الإباحي نفسه مراراً وتكراراً، حيث كنت البطلة.

أتذكر اللحظة التي نظرتُ فيها من النافذة وتمنيتُ لو أن أحداً يراقبنا بمنظاره - لعله يستمني أيضاً وهو يراقبني وأنا أقبل الخنوع، والذل، وولوجي من الخلف. مجرد التفكير بذلك هيجني! أفقدني صوابي ودفعني إلى استكشاف جانب من نفسي كنت غافلة عنه.

أنا في العقد الثالث من عمري. لست ولداً، وحسبت أنني استنفدت كل شيء ولم يعد بي ما يلحق إلى استكشافه، فتحتُ بوابات الفيضان وأريد أن أمضي بعيداً، أن أجذب كل ما أعلم بوجوده: المازوشية، الجنس الجماعي، الشبق، كل شيء.

اعجز عن القول أنني لا أريد مزيداً، أنني لا أحبه، أو إن ما حدث كان مجرد استيهام ولدته وحلتي.

لعلني لا أحبه فعلاً. لكنني أحب ما أيقظه في. عاملني باحتقار كلي، وجردني من كرامتي. وبلا رادع، فعل بالضبط ما أراد فعله، بينما جهلت مرة أخرى في محاول إرضاء أحدهم.

يرتحل ذهني إلى مكان سري وغير مألوف. هذه المرة أنا المسيطرة. هو عار، لكنني الأمرة الآن. أوثق يديه ورجليه، وأجلس على وجهه وأرغمه على تقبيل مهبلي إلى أن اعجز عن تحمّل مزيد من النشوة. ثم ألقبه وأدخل أصابعي في شرحه: واحداً أولاً، ثم اثنين، فثلاثة.

يتأوه من الألم واللذة فيما اداعب فضيبه بيدي الأخرى، وأحسن
بالسائل الساخن يسيل على أصابعي. أقربها من فمي، والعقها،
أصبغاً تلو الإصبع، قبل أن أمسح وجهه بها. يتوسلني طالباً للزبد.
أقول إن هذا يكفي. فانا المسيطرة!

قبل أن أنام، أستمع وانتشي مرتين على التوالي.

إنّهُ المشهد نفسه اليوم، ككل صباح، يقرأ زوجي الأخبار اليومية على جهاز الآي- باد، يجلس الولدان مُستعدين للذهاب إلى المدرسة، تتسلل الشمس من النافذة، وأدعي القلق وأنا ارتعد خوفاً حتّى الموت من أن يشتبه أحد منهم بشيء.

تبدلين أكثر سعادة اليوم.

أبدو أكثر سعادة، وأنا كذلك، لكن لا يجدر بي ذلك. كانت تجربة أمس خطراً على الجميع، خصوصاً عليّ أنا. هل من ريبة مُبطّنة في تعليقه؟ أشك في ذلك. هو يصدّق كل ما أخبره به. ليس لأنّه أحمق- وهو أبعد ما يكون عن ذلك- بل لأنّه يثق بي.

وهذا يزيد استيائي. لست أهلاً للثقة.

في الواقع، بلى، أنا أهل لها. مضيت إلى ذلك الفندق بحجج كاذبة. هل هذا عذرٌ وجيه؟ لا. إنّهُ فضيلع، لأنّ أحناً لم يرغمني على الذهاب إلى هناك. باستطاعتي الادّعاء أنّي كنت أشعر بالوحدة ولم أكن ألقى الاهتمام الذي احتاج إليه، بل التفهّم والتسامح فقط. باستطاعتي أن أقول لنفسي إنّني احتجتُ إلى من يتحدّاني، من يواجهني، ومن يُشكّك في ما أفعل. باستطاعتي الادّعاء أنّ ذلك يحدث للجميع، ولو في أحلامهم فقط.

لكن في الصميم، ما جرى بسيطٌ جدّاً، ضاحجتُ رجلاً لأنّني

كنت استميت لمضاجعته. لا أكثر. لا تبرير فكرياً أو نفسياً. أردت أن أمارس الجنس. نقطة على السطر.

اعرف أشخاصاً تزوجوا طلباً للأمان، والجاه، والمال. كان الحب آخر بند على اهتماماتهم. لكنني تزوجت من أجل الحب.

لمَ إذا فعلت ما فعلت؟

لأنني أشعر بالوحدة. لمَ؟

يقول، جميل جداً أنا أراك سعيدة..

أقول نعم إنني سعيدة، سعيدة حقاً. الصباح الخريفي جميل، المنزل مرتّب ونظيف، وأنا مع الرجل الذي أحب.

ينهض ويقتلني. يبتسم الولدان، حتى ولو أنهما لم يفهما تماماً فحوى حديثنا.

وأنا مع المرأة التي أحب. لكن لمَ تقولين لي هذا الآن؟..

ولمَ لا أقوله الآن؟

إنه الصباح. أريد أن تركزيه هذه الليلة، عندما نكون معاً في الفراش..

يا إلهي، من أنا؟ لمَ أقول هذه الأمور؟ لنألاً يشتبه بشيء؟ لمَ لا أتصرف كما أفعل كل صباح وأؤدي دور المرأة الفاعلة التي تهتم بمصلحة أسرتهما؟ ما معنى عروض العواطف هذه؟ إن أبديت كثيراً من العطف، فقد يرتاب.

يقول، وهو يرجع إلى مكانه على المائدة، لا يُمكنني العيش من دونك..

أنا تائهة. لكن الغريب أنني لا أشعر بأي ذنب مما حدث أمس.

عندما أصل إلى العمل، يُثني رئيس التحرير عليّ. المقالة التي اقترحتها نُشرت هذا الصباح.

تلقينا كثيرًا من الرسائل الإلكترونية التي أرسلت إلى غرفة الأخبار تُثني على القصة مع الرجل الكوبي الغامض. يريد الناس معرفة هويته. إذا سمح لنا بنشر عنوانه، فسيزدهر عمله فترة طويلة..

الشامان الكوبي! إذا قرأ الصحيفة، فسيرى أنه لم يخبرني قط بأي شيء مما ورد في المقالة. استقيت كل ما كتبته عن الشامانية، من مدونات تناولتها. يبدو أن أزماتي لا تقتصر على المشكلات الزوجية، بل أنني أبدأ بالانحطاط مهنياً.

أذكر لرئيس التحرير اللحظة التي نظر فيها الشامان إلى عينيّ وهندني إن كشفت هويته. يقول إن ما يزعمه الشامان غير قابل للتصديق ويسأل إن كان بإمكانني تزويد زوجته بعنوانه. هي متوترة للغاية مؤخرًا.

الجميع متوترون للغاية، بمن فيهم الشامان. لا يسعني أن أعد بأي شيء، لكنني سأتكلم معه.

يطلب إليّ أن أتصل به الآن. أتصل، وأفاجأ برّد فعل الرجل الكوبي. يشكرني على صدقي وعلى إبقاء هويته سرًا ويمدح

معرفتي الموضوع. أشكره، أخبره عن ردود الفعل على المقالة، وأسأل إن كان بوسعنا تحديد لقاء آخر.

لكننا تحدثنا ساعتين! والمادة التي في حوزتك يجب أن تكون أكثر من كافية!..

أشرح أن العمل الصحفي لا يجري على هذا النحو. ما نُشر استمدَّ إلى القليل من تلك الساعتين. كان عليّ إجراء البحث عن معظم ما نُشر. الآن عليّ أن أقارب الموضوع بطريقة مختلفة.

لا يزال مديري واقفاً إلى جانبي، يستمع إلى حديثي ويؤشر لي. أخيراً، عندما يوشك الشامان أن ينهي للكلمة، أصرّ عليّ أن المقالة كانت ناقصة. عليّ أن أسبر الدور الأنثوي في هذا المسعى، الروحاني، وأن زوجة مديري تؤدّ لقاءه. يضحك. لن أفسخ البتّة الصفقة التي أجريتها معه، لكنني أشدّ على أن الجميع يعلمون أين يقطن ودوام عمله.

أرجوك، أقبل أو أرفض. إذا كنت لا تريد تكملة الحديث، فساجد شخصاً يفعل ذلك. كثيرون من يدعون أنهم خبراء في علاج المرضى الذين يوشكون أن ينهاروا عصبياً. طريقتهم مختلفة، لكنك لست الشافي الروحي الوحيد في المدينة. اتّصل بنا كثر هذا الصباح، ومعظمهم من الأفارقة، وهم يتطلّعون إلى إبراز عملهم، وجني المال، ولقاء أشخاص مهمين يُمكنهم حمايتهم في حال الترحيل.

يتردّد الكوبي في البداية، غير أن غروره وخوفه من المنافسة يبرزان أخيراً. نُحدّد اللقاء في منزله في قرية قيريه.. اتوق إلى رؤية أسلوب عيشه، سنيحي ذلك المقالة.

نحن في غرفة صغيرة من عُرف منزله حوّلت مكتباً. على الحائط مخططات تبدو كأنها مستوردة من الهند، مواضع مراكز الطاقة،

اسفل القدمين مع مسارات الطاقة عليها. بلورات عدة موضوعة فوق قطعة اثاث.

سبق ان اجرينا حديثاً شيقاً جداً حول دور المرأة في الطقوس الشامانية. يشرح لي اننا نختبر جميعاً عند الولادة لحظات من التجلي، ويشيع هذا بين الإناث أكثر من الذكور. المعروف علمياً أن إلهة الزراعة أنثى دوماً، والأعشاب الطبية ادخلتها النساء إلى الكهوف. هن أكثر حساسية في الأمور المتعلقة بالعالم الروحاني والوجداني، وهذا يجعلهن أكثر عرضة للأزمات التي درج الأطباء على تسميتها بالهستيريا. وتسمى اليوم، ثنائية القطب. النزعة إلى الانتقال من الغبطة المطلقة إلى الحزن العميق مرّات عدّة في اليوم. في نظر الرجل الكوبي، تميل الأرواح إلى محادثة النساء أكثر منها إلى الرجال، لأنهن يفهمن بشكل أفضل لغة لا يُعبّر عنها بالكلمات.

أحاول أن أحاكي طريقته في الكلام، هل من المحتمل أن تدفع روح شريرة النساء إلى فعل أمور لا نريد أن نفعلها بفعل هذه الحساسية المفرطة؟

لا يفهم سؤالي. أعيد صياغته. إذا كانت النساء غير متوازنيات عاطفياً إلى حد بعيد للانتقال من السعادة إلى الحزن...

هل استعملت عبارة: غير متوازنيات؟ لم افعل. على العكس. على الرغم من حساسية النساء العالية، فإنهن أكثر توازناً من الرجال.

كما في الحب مثلاً. يوافقني الرأي. أخبره بكل ما جرى لي، وأبداً بالبكاء. لا يتأثر. غير أن قلبه ليس من حجر.

في شأن الزنى، لا ينفع التأمل كثيراً أو لا ينفع البتة. في هذه

الحال، يكون الشخص سعيداً بما حدث. هو يُحافظ على الأمان في علاقته في الوقت نفسه الذي يختبر فيه مغامرة. إنه الوضع المثالي.

ما الذي يدفع الناس إلى الزنى؟

هذا ليس من اختصاصي. رؤيتي للموضوع شخصية جداً، لكن لا ينبغي أن تنشرها..

أرجوك ساعدني.

يُشعل مزيداً من البخور، يطلب إلي أن أترفع إزاءه، ثم يجلس هو في الوضعية نفسها. هو الذي كان هاسياً من قبل، يبدو الآن رجلاً حكيماً لطيفاً، يحاول مساعدتي.

إذا قرّر المتزوجون، لأي سبب يكن، البحث عن شريك آخر، فلا يعني هذا بالضرورة أن علاقة الثنائي لا تجري على ما يرام. ولا اعتقد كذلك أن الجنس هو الدافع الأساسي. الأمر يتعلق بالضجر والافتقار إلى الشغف وقلّة التحديات أكثر مما يتعلق بالجنس. إنها توليفة من العوامل.

ولم يحدث ذلك؟

منذ أن ابتعدنا عن الله، نحيا مخزنيين. نحاول البحث عن الوجدانية، لكننا نجهل طريق العودة، وهكذا، نشعر دائماً بعدم الرضى. يضع المجتمع المحرمات ويشن القوانين، لكن ذلك لا يحل المشكلة..

أشعر بأنني أخفّ، كأنني امتلكت منظوراً آخر منذ الآن. يُمكنني أن أرى ذلك في عينيه، يعرف ما يقول لأنه سبق أن مرّ به. أعرف رجلاً يكون عاجزاً جنسياً عندما كان مع حبيبته.

مع ذلك، أحب أن يكون قريبا، وكانت تترتاح هي أيضا لوجودها
قربه..

أعجز عن لجم نفسي. أسأله إن كان هو هذا الرجل.
نعم. هجرتني زوجتي لهذا السبب. لكنه لا يشكل سببا لاتخاذ
قرار جذري كهذا..

وما كان رد فعلك؟

كان بإمكانني طلب المساعدة الروحية، لكنني كنت سادفَع ثمن
ذلك في حياتي التالية. توخبت علي أن أفهم لم تصرفت هكذا. ولكي
أقاوم التجربة في استعادتها عبر السحر، شرعت في دراسة الموضوع..
حكما، تتحول هيئة الرجل الكوبي إلى هيئة مهني محترف.

حاول باحثون من جامعة تكساس في أوستن الإجابة عن السؤال
الذي يطرحه كثيرون، لم يخون الرجال أكثر من النساء على
الرغم من علمهم بأن تصرفا مماثلا مدقر للذات ويلحق الأذى بمن
يُحبون؟ وخلصوا إلى أن الرجال والنساء يملكون رغبة متساوية في
الخيانة. لكن يصنف أن النساء يتمتعن بدرجة أعلى من ضبط
النفس..

ينظر إلى ساعة يده. اطلب إليه أن يكمل- لعله فرخ بان يشزع
روحه.

اللقاءات السريعة التي لا يُبدي فيها الرجل أي عاطفة، والتي
تهدف حصرا إلى إشباع الشهوات الجنسية، تُتيح الحفاظ على
الأجناس وتوالدها. لا يجدر بالنساء الذكيات لوم الرجال على ذلك.
هم يحاولون مقاومة الرغبة، لكنهم ينزعون إليها بيولوجيا. هل
كلامي اصطلاحيا جندا؟..

لا.

هل لاحظت كيف يهاب البشر العناكب والأفاعي أكثر من السيارات، على الرغم من أن الموت بسبب حوادث السير أكثر شيوعاً؟ يحدث ذلك لأن عقولنا لا تزال تحيا في زمن أهل الكهف، عندما كانت الأفاعي والعناكب قاتلة. ينسحب ذلك على حاجة الرجل إلى اتخاذ عدة نساء. في ذلك الزمن، كان الرجل يصطاد، وعلمته الطبيعة أن الحفاظ على الأجناس أولوية، وأن عليه أن يجعل أكبر عدد ممكن من النساء حوامل.

الم تفكر النساء أيضاً في الحفاظ على الأجناس؟

بالطبع. لكن في حين أن التزام الرجل بدوم إحدى عشرة دقيقة في أقصى حد، تلتزم المرأة بالحمل مدة تسعة أشهر. ناهيك بوجوب رعاية المولود، وإطعامه، وحمايته من الخطر، كخطر العناكب والأفاعي. لذا تطورت غريزة الرجال بشكل مختلف عن غريزة النساء. أصبح العطف وضبط النفس أهم.

هو يتحدث عن نفسه. هو يحاول تبرير ما فعل. أجول بنظري على تلك الخرائط الهندية، والبلورات، والبخور. في الصميم، كنا متشابهون. نقرّف الأخطاء نفسها، ونطرح الأسئلة نفسها من دون أن نلقى إجابة.

ينظر الرجل الكوبي إلى ساعة يده مجنّداً ويقول إن وقتنا قد انتهى. سيصل زبون آخر، وهو يحاول ألا يلتقي المرضى في غرفة الانتظار. ينهض ويسير معي إلى الباب.

لا أريد أن أكون فظاً، لكن أرجو ألا تعود مرة أخرى. لقد قلت كل ما عندي.

جاء في الكتاب المقدس،

وفي إحدى الأمسيات نهض داود عن سريره وأخذ يمشى على سطح قصره، فشاهد امرأة ذات جمالٍ أخاذٍ تستحم. فأرسل داود من يتحرى عنها. فأبلغه أحدهم، «هذه بثشبع بنت اليعام زوجة أورثا الحثي، فبعث داود يستدعيها. فأقبلت إليه وضاجعها إذ كانت قد تطهرت من طمئنها، ثم رجعت إلى بيتها. وحملت المرأة فأرسلت تبليغ داود بذلك.

ثم أمر داود أن يُجفل أورثا، وهو محارب مخلص له، في خطّ المواجهة في المعركة لإتمام مهمة خطيرة. قُتل، وذهبت بثشبع للعيش مع الملك في قصره.

داود، القدوة العظيمة، المحبوب على مدى الأجيال، المحارب الجسور، لم يرتكب الزنى فحسب، بل أمر بقتل خصمه طاعناً إخلاصه وحسن نيته.

لا احتاج إلى تبريرات من الكتاب المقدس في شأن الزنى أو القتل. لكنني أذكر هذه القصة من أيام الدراسة، في المدرسة ناتها التي تبادلت فيها وجاكوب القبل ربيعاً.

مرت سنوات كثيرة قبل أن تتكرر تلك القبل، وعندما تكررت أخيراً، كانت تماماً كما لم اتصورها. بنت خسيصة، أنانية،

منحوسة. لكنها رافقتني في كل الأحوال وأردت أن تتكرر من جديد،
في أقرب وقت ممكن.

التقي جاكوب أربع مرّات في غضون أسبوعين. يتبدّد التوتر
تدريجاً. نمارس الجنس التقليدي وغير التقليدي. لا أزال عاجزة
عن عيش استيهامي في أن أوثقه وأرغمه على تقبيل أماركني حتّى
اعجز عن تحمّل اللذة. لكنني سأفعل.

رويدا رويدا، تفقد ماريان اهفيتهها. امس، كُنت مع زوجها
مجنّدا، ويظهر ذلك مدى صغر شأنها في كلّ ما يجري. لم اعد
اريد ان تكتشف مدام كونيّش امرنا او ان تفكر في الطلاق، لأنّه
بهذه الطريقة، استطيع التلذذ بوجود عشيق من دون ان اضطر
إلى التخلي عن كلّ ما حقّقته بالعمل الجاد وضبط النفس: اعني
ولدي، وزوجي، وعملي، وهذا المنزل.

ماذا سافعل بالكوكابين الذي خبّاته. الكوكابين الذي يُمكن
ان يُعثر عليه في اي لحظة؟ انفقت كثيراً من المال عليه. لا استطيع
ان احاول إعادة بيعه، ساكون على بُعد خطوة واحدة من سجن
،فاندُفّر.. قطعت على نفسي وعداً ألا اتعاطاه بعد الآن. يُمكنني
ان اقدّمه هدية لمن اعرف انهم يحبّونه، لكن قد تتأثر سمعتي،
او يحدث ما هو اسوأ من ذلك، قد يسألون إن كان بإمكانني تأمين
المزيد.

تحقيقي لحلمي في استدراج جاكوب إلى فراشي رفعتني إلى
اعال شاهقة، لكنّه عاد وهبط بي إلى الواقع. اكتشفت أن ما اشعر
به مجرد افتتان، مقدّر له ان ينتهي في أي لحظة، على الرغم من
اعتقادي بأنّه حب. لست مهتمة ولو قليلاً بصونه: سبق ان خضت
المغامرة، وحصلت على لذة التعذّي، على التجارب الجنسية الجديدة،

على الفرخ. كل ذلك من دون ان اشعر باي ندم. أنا أقدم لنفسي
الهدية التي استحقها بعد ان كنت صالحة سنوات كثيرة.
انا في سلام. على الأقل بقيت هكذا حتى هذا اليوم.
بعد أيام كثيرة من النوم الهنيء، أشعر كأن التفتين قد انبعث
مجدداً من الهاوية التي كان قد أقصي إليها.

هل المشكلة تكمن في داخلي أم في اقتراب عيد الميلاد؟ إنه الوقت الذي يُغرقني في الاكتئاب أكثر من سواء، ولا أقصد اضطراباً في الهرمونات أو نقضاً في مواد كيميائية معينة من جسمي. أنا مسرورة لأن الأمور لا تتجاوز حدّها في جنيف كما يحدث في بلدان أخرى. قضيت عطلة الأعياد في نيويورك ذات مرّة. عمّت الأضواء، والزينة، والمرنّمون، والواجهات المزينة، والرّنّة، والأجراس، والنّفث الثلجية الاصطناعية، والشجر الذي تكسوه زينة من كل الحجوم والألوان، والابتسامات الملتصقة على وجوه الجميع في كلّ مكان... أما أنا، فمن المؤكد أنني كنت مسخاً وكنت الوحيدة التي شعرت بأنها دخيلة كلياً. مع أنني لم اتعاطّ الدلّ إس دي يوماً، اعتقد أنك تحتاج إلى جرعة ثلاثية لكي تتمكن من رؤية كلّ تلك الألوان.

هنا، أكثر ما نراه بعض الزينة في الشارع الرئيس، والأرجح أنها للسباح (تبضعوا! خذوا شيئاً لأولادكم من سويسرا!). لكنني لم أقصده بعد، لذا لا يُعقل أن يكون عيد الميلاد خلف شعوري. ليس هناك بابا نويل واحد مُعلّق على موقد مدخنة، ليذكّرنا بوجوب أن نكون سعداء طوال شهر كانون الأول/ديسمبر.

أتقلّب في سريرتي كالعادة. زوجي نائم كالعادة. مارسنا الحبّ الليلة. اضحت ممارستنا له أكثر تواتراً مؤخراً، ولا أدري إن كان ذلك لإخفاء علاقتي الغرامية، أو لأنّ شهوانيّتي قد ازدادت. في

الحقيقة، أصبح يُثيرني جنسيًا أكثر. لا يطرح عليّ الأسئلة عندما أرجع إلى المنزل في وقت متأخر، ولا يُظهر أنّه غيور. باستثناء المرة الأولى، عندما اضطررت إلى الإسراع إلى الحمام منقذة تعليمات جاكوب في محو كل أثر للروائح والملابس الملتصقة. الآن، أجلب معي دومًا سروالًا داخليًا إضافيًا، استحم في الفندق، وأدخل المصعد متبرجة على أتم وجه. لا أبدي أيّ عصبية ولا أثير الشكوك. صادفت مرتين أشخاصًا اعرفهم، وحرصت على إلقاء التحية عليهم وتركهم يتساءلون، «هل تُواعد أحدًا؟». هذا مفيد للأنا وأمنّ كليًا. في النهاية، إذا كانوا في مصعد فندق في المدينة نفسها التي أعيش فيها، فهم منخبون بقلر ذنبي.

اغفو ثمّ اصحو مجتهدًا بعد بضع دقائق. خلق فيكتور فرانكنشتاين وحشه، وسمح الدكتور دجيكل لوحشه بالظهور. لا يُخيفني ذلك حتّى الآن، لكن ربّما عليّ أن أشرع في وضع بضع قواعد لسلوكي.

في داخلي جانب صريح، ولطيف، ومحبّ، ومحترّف، وقادر على الحفاظ على رباطة الجأش في اللحظات الصعبة، خصوصًا في خلال المقابلات، عندما يُظهر بعض الأشخاص العدائية أو يتملّصون من استئتي.

لكنني في صدد اكتشاف جانب أكثر عفوية، وأقل صبرًا، وأكثر جموحًا، جانب لا يقتصر على غرفة الفندق حيث التقى جاكوب، جانب بدأ يؤثر في نمطي اليومي. أغتاض الآن بسهولة عندما يثرثر بائع مع زبون على الرغم من وجود صفّ من الناس في الانتظار. الآن، أذهب إلى السوبرماركت للضرورة فقط، ولم أعد

انظر إلى الأسعار وتاريخ الصلاحية. عندما يقول أحدهم شيئاً لا أوافق عليه، اعتبر أن الرد ضروري. أناقش في شؤون السياسة. ادافع عن أفلام يكرهها الجميع وانتقد تلك التي يحبها الكل. يروقني أن أفاجئ الناس بأراء سخيفة وفي غير محلها. باختصار، لم أعد المرأة الرصينة.

بنا الناس يلاحظون ذلك. يقولون، «أنت مختلفة!». وهم في قولهم هذا على قيد أنملة من قول، «أنت تخفين شيئاً»، الذي لا يلبث أن يتحوّل إلى، «ليس عليك أن تخفي شيئاً إلاّ إذا كنت تفعلين أمراً لا يجدر بك فعله».

قد أكون أعاني نوبة ذعر فقط. لكن اليوم أشعر وكأنني شخصان مختلفان.

كل ما كان على داود فعله هو إصدار الأمر لرجاله لكي يأتوه بتلك المرأة. لم يحتج إلى التبرير. وعندما نشأت المتاعب، أرسل زوجها إلى خطّ المواجهة في الجبهة. الأمر مختلف في حالتي. على الرغم من حشمة السويسريين، يُمسون مختلفين في وضعين اثنين،

الأول في زحمة السير. إذا تباطأ أحدهم هنيهة مكي يستأنف سيره عندما تُضيء الإشارة الخضراء، نُطلق زَمورنا فوزاً. إذا غير أحدهم خط سيره، حتّى لو كانت إشارة الانعطاف تومض، سيتلفى دوماً نظرات احتقار إن نظر في مرآته الخلفية.

والثاني في حال التغيّر الخطير، أقصد تغيير منزلنا، أو وظيفتنا، أو سلوكنا. هنا، كلّ شيء مستقرّ، يسلك الجميع السلوك المتوقع منهم. أرجوك لا تحاول أن تكون مختلفاً أو تُعيد ابتكار نفسك فجأة،

لأنك ستهدد مجتمعنا بأكمله. عمل هذا البلد جاهدا لبلوغ وضعه
المُنجز، لا نريد أن نعود إلى وضع قيد الترميم.

أنا وأسرتي كلها في المكان الذي قُتل فيه وليام، شقيق فيكتور فرانكنشتاين. على مدى قرون، كانت هذه البقعة مستنقعا. بعد أن حوّلت يدا كالفين الهمجية جنيف إلى مدينة محترمة، كان المرضى يُجلبون إلى هنا، إمّا ليموتوا من الجوع في العادة وإما من التعرض لعوامل الطبيعة، وهكذا تبقى المدينة بمنأى من الأوبئة. بلانهايه، شاسعة، هي البقعة الوحيدة في وسط المدينة الخالية من الخضرة. في الشتاء، تنخر الريح العظام لبرودتها. في الصيف، تذيبنا الشمس عرقا. يا للسخافة. لكن منذ متى كان وجود الأمور يحتاج إلى تحليل؟

إنه السبب وثمة تجار أثريات منتشرون باكشاكهم في كل مكان. أصبحت هذه السوق قبلة السياح، حتى أنها تظهر في أدلة السفر على أنها من «الأمور الجيدة التي يجب فعلها». تختلط أثريات من القرن السابع عشر بأجهزة الفيديو. تُعرض منحوتات برونزية من أماكن نائية في آسيا إلى جانب اثاث رائع من الثمانينيات. يعج المكان بالناس. قلة من العارفين الضلع يُعاينون بصبر قطعة ما ويتحدثون مطولا مع البائعين. تجد الغالبية، من السياح والمتفرجين، أشياء لن يحتاجوا إليها أبدا، لكن ينتهي بهم الأمر إلى شرائها لأنها بخسة الثمن للغاية. يرجعون إلى المنزل، يستعملونها مرة، ثم يضعونها في مراب السيارة، وهم يفكرون، «لا نفع منها أبدا، لكن كانت لقطة».

عليّ أن اضبط الولدين طوال الوقت، يريدان لس كل شيء، من الزهرجات الكريستالية القيمة إلى الألعاب الفاخرة من نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. لكن على الأقل هما يتعلمان أن الحياة الذكية تتخطى ألعاب الفيديو.

يسأل واحد منهما إذا كان بإمكاننا شراء مهرج حليدي متحرك الشفتين والأعضاء. يعرف زوجي أن اهتمامهما باللعبة سيدوم مسافة الطريق إلى المنزل فقط. يقول إنها قديمة، وبإمكاننا شراء شيء جديد في طريق عودتنا. في الوقت نفسه، يشتت انتباههما بضع علب من الكُلل، التي درج الأولاد على اللعب بها في الحديقة الخلفية.

أحدّق إلى لوحة صغيرة، لامرأة عارية، مستلقية في الفراش، وملاك يهّم بالابتعاد والرحيل. أسأل البائع عن كلفتها. قبل أن يذكر ثمنها (وهو زهيد)، يشرح أنها نسخة عن الأصل نفّذها رسّام محلي غير معروف. يراقبنا زوجي من دون التفوّه بكلمة، وقبل أن يتسنّى لي شكر الرجل على المعلومات واميضي، يكون قد سند ثمنها.

لم فعلت هذا؟

هي تمثل أسطورة قديمة. عندما نصل إلى المنزل سأخبرك القصة..

أريد أن أعزم به مجدداً. لم أكف عن حبّه - لطلالا أحبته وساحبه دوماً - لكن حياتنا معاً على حافة الرتابة. يمكن للحب أن يصمد إزاءها، لكنها قاتلة للشهوة.

أمرٌ بوقت عصيب للغاية. أعرف أن علاقتي بجاكوب لا مستقبل لها، وأنني أدركت ظهري للرجل الذي بنيت حياة معه.

يكنب من يقول إن الحب كاف.. لم يكن كذلك يوماً ولن يكون أبداً. المشكلة الكبرى هي أن الناس يُصدّقون ما يقرأونه في الكتب ويروونه في الأفلام، طرفاً الثنائي اللذان يسيران على الشاطئ، ويداهما متشابكتان، يُحدّقان إلى الغروب، ويُمارسان الحب الشغوف كل يوم في فنادق جميلة تُطلّ على جبال الألب. فعلتُ وزوجي كل هذا، غير أن السحر يدوم سنة فقط أو سنتين على الأكثر.

ثم، يأتي الزواج. اختيار المنزل وتأثيثه، التخطيط لغرفة الأولاد الذين سننجبهم، تبادل القبلات، والأحلام، تناول نخب من الشمبانيا في غرفة المعيشة الفارغة التي ستصبح قريباً تماماً كما تصوّرناها- كل شيء في مكانه. بعد سنتين على ولادة الولد البكر، يمتلئ المنزل، وإن أضفنا شيئاً، نخاطر في أن نبدو كأننا نحيا للتأثير في الآخرين وسنقضي باقي حياتنا نشري الأثرية وننظفها (التي سيبيعها وريثانا لاحقاً لقاء أغنية ما وسينتهي بها الأمر في سوق «بلانهايه»).

بعد ثلاث سنوات من الزواج، يعرف الواحد مسبقاً مُراد الآخر وما يفكر فيه. في حفلات العشاء، نُجبر على الاستماع إلى القصص نفسها التي سمعناها مراراً وتكراراً، مدّعين التفاجؤ بها على الدوام، وتأكيدها أحياناً. ينتقل الجنس من كونه شغفاً إلى واجب، ولهذا تتباعد ممارسته بشكل متزايد. وما يلبث أن يقتصر على مرة في الأسبوع، هنا إن حدث. تتسكّع النسوة ويتفاخرن بنار أزواجهنّ للتأججة، وهي ليست سوى كذبة صرف. يعلم الجميع ذلك، لكنّ أحداً لا يودّ أن يتعرّض للنبت.

ثمّ يحين وقت العلاقات الغرامية خارج الزواج. النسوة يتكلّمن

عن عشاقهن وعن نارهم المتأججة. الا يفعلن ذلك؟ ثمة جانب من الحقيقة في ذلك، لأنه يحدث في الغالب في إطار عالم الاستمناء الساحر. إنه واقعي واقعية عالم النسوة اللواتي يطلقن العنان لأنفسهن كي يستميلهن أول رجل، بغض النظر عن صفاته. يشترين ملابس باهظة الثمن ويدعين التواضع، مع أنهن يُبرزن من الشهوانية ما يفوق شهوانية فتاة في السادسة عشرة من العمر. الفرق الوحيد أن الفتاة على دراية بالقوة التي تملكها.

أخيراً، يحين وقت الاستسلام للرتابة. يصرف الزوج ساعات بعيداً عن المنزل، منهمكاً في العمل، وتُكزّس الزوجة وقتاً أطول من اللازم لرعاية الأولاد. نحن في هذه المرحلة، وأنا مستعدة لفعل أي شيء لتغييرها.

الحب وحده لا يكفي. احتاج إلى أن أغرم بزوجي مجتهداً. ليس الحب مجرد شعور، إنه فن، بقدر ما هو إلهام، هو جد ومثابرة.

لم يبتعد الملك ويترك المرأة وحدها في الفراش؟ ليس ملاكاً. هو إيروس، إله الحب الإغريقي. والفتاة في الفراش معه هي سايكه..

افتح زجاجة نبيذ واملاً كاسينا. يضع اللوحة فوق الموقد غير المشتعل - هو في أغلب الأحيان مجرد زينة في المنازل المجهزة بتدفئة مركزة. ثم يبدأ،

«كان ما كان، كان هناك أميرة حسناء افتتن بها الجميع، لكن أحداً لم يجروا على الزواج منها، ينس والدها الملك من زواجها فاستدعى الإله أبولو. طلب منه أن تلبس سايكه ثوب الحداد وتترك

وحيدة عند قمة جبل. قبيل السحر، سيأتي ثعبان إليها ويتزوجها. اطلع الملك، وانتظرت الأميرة ظهور زوجها طوال الليل، وهي تموت خوفاً وتتجمد برناً. أخيراً، غطت في نوم. عندما استفاقت، وجدت نفسها وقد توجت ملكة في قصرٍ بديع. كان زوجها يدخل عليها كل ليلة ويمارسان الحب، لكنه وضع شرطاً واحداً، يمكن لسايكه، أن تحصل على كل ما ترغب فيه، لكن عليها أن تضع ثقتها الكاملة فيه..

افكر في مدى فظاعة ذلك، لكنني لا اجرو على مقاطعته. عاشت الشابة سعيدةً زمناً طويلاً. حصلت على الراحة، والعطف، والفرح، وكانت مغرمة بالرجل الذي كان يدخل عليها كل ليلة. لكن، بين الحين والآخر كانت تخشى أنها تزوجت ثعباناً بشعاً. في صباح احد الأيام، فيما كان زوجها نائماً، اشعلت مصباحاً ورات إيروس، رجلاً رائع الجمال ينام إلى جانبها. أيقظه النور، وإذا رأى إيروس أن المرأة التي أحبها لم تلب طلبه الأوحده، اختفى. وإذا استماتت سايكه لاستعادة محبوبها، عزمته على تنفيذ جملة من المهمات التي مكلفتها إياها أفروديت والدة إيروس. غني عن القول أن حماة سايكه كانت تحسدها على جمالها حسداً جماً وفعلت كل ما يمكنها لتحبط وفاق الزوجين. في إحدى المهمات، فتحت سايكه صندوقاً جعلها تغط في نوم عميق. اتلّهُف لسماع نهاية القصة.

كان إيروس مغرماً بزوجته وندم على قسوته تجاهها. تمكن من دخول القصر وإيقاظها برأس سهمه. قال لها، أوشكت أن تموتي بسبب فضولك. بحثت عن الأمان في العرفة ودمرت علاقتنا. لكن

في الحب، لا يُدمر شيء إلى الأبد. وإذا غمرتكما هذه القناعة، ذهباً إلى زوس، أبي الآلهة، وتوسّلاه ألا يُحلّ رباطهما يوماً. دافع زوس بشفف عن قضية العاشقين مُستعملاً حججاً وتهديدات متينة إلى أن كسب مناصرة أهروديت. منذ ذلك اليوم، بقيت سايكه (الجانب الواعي، ولكن المنطقي فينا)، وإيروس (الحب) مغا إلى الأبد..

اسكب مكاس نبيد أخرى. احني راسي على كتفه.

اولئك الذين لا يتقبلون ذلك، والذين يحاولون دوماً إيجاد تفسير للعلاقات الإنسانية السحرية والغامضة، سيفوتون الجزء الأفضل من الحياة..

اليوم، أشعر بما شغرت به سايكه على المنحدر، أشعر بالبرد والخوف. لكن إذا تمكنت من تخطي هذه الليلة والاستسلام للغموض والإيمان بالحياة، فستتفوق في قصر. الوقت هو كل ما يلزمني.

يحل أخيراً اليوم الكبير الذي سيجمع فيه الثنائيان في حفل استقبال يُقيمه مقدّم تلفزيوني مهم في محطة محلية. تحدثنا عن ذلك أمس في الفراش في الفندق فيما دُخن جاكوب سيجارته المعهودة قبل أن نرتدي ملابسنا ونغادر.

لم أتمكن من رفض الدعوة لأنني كنت قد اكدت حضوري. فعل هو الأمر نفسه، وتغير رأيه الآن لن يكون في مصلحة مسيرته المهنية.

أصل مع زوجي إلى المحطة التلفزيونية، ونبلّغ بأنّ الحفل يُقام في الطابق الأخير. برنّ هاتفي قبل أن نبلغ المصعد، وأضطرّ إلى ترك خطّ المصطفين والبقاء في الرهبة. لأتحدث مع مديري، فيما آخرون يصلون، يبتسمون لي ولزوجي، ويومنون برؤوسهم بحشمة. الظاهر أنني أعرف الجميع.

يقول مديري إنّ مقالتي عن الشامان الكوبي- والتي نُشرت ثانيتها أمس على الرغم من أنّها كُتبت منذ ما يفوق الشهر- تلقيان نجاحاً باهراً. عليّ أن أكتب مقالة أخرى لإتمام السلسلة. أشرح أنّ الرجل لم يعد يؤدّ التحدّث إليّ. يطلب إليّ أن أجد شخصاً آخر في المجال. نفسه، لأنّ الآراء التقليدية هي الأقلّ تشويقاً بالطلق (علماء النفس، علماء الاجتماع، وسواهم). لا أعرف أحداً في المجال نفسه. أعدّه بالتفكير في الأمر لأن عليّ أن أنهى المكالمة.

يمز جاكوب ومدام كونيشت بجانبنا ويلقيان علينا التحية بإيماءة من الرأس. كان لميري يوشك أن يُنهي المكالمة، لكنني أقرر أن استمر في الحديث. من المستحيل أن نركب معهما المصعد نفسه! اقترح عليه، «ماذا لو جمعنا بين راعي ماشية وقس بيروستانتني؟» الن يكون من المشوق أن نسجل حديثهما عن كيفية تعاملهما مع التوتر والضجر؟. يقول المدير إنها فكرة رائعة، لكنه سيكون من الأروع أن أجد شخصاً في المجال نفسه كالشامان. صحيح، سأحاول. انغلقت الأبواب واختفى المصعد. أستطيع أن أنهي المكالمة بلا خوف. أشرح لميري أنني لا أريد أن أكون آخر الواصلين إلى الحفل. أنا متأخرة عن الموعد دقيقتين. فنحن في سويسرا، حيث الساعات فائقة الدقة دوماً.

نعم، لقد تصرفتُ بخرابة على مدى الأشهر القليلة الفائتة، لكن شيئاً واحداً لم يتغير: مقتي لارتياح الحفلات. لا يسعني أن أفهم ما يدعوا الناس إلى الاستمتاع بها.

نعم، يستمتع الناس بها. حتى لو كانت أمراً مهنياً مثل الكوكتيل الرسمي هذه الليلة - صحيح، كوكتيل وليس حفلة - هم يتأنقون، يتبرجون، ويخبرون أصدقاءهم، من دون أي سأم، بأنهم سيكونون للأسف مشغولين الثلاثاء بسبب الحفل الذي يُقام بمناسبة مرور عشر سنوات على برنامج Pardonnez-moi الذي يُقّلمه -ناريوس روشبان-، المقدم الوسيم والفطن واللامع. وسيحضر الجميع، أيّا يكونوا، وعلى البقية الاكتفاء بالصور التي ستُنشر في مجلة المشاهير الوحيدة المخصصة لمواطني سويسرا الناطقين بالفرنسية.

يوفر لك ارتياد حفلات معايلة أن تكون من اصحاب الجاه.
تُغطي صحيفتنا احياناً هذا النوع من الأحداث، ونتلقى في اليوم
التالي اتصالات هاتفية من معاوئي اشخاص مهمين، يسألون إن
كانت الصور التي يظهرون فيها ستُنشر ويقولون أنهم، إن حصل
ذلك، فسيكونون شاكرين للغاية. ومن المحاسن الأخرى لتلقي
دعوة هو أن ترى حضورك يحصد الأضواء التي يستحقها. ولا شيء
يُضاهي برهنة ذلك أكثر من الظهور في الصحيفة وأنت ترتدي
لباساً ضَمَمَ خُصِيصاً للمناسبة (مع أن من يرتديه لا يعترف بذلك
أبداً) وترتسم على وجهك الابتسامة نفسها التي ابتسمتها في الحفلات
الساهرة وحفلات الاستقبال الأخرى جميعها. من الجيد أنني لست
محزرة العمود الاجتماعي، فلو كنت كذلك في وضعي الحالي،
وحش فيكتور فرانكنشتاين، لكنت طُردت.

يفتح باب المصعد. ثمة مصوران أو ثلاثة في الردهة. نتقدم
إلى القاعة الرئيسية، التي تُطل على المدينة من كل جوانبها. يبدو
أن الغيمة السرمديّة قزرت التعاون مع داريوس ورفعت حجابها
الرمادي، فبإمكاننا رؤية أضواء البحر في الأسفل.
أقول لزوجي إنني لا أريد أن أطيل البقاء. وأبداً بالردشة
للتخفيف من التوتر.

يُقاطعتني، «سنغادر متى شئت».

في اللحظة التالية، ننشغل بتهيئة عبد لامتناه من الناس الذين
يعاملونني كأنني صديقة مقربة. أبادلهم التحية مع أنني أجهل
أسماءهم. إذا طالت المحادثة، الجأ إلى حيلة مضمونة: أعرف بزوجي
ولا أقول شيئاً. يُعزف بنفسه ويسأل عن اسم الشخص. استمع إلى

الإجابة واكزر، بصوب عالٍ وواضح، «عزيزي، الا تذكر فلانًا وفلانًا؟».

يا للمكر!

أنهي إلقاء التحيات، ونذهب للوقوف في إحدى الزوايا حيث اتدّمّر، لم يطرح الناس عادة السؤال إن كنا نذكرهم؟ فلا شيء أكثر إحراجًا من ذلك. جميعهم يعتبرون أنفسهم مهمين إلى درجة أن يكونوا محفورين في ذاكرتي، على الرغم من أنني التقى أشخاصًا جدًا كل يوم بحكم وظيفتي.

«كوني أكثر تسامحًا. الناس يستمتعون.»

لا يعلم زوجي ماذا يقول. الناس يدعون أنهم يستمتعون. ما يبحثون عنه حقًا هو أن يحضروا هذه المناسبات، يبحثون عن الانتباه، وبين الحين والآخر ينتهزون فرصة لقاء أحدهم لعقد صفقة. إن مصير الأشخاص، الذين يعتقدون أنهم جذابون وذوو نفوذ فيما يسرون على السجادة الحمراء، بين يدي شاب من قسم الأخبار يتقاضى أجرًا متلصيًا. يتلقى المصحح الصور عبر البريد الإلكتروني ويقرر من يظهر أو لا يظهر في عالمنا الصغير القائم على التقاليد والأعراف. هو من يضع صور الأشخاص المثيرين للاهتمام في الصحيفة، تاركًا مساحة صغيرة للصورة الشهيرة التي تظهر إطلالة على الحفلة (أو الكوكتيل، أو العشاء، أو حفل الاستقبال). فيها، وبقليل من الحظ، قد تتمكن من التعرف إلى هذا الشخص أو ذاك بين الناس المجهولين الذين يعتبرون أنفسهم مهمين جدًا.

يعتلي داريوس المنصة ويبدأ بالتحدث عن تجربته مع كل الأشخاص المهمين الذين أجرى مقابلات معهم في برنامجه في خلال

سنواته العشر. أتمكن من الاسترخاء قليلاً والتوجه إلى إحدى النوافذ مع زوجي. سبق أن رصد راداري الداخلي جاكوب ومدام كونييش. أريد البقاء على مسافة، وأظن أن جاكوب يريد ذلك أيضاً.

هل تشكين من شيء؟..

كنت أدري. يقصد، هل أنت الدكتور دجيكل أو السيد هايد اليوم؟ فيكتور فرانكنشتاين أو وحشه؟

لا يا حبيبي. أنا أتجنب ببساطة الرجل الذي ضاجعته أمس. أشبهه بأن كل من في القاعة على علم بذلك، وأن كلمة «عاشق» مكتوبة على جبين كل منا.

ابتسم وأقول أمراً سنيماً من سماعه، إن شخصاً بمثل سني لم يعد يناسبه حضور الحفلات. أودّ لو أكون في البيت الآن، أعطني بولدينا بدلاً من تركهما مع جليسة أطفال.

لا احتسي الخمر بانتظام. بدا هؤلاء الناس الذين يلقون علي التحية ويحادثونني يشوشون ذهني. علي أن ادّعي الاهتمام بما يقولونه وأردّ بسؤال قبل أن أتمكّن أخيراً من وضع للقبالات في فمي والانتهاز من مضغها من دون أن أبدو فظة.

تُسدّل شاشة ويبدأ عرض فيلم فيديو، فيه أهم الضيوف الذين حلّوا على البرنامج. عملت مع بعضهم، لكنهم بمعظمهم أجانب يزورون جنيف. كما نعلم جميعاً، ثمة شخص مهمّ دوماً في المدينة، والظهور في البرنامج ضروري.

فلنغادر إذاً. لقد رأك. أدينا واجبنا الاجتماعي. فلنستاجر فيلماً ونستمتع بباقي الليلة معاً..

لا. سنبقى قليلاً بعد، لأن جاكوب ومدام كونييش هنا. قد

نثر الشك في مغادرة الاحتفال قبل انتهائه. يبدأ داريوس بدعوة بعض ضيوف برنامجهِ إلى المنصة. يقدمون تصريحاً عن تجربتهم. أكاد أموت ضجراً. يبدأ الرجال الذين لا ترافقهم سيدات بالنظر من حولهم، يبحثون خفية عن نساء عازيات. وبدورهن، تنظر إحداهن إلى الأخرى، ماذا يرتدين، بم يتبرجن، هل هن مع أزواجهن أو مع عشاقهن.

انظر إلى المدينة، تائهة في افكار غائبة، انتظر ببساطة مرور الوقت لكي نرحل بهدوء من دون إثارة الشكوك.
«إنه يذكرك أنت».

أنا؟

«حبيبتي، هو يذكر اسمك».

دعاني داريوس للتو إلى المنصة ولم اسمعه. نعم، ظهرت في برنامجهِ إلى جانب الرئيس السابق لسويسرا للتحث عن حقوق الإنسان. لكنني لست على هذا القدر من الأهمية. لم أتصور ذلك يوماً، لم يتم تدبير الأمر، ولم أعد أي شيء لأقوله.

غير أن داريوس يومئ لي بيده. ينظر الناس جميعاً نحوي، مبتسمين. أسير نحوه. استعدت رباطة جاشي وأنا سعيدة في سري، لأن ماريان لم تستدع، ولن تستدعي. لم يستدع جاكوب أيضاً، لأن فكرة السهرة هي أن تكون ممتعة، لا مليئة بالخطابات السياسية.

أصعد إلى للمنصة النصوبة لهذه المناسبة - سلم يربط بين مساحتي القاعة في أعلى برج المحطة- أقبل داريوس، وأبدأ بإخبار قصة غير مشوقة عن ظهوري في البرنامج. يواصل الرجال صيدهم،

وتواصل النسوة رشق النظرات. أَسْمَرُ عَيْنِي عَلَى زَوْجِي، فَعَلَى كُلِّ مَنْ يَتَكَلَّمُ أَمَامَ جَمْهُورٍ أَنْ يَخْتَارَ شَخْصًا يَجْعَلُ مِنْهُ سَنَدًا لَهُ.

فِي خُضْمِ خُطَابِي الْمُرْتَجِلِ، أَرَى أَمْرًا لَا يَنْبَغِي أَنْ يَحْدُثَ مُطْلَقًا؛ يَقِفُ جَاكُوبُ وَمَدَامُ كُونِيْشْ إِلَى جَانِبِ زَوْجِي. لَا بُدَّ مِنْ أَنْ ذَلِكَ حَدَثٌ فِي أَقْلٍ مِنَ الدَّقِيقَتَيْنِ اللَّتَيْنِ اسْتَغْرِقَهُمَا وَصُولِي إِلَى الْمُنْصَةِ وَبَدْءِ الْخُطَابِ الَّذِي لَمْ يَثْرَ كَثِيرًا مِنَ الْإِهْتِمَامِ فَبَدَأَ الْفَدْلُ يَتَجَوَّلُونَ فِي الْمَكَانِ وَأَشَاحَ مُعْظَمَ الضُّيُوفِ أَنْظَارَهُمْ عَنِ الْمُنْصَةِ بِحُثَا عَنْ شَيْءٍ يَجْنِبُ انْتِبَاهَهُمْ.

أَقُولُ شُكْرًا بِأَسْرَعِ مَا يُمْكِنُنِي. يَصْفُقُ الضُّيُوفُ. يُقْبَلُنِي دَارِيُوسُ. أَحَاوِلُ الْوُصُولَ إِلَى زَوْجِي وَالْكَوْنِيْشِ، لَكِنِّي أَقْعُ فِي أَيْدِي نَاسٍ يَمْدَحُونَنِي عَلَى أُمُورٍ لَمْ أَقْلُهَا وَيَدْعُونَ أَنَّنِي رَائِعَةٌ. هُمْ فَرَحُونَ فَرَحًا عَارِفًا بِسُلْسَلَةِ الْمَقَالَاتِ عَنِ الشَّامَانِيَّةِ، بِقَرَحُونَ عَلَيَّ مَوْضُوعَاتٍ، وَيَعْطُونَنِي بِطَاقَاتِ الْعَمَلِ التَّعْرِيفِيَّةِ، وَيَعْرِضُونَ أَنْفُسَهُمْ بِتَكْتُمِ ك. مَصَادِرَ، لَشَيْءٍ قَدْ يَكُونُ، مَثِيرًا جَنًّا لِلْإِهْتِمَامِ. يَسْتَغْرِقُ كُلُّ هَذَا نَحْوَ عَشْرِ دَقَائِقَ. عِنْدَمَا أَلْنُو آخِرًا مِنْ وَجْهَتِي، أَرَى الثَّلَاثَةَ يَبْتَسِمُونَ. يَهْنَأُونَنِي، يَقُولُونَ أَنَّنِي مُتَحَنِّةٌ رَائِعَةٌ، وَيَزُودُونَنِي بِالْأَخْبَارِ السَّيْنَةِ؛

يَقُولُ زَوْجِي، «شَرَحْتُ لِهَمَا أَنَّكَ تَعْبَةٌ وَأَنْ وَلَدَيْنَا مَعَ جَلِيْسَةِ الْأَطْفَالِ، غَيْرَ أَنَّ مَدَامَ كُونِيْشْ تَصِرُ عَلَى أَنْ نَتَنَاوَلَ الْعِشَاءَ مَعًا».

تَقُولُ مَارِيَانُ، «نَعَمْ أَصَرَ. افْتَرَضَ أَنْ أَحَدًا مِنْ بَيْنِنَا لَمْ يَتَنَاوَلَ الْعِشَاءَ بَعْدَ».

يُرْسِمُ جَاكُوبُ ابْتِسَامَةً مُصْطَنَعَةً عَلَى وَجْهِهِ وَيُوَافِقُ، كَحَمَلٍ يُسَاقُ إِلَى النَّحْرِ.

لِلْحِظَّةِ، يَمُرُّ فِي فِكْرِي الْفَا عَنَرٌ. لَكِنْ لَمْ؟ لَدَيَّ كَمِّيَّةٌ لَا بَاسَ بِهَا

من الكوكابين جاهزة للاستعمال في أي لحظة، وليس هناك أفضل من هذه الفرصة. لكي أرى إن كنت سأنفذ خطتي.
يبلغ فضولي حد المرض لأعرف كيف سيجري هذا العشاء.
سيكون شرفاً لنا، مدام كونيث.

تختار ماريان المطعم في أوتيل ليزارمور، وهذا ينم عن نوع من قلة الابتكار، لأنه المطعم الذي يصطحب الجميع الأجانب إليه. الجبنة الذؤبة ممتازة فيه، ويجتهد طاقم العمل في النطق بكل لغة ممكنة، وهو يقع في قلب المدينة القديمة... لكن شخصاً يعيش في جنيف، لا يرى فيه تغييراً قطعاً.

نصل بعد وصول آل كونيث. جاكوب في الخارج، يتحمل البرد باسم إدمانه النيكوتين. سبق لماريان أن دخلت. اقترخ على زوجي الدخول أيضاً والبقاء برفقتها فيما انتظر أن ينهي السيد كونيث التدخين. يقول إن العكس أفضل، لكنني أصر. لن يكون من اللائق ترك امرأتين وحدهما إلى الطاولة، ولو دقائق قليلة.

يقول جاكوب حين يذهب زوجي، «باغتتني الدعوة».

أحاول التصرف كأن كل شيء على ما يرام. أشعر بالذنب؟ أنت قلق من احتمال انحلال زواجك التعيس (واوذاً أن أضيف، مع تلك الساقطة، الجامدة جمود الحجر)؟
ليس الأمر كذلك. إنه....

تقاطعنا الساقطة. بابتسامة شيطانية عريضة، تسلم علي (مجدداً!) طابعة على وجنتي القبل الثلاث التقليدية وتامر زوجها بإطفاء سيجارته والدخول. اقرا ما بين السطور، أنا اشتبه بامركما

واظن انكما تخططان بالتاكيد لشيء ما، لكن اسمعا، انا ذكية، اذكى مما تتصوران.

نطلب المعتاد، الجبنة المنوَّبة والراكليت. يقول زوجي إنه سنم تناول الجبنة ويختار شيئاً مختلفاً، طبق نقائق موجود على قائمة الزوار. نطلب النبيذ أيضاً، غير أن جاكوب لا يشتمه، أو يدوره في كاسه، أو يتنوّقه، أو يوميء إيجاباً براسه - كانت تلك طريقة غبية للتأثير بي في اليوم الأول. ونحن ننتظر أن يجهز الطعام ونتحدث حديثاً عادياً، نُنهي الزجاجة الأولى، ولا تلبث أن تأتي الثانية. اطلب إلى زوجي ألا يشرب المزيد والأ سنضطر إلى ترك السيارة مرّة أخرى. ونحن الآن أبعد عن المنزل من المرّة السابقة.

يصل الطعام. نفتح زجاجة نبيذ ثالثة. يُواصل الحديث العادي، عن نمط حياة جاكوب الجديد باعتباره عضواً في المجلس الاتحادي، تهائن على مقالتي حول التوتر (مقاربة غير عادية نوعاً ما)، وإن كان صحيحاً أن أسعار العقارات ستنخفض لأن السرية المصرفية تزول، وإن كان آلاف المصرفيين سيزولون معها أيضاً. هم ينتقلون إلى سينغافورة أو دبي، حيث نقضي موسم الأعياد.

اضلّ انتظر أن يدخل الثور إلى الحلبة. لكنّه لا يفعل، فألقي بسلاحي. احتسي من الشراب أكثر قليلاً ممّا يجدر بي وأشعر بالاسترخاء والبهجة. ثم، ينفّث الباب على مصراعيه.

تقول ماريان كونيّش: «كنت أتكلّم ذاك اليوم مع بعض الأصدقاء عن شعور الغيرة التافه. ما رأيكم به؟».

ما رأيكم بموضوع لا يناقشه أحد عند العشاء؟ تحسن الساقطة اختيار كلماتها. لا بُدّ من أنها صرفت اليوم بطوله

سمت الغيرة .شعورًا تافهًا.. وهي عازمة على تركي مكشوفة هشة.

يقول زوجي: «نشأت وأنا أشهد عروض غيرة رهيبة في المنزل..

ماذا؟ هو يتحدث عن حياته الخاصة؟ وإلى غريبة؟

لذا، قطعتُ وعدًا على نفسي بالآ ادع هذا يحدث لي إذا ما تزوجت. كان الأمر شاقًا في البداية، لأن غريزتنا تتحكم بكل شيء، حتى بما لا يمكن التحكم به، مثل الحب والوفاء. لكنني فعلت. وزوجتي التي تلقي آخرين كل يوم وأحيانًا ترجع إلى المنزل في وقت متأخر خلافًا للعادة، لم تسمع يومًا انتقادًا أو تلميحًا مني.

لم اسمع هذا الشرح يومًا. لم أعرف أنه نشأ والغيرة تحيط به. تتدبر الساقطة أمرها في جعل الكل يطيعونها، فلنتعش، فلنطفيء السيجارة، فلنتحدث في الموضوع الذي انتقيته.

ثمة سببان لما قاله زوجي للتو. الأول أن دعوتها مريبة في نظره وهو يحاول حمايتي. والثاني، هو يعرب لي، أمام الجميع، عن مدى أهميتي عنده. امدُ يدي والامس يده. لم أتصور هذا يومًا. خلت ببساطة أنه لم يكن مهتمًا بما افعله.

وماذا عنك يا ليندا؟ ألا تغارين على زوجك؟.

أنا؟

بالطبع لا. أنا اثق به كل الثقة. اعتقد أن الغيرة هي للأشخاص المعتلين، غير المطمئنين، المفتقرين إلى تقدير الذات، أشخاص يشعرون بالدونية ويعتقدون أن أي شخص يهتد علاقتهم. وأنت؟ تقع ماريان في الحفرة التي حفرتها.

كما قلت، أعتقد أنه شعور تافه..

نعم، سبق أن قلت هذا. لكن إن اكتشفت أن زوجك يخونك،
ماذا تفعلين؟

يشحب لون جاكوب. ويلجم نفسه عن تجرّع كل ما في
كاسه.

أعتقد أن زوجي يلتقي كل يوم أشخاصاً غير مطمئنين لا بدّ
من أنهم يتململون ضجراً في زواجهم وقدّهم أن يحيا حياة عادية
متواترة. أتصوّر أن في مجال عملك أيضاً بعض الأشخاص من نوع
الذين ينتقلون مباشرة من كونهم صحفيين من الدرجة الثانية
إلى التقاعد....

كثيرون، أردّ بنبرة تخلو من أي انفعال. أتناول مزيداً من الجبنة
المدوّبة. تحمّل في عيني مباشرة. اعرف أنك تتكلمين عني، لكنني لا
أريد أن يشكّ زوجي في شيء. لا أبالي ولو قليلاً بها وبجاكوب، الذي
لا بدّ أنه اعترف لها بكل شيء، عاجزاً عن تحمّل الضغط.

أفاجأ ببرودة أعصابي. لعلّه النبidez. أو الوحش، يستمتع بكلّ
هذا. لعلّها اللذة الغامرة في العجز عن مواجهة امرأة تخال أنّها عليمّة
بكلّ شيء. أقول، وأنا أغمس قطعة الخبز في الجبنة المدوّبة، تابعي..

كما تعلمون جميعاً، هؤلاء النسوة المفتقرات إلى الحبّ لا
يشكّلن تهديداً لي. بخلافك، لا أضع كلّ ثقتي في جاكوب. اعرف
أنّه خانني مرّات قليلة. الجسد ضعيف....

يضحك جاكوب بعصبية ويتناول رشفة نبيذ أخرى.
الزجاجة فارغة، توميء ماريان إلى النادل كي يأتي بأخرى.

....لكنني احاول انا اراه جزءا من علاقة طبيعية. لو لم يكن زوجي مرغوباً وملاحقاً من أولئك الفاسقات، لكان مملاً كلياً. بدلاً من الغيرة، اتعرفين بهم اشعر؟ بالتهيج. غالباً ما اخلع ملابسي، اذنو منه عارية، أباعد بين ساقني، وأطلب إليه أن يضاجعني تماماً كما ضاجعهن. أحياناً، اطلب إليه أن يخبرني كيف كن، ويجعلني هذا انتشي مرّات كثيرة..

يقول جاكوب، ما لا يُقنع، هذا كلّهُ في استيهامات ماريان. هي تخلق هذه الأمور. سالتني ذاك اليوم إذا كنت أرغب في الذهاب إلى نادٍ لتبادل الشريك الجنسي في لوزان.

هو لا يمزح طبعاً، لكن يضحك الجميع، حتى هي.

اكتشف وبا للهول أن جاكوب يستمتع بنعته، الذكر الخائن. يبدو زوجي مهتماً جداً بإجابة ماريان ويطلب إليها أن تستمر قليلاً في الحديث عن الهيجان الذي ينتابها لمعرفة في شأن العلاقات الغرامية خارج إطار الزواج. يطلب عنوان نادٍ تبادل الشريك الجنسي ويرمقني بنظره، وفي عينيه بريق. يقول إن الألوان قد حان لنجرب شيئاً مختلفاً. لا أدري إن كان يحاول تحمّل الجو الذي لم يعد محتملاً على المائدة، أو إن كان حقاً مهتماً بالتجربة. تقول ماريان إنها لا تعرف العنوان، لكن إن هو اعطاها رقم هاتفه، فسترسله إليه في رسالة نصية.

حان الوقت للتحرك. أقول إن الذين يغارون يحاولون، عموماً أن يظهروا في العلن بهيئة معاكسة تماماً لما هم عليه. يروقه أن يلقوا تلميحات ويروا إن كان بإمكانهم الحصول على بعض المعلومات حول سلوك شريكهم، لكنهم سُدج ليفكروا في أنهم سينجحون. أنا

على سبيل المثال قد اكون على علاقة غرامية بزوجك ولن تعرفي الأمر أبدًا، لأنني لست حمقاء إلى درجة الوقوع في ذاك الفخ.

تتغير نبرة صوتي قليلاً. ينظر زوجي إليّ، متفاجئًا بإجابتي.

حبيبتي، ألا تعتقدان أن الأمر يخرج قليلاً عن حده؟..

لا، لا اعتقد ذلك. لست من بدا الحديث ولست أدري إلام ترمي السيدة كونييش. لكن منذ أن وصلنا إلى هنا، لم تكف عن التلميح إلى أمور، وقد ضقت ذرعًا بذلك. على فكرة، لاحظت كيف كانت ترشقني بنظرها طوال الوقت الذي كنا نتحدث فيه عن امر لا يهم أي شخص على الطاولة باستثنائنا؟

تنظر ماريان إليّ، مصعوقة. اعتقد أنها لم تتوقع رد فعل لأنها تألف التحكم بكل شيء.

أقول إنني التقيت كثيرًا من الناس الذين سيرهم هوس الغيرة، لأن واحدهم يحسب أن شريكه يرتكب الزنى، بل لأنهم يؤمنون أن يكونوا محور الاهتمام كل الوقت، فيما هم ليسوا كذلك. يستدعي جاكوب النادل ويطلب الفاتورة. منهل. في النهاية، هما من دغوانا، وعليهما تكبد النفقات.

انظر إلى ساعتني وأدعي بأنني متفاجئة جدًا، لقد تخطى الوقت موعد عودتنا الذي اعلمنا جليسة الأطفال به! انهض، اشكرهما على العشاء، واتوجه إلى حجرة المعاطف لجلب معطفي. سبق أن انتقلنا بالحديث إلى الأولاد، ومسؤولياتنا تجاههم.

اسمع ماريان تقول لزوجي، أعتقد أنها ظننت حقًا أنني كنت أقصدها؟..

بالطبع لا. لا سبب يدعوها إلى ذلك.

نخرج إلى الصقيع، من دون قول الكثير. أنا غاضبة، قلقة، وأقول طوعاً وبلا استئذان نعم إنها كانت تقصدني، وإن تلك الراه عصابية إلى درجة أنها يوم الانتخابات لمحت تلميحات عدّة أيضاً. تريد أن تتباهى على الدوام - لا بدّ من أنها تموت غيرة على الأبله الذي تتحكّم بسلوكه الحسن. بقبضة من حديد لكي يتسنّى له أن يحقق مستقبلاً سياسياً ناجحاً، مع أنها هي في الحقيقة من يؤدّ أن يكون مكانه.

يقول زوجي إنني أفرطت في الشرب وعليّ أن أهدأ.

نسير أمام كاتدرائية. عاد السليم يغطّي المدينة من جديد ويجعل كلّ شيء يبدو وكأنّنا في فيلم رعب. أتخيل ماريان ترتبص بي عند زاوية ما وبيدها خنجر، كما الوضع حين كانت جنيف مدينة من القرون الوسطى وفي معركة مستمرة مع الفرنسيين.

لا البرد ولا المشي يهدّنانني. نصل إلى السيارة، وعندما نصل إلى المنزل، أتوجه توّاً إلى غرفة النوم وأبتلع حبتين من الهاليوم فيما يدفع زوجي اجر جليسة الأطفال ويضع الولدين في سريريهما.

أنام عشر ساعات متواصلة. في اليوم التالي، عندما أنهض لأمارس عاداتي الصباحية، أفكر في أن زوجي أكثر برودة مما كان عليه. مع هذا، أزعجه شيء ما أمس. لا أدري ماذا عليّ أن أفعل. لم أتناول يوماً حبتي مهدىء دفعة واحدة، وأنا أعاني خمولاً لا يُشبه، لا من قريب ولا من بعيد، ذلك الذي تسببه الوحدة والتعاسة.

أغادر البيت للذهاب إلى العمل وأتحقّق من هاتفي تلقائياً. ثمّة رسالة نصية من جاكوب. أنا مترددة في أن أفتحها، لكنّ الفضول أعظم من الحقد.

أرسلت هذا الصباح، في وقت مبكر جدًا.
لقد أفسدت الأمر. لم تكن تملك فكرة عن حدوث شيء بيننا،
لكنها متيقنة الآن. وقعت في فخ لم تنصبه هي..

عليّ أن أمر بالسوبرماركت اللعين لشراء البقالة، وأنا أشعر
بأنني محبطة ومكروهة. ماريان على حق، لست سوى سلوى
جنسية لذك الكلب الذي ينام في سريرها. أقود بتهور لأنني أعجز
عن حبس بكائي، ودموعي تحول دون رؤيتي السيارات الأخرى
بوضوح. يتناهى إلى سمعي صوت الزمامير والتذمرات. أحاول أن
أبطلها، فاسمع مزيّنًا من الزمامير والتذمرات.

كان من البلاء أن ادع الشك يُخالج ماريان، وكان من البلاء
أكثر أن أجازف بكل ما لديّ، زوجي، وعائلي، وظيفتي.

أدرك، وأنا أقود سيارتي تحت التأثير المتأخر للمهدئات، وأعصابي
مرهقة، أنني أجازف بحياتي أيضًا. أركن سيارتي في شارع ثانوي
وابكي. يعلو انتحابي حتى أن أحدهم يقترب منّي ويسألني إن كنت
أحتاج إلى المساعدة. أقول لا، فيباعد. لكنني في الحقيقة أحتاج إلى
المساعدة، أحتاج كثيرًا. اغوص بالعمق إلى ذاتي الداخلية، إلى بحرها
الموغل، وأعجز عن السباحة.

الحقد يُعمي بصري. أتصور أن جاكوب تخطى ما حدث في
عشاء الأمس، ولن يرغب في رؤيتي من جديد أبدًا. الذنب ذنبي لأنني
رغبت في أن أتجاوز حدودي، ظانة دومًا أن سلوكي مريب، أن
الجميع يعلم ما فعله. لعلها فكرة جيدة أن أتصل واعتذر، لكنني

اعرف أنه لن يُجيب. لعل من الأفضل أن أتصل بزوجي وأرى إن كان بخير؟ اعرفه من صوته. أعرف متى يكون غاضبًا ومشدودًا، مع أنه يُجيد ضبط النفس. لكنني لا أريد أن أعرف. أنا خائفة حقًا. معدتي منكماشة، ويدي مشدودتان إلى عجلة القيادة. ادع نفسي تفتح، تصرخ، تثور في المكان الآمن الوحيد على وجه الأرض، في سيارتي. الشخص الذي اقترب مني، يختلس النظر من بعيد، يخشى أن أقدم على فعله خرقاء. لا، لن أفعل شيئًا. أريد أن أبكي فقط. هل هذا كثير؟

أشعر وكأنني استجلبت هذا الإذلال على نفسي. أريد أن أرجع بالزمن، لكن ذلك مستحيل. علي أن اضع خطة لأعوض عن الهزيمة، لكنني أعجز عن التفكير تفكيرًا سويًا. كل ما أقدر عليه هو البكاء، والشعور بالعار والحقد.

كيف أكون على هذا القدر من السذاجة؟ إن أخال ماريان تنظر إلي وتقول ما أعرفه مسبقًا؟ هذا لأنني أشعر بالذنب، مثلما يشعر المجرم. أريد أن ادلها، أن ادمرها أمام زوجها لنلأ تراني مجرد أداة لهو. أعرف أنني لا أحبه، لكنه كان يعيد إلي تدريجًا بعضًا من الفرح الذي كنت فقدته، مُبعدًا إياي عن حفرة الوحدة التي كنت أغرق فيها حتى رأسي. والآن، أدرك أن تلك الأيام ولت إلى الأبد. علي أن أرجع إلى الواقع، إلى السوبرماركت، إلى الأيام المتشابهة جميعها، وإلى أمان منزلي، وهو شيء كان ذات يوم مهمًا للغاية في نظري، لكنه أخذ يبدو سجنًا. علي أن استجمع نفسي. وربما اعترف لزوجي بكل ما جرى.

اعرف أنه سيتفهم. هو رجل طيب وذكي، العائلة أولوية عنده

على الدوام. لكن ماذا لو لم يتفهم؟ ماذا لو قرّر أنه اكتفى، أننا بلغنا حننا وقد أعياء العيش مع امرأة بدأت تتنمر من الاكتئاب والآن تنتحب على ترك عشيقها لها؟

يتلاشى انتحابي وأبدأ بالتفكير. العمل ينتظرني، ولا يسعني أن أقضي اليوم بطوله في هذا الشارع المليء ببيوت أزواج سعداء يضعون زينة الميلاد على أبوابهم، بناس يذهبون ويأتون من دون أن يلاحظوا وجودي. لا يسعني أن أرى عالمي ينهار وأن أقف مكتوفة الأيدي إزاءه. احتاج إلى التفكير ملياً. عليّ أن أضع لائحة بالأولويات. هل سأتّمكن في الأيام، أو الشهور، أو السنوات المقبلة، من الادّعاء بأنني زوجة متفانية بدلاً من حيوان جريح؟ لم يكن الانضباط يوماً مكمّن قوّتي، لكن لا يسعني التصرف وكأنني مضطربة.

أجفّف دموعي وأنظر أمامي مباشرة. هل حان الوقت لتشغيل السيارة؟ ليس بعد. أنتظر قليلاً. إن كان ثمة سبب واحد كي أكون مسرورة بما جرى، فسيكون أنني سنمتّ من عيش كذبة. كم كان الأمر ليطول قبل أن يشتبه زوجي بشيء؟ أيّمكن للرجال أن يحزروا متى اصطنعت زوجاتهم النشوة؟ ممكن، لكن لا سبيل لي لكي أعرف.

أترجل من السيارة وأضع مقابل ركنها وقتاً إضافياً غير ضروري. هكنا، يمكنني أن أسير على غير هدى. أتصل بمكان العمل وأقدّم عذراً واهياً، أحد الولدين أصيب بالإسهال وعليّ اصطحابه إلى الطبيب. يُصدّقني مديري، ففي النهاية، السويسريون لا يكذبون.

لكنني أكذب. كنت أكذب كلّ يوم. فقدت احترامني لنفسي ولم أعد أعرف وجهتي. يحبا السويسريون في العالم الحقيقي. وأحيا

انا في عالم وهمي. يعرف السويسريون كيف يحلون مشكلاتهم. ولم أقدر على حل مشكلتي، فوجدتُ وضعا املك فيه الأسرة المثلى والعشيق المثالي.

اجول في المدينة التي احبها، انظر إلى الحال والأعمال التي تبدو وكأنها تجملت في الخمسينيات، باستثناء الأماكن السياحية ولا تنوي أبدا مواكبة الحداثة. الطقس بارد، لكن ما من ربح فيه، الحملات، مما يجعل الحرارة محتملة. أحاول ان اتلهى واهدا، أدخل مكتبة، وملحمة، ومتجر البسة. كل مرة اعاود فيها الخروج إلى الشارع، اشعر كأن درجات الحرارة المنخفضة تساعدني على إخماد النار المشتعلة التي تحولت إليها.

أيمكنك تدريب نفسك على حب الرجل المناسب؟ بالطبع يمكنك. المشكلة هي في نسيان الرجل الخطأ، عابر السبيل الذي دخل بلا استئذان من باب ترك مفتوحا.

ماذا أردتُ من جاكوب بالضبط؟ عرفتُ منذ البداية أن علاقتنا محكومة بالانتهاء، مع أنني لم أتصور أن تنتهي بهذه الطريقة المؤلمة. ربما أردتُ فقط ما حصلتُ عليه، المغامرة والفرح. أو ربما أردتُ أكثر، ان أعيش معه، ان اساعده على نماء مسيرته المهنية، وأن أكون له السند الذي يبدو أن زوجته لم تعد تكونه، والعطف الذي تذر من الافتقار إليه في أحد لقاءاتنا. أردتُ أن انتزعه من منزله، كما تنتزع زهرة من حديقة شخص آخر، على الرغم من معرفتك أن الزهر لا يعيش في ظل معاملة مماثلة.

انا مصابة بموجة من الغيرة، لكن هذه المرة لا دموع فيها، بل الغضب فقط. أتوقف عن المشي وأجلس على مقعد عند نقطة وقوف

حافلات اخترتها عشوائياً. أراقب الناس يأتون وينهبون، جميعهم منشغلون للغاية بعالمهم، الصغير بما يكفي ليلائم إطار شاشة الهواتف الذكية التي يعجزون عن رفع بصرهم وسمعهم عنها.

تأتي حافلات وتذهب. يترجل ناس ويسرعون الخطى، ربّما بسبب البرد. يصعد آخرون ببطء، غير راغبين في الذهاب إلى المنزل أو العمل أو المدرسة. لكن أحداً لا يُبدي الغضب أو الحماسة، هم ليسوا سعداء ولا حزانى، مجرد أرواح مسكينة تُنفذ ألياً المهمة التي رسمها الكون لهم يوم وُلدوا.

بعد وقت قصير، أتمكن من الاسترخاء قليلاً. حزرتُ بضع قطع من الأحذية في داخلي. إحداها هو السبب وراء مجيء هذا الحقد وذهابه، كالحافلات في نقطة الوقوف هذه. قد أكون خسرتُ الشيء الأهم في حياتي، عائلتي. مُنيتُ بالهزيمة في المعركة من أجل السعادة، وليس هذا مذلاً لي فحسب، بل هو يُغشي الدرب أمامي.

وزوجي؟ أحتاج إلى محادثته بصراحة الليلة والاعتراف بكل شيء. أشعر كأن هذه البئر قد اعتقتني، حتى وإن كنتُ سأتحمّل العواقب. سنمتُ الكذب، الكذب عليه، وعلى مديري، وعلى نفسي.

لا أريد التفكير في هذا الآن. تنهش الغيرة أفكاري أكثر من أي أمر آخر. أعجز عن مغادرة نقطة وقوف الحافلات هذه كما لو أن سلاسل توثق جسمي. هي ثقيلة ومن الشاق جرّها.

يروقها أن يخبرها عن خياناته فيما تطارحه الفراش، وأن يفعل لها الأمور نفسها التي فعلها لي؟ كان يجدر بي أن أدرك أنه على علاقة بأخريات عندما تناول ذاك الوافي من الطاولة بجانب السرير. كان يجدر بي أن أعرف أنني رقم إضافي فقط، من الطريقة التي ولجني

فيها. غادرتُ ذاك الفندق اللعين مرات عدة وأنا اشعر بذلك، قائلةً
لنفسي إنني لن أراه مجددًا، على الرغم من وعيي بأن تلك اكنوبة
أخرى من اكانيبى وبأنني ساكون مستعدة للقاءه دومًا إن اتصل
بي، حيثما يريد وحين يريد.

نعم، عرفتُ ذلك كله. ومع هذا، حاولت الاقتناع بأنني كنتُ
أسعى إلى الجنس فقط وبعض المغامرة. لكن ذلك لم يكن صحيحًا.
اليوم أدركُ أنني أغرمت به، على الرغم من إنكاري ذلك في كل
سهدي وإيامي الخاوية، أنني متيمة بحبه.

لا أدري ماذا علي أن أفعل. أعتقد - بل في الواقع أثق - أن لكل متزوج
محبوبًا سرّيًا دائمًا. هذا حرام، والارتباط بعلاقة غرامية محرمة هو
ما يجعل الحياة مشوّقة. لكن قلّة من الناس تمضي قدّمًا في الأمر،
واحد من سبعة فقط يقوم بذلك، بحسب مقالة قرأتها في الصحيفة.
وأعتقد أن واحدًا من مئة يُصاب بما يكفي من الاضطراب لكي يدع
الاستيهام يستحوذ عليه، كما فعلت. بخصوص الأكثرية، الأمر
مجزّد علاقة مؤقتة، شيء تعلم من البداية أنه لن يدوم طويلًا.
تشويق بسيط لجعل الجنس أكثر إباحيّة، وسماع كلمة «أحبك»
لحظة بلوغ النشوة. لا أكثر.

وماذا لو كان لزوجي عشيقّة؟ كيف كنت ساتصرف؟
كنتُ أقدمت على ما لا يُمكن لعقل تصوّره. كنتُ قلتُ إن الحياة
مجحفة، إنني عديمة القيمة، وإنني أتقدّم في السن. لكنّ صرختُ
أشدّ صراخ، كنتُ بكيت بلا انقطاع من الغيرة، التي يمكن أن تكون
حسنًا في الواقع، هو يمكنه وأنا لا يمكنني. كنتُ رحلت، صفقت
الباب خلفي، مصطحبة الولدين إلى منزل أهلي. بعد شهرين أو

ثلاثة، ساكون قد ندمتُ على فعلتي وحاولتُ اختلاق عذرٍ ما للعودة، متصورةً أنه يريد الأمر نفسه. بعد أربعة أشهر، سيحلّ الخوف من ان ابدا بكل شيء من جديد. بعد خمسة أشهر، ساكون قد وجدتُ سبيلاً إلى طلب العودة .من أجل الولدين، لكن الوقت يكون قد فات، سيكون مع عشيقته وهي، امرأة أكثر صباً مني بكثير. وأجمل ومليئة بالطاقة، تضيفي المتعة على حياته من جديد. يرنّ الهاتف. يسأل مديري عن حال ابني. أقول إنني في نقطة وقوف حافلات واعجز عن سماعه جيداً، لكن كل شيء بخير وساكون قريباً في الصحيفة.

يعجز الخائف عن رؤية الواقع، ويُفضل الاختباء في استيهاماته. لا يسعني ان أمضي على هذا النحو أكثر من ساعة. عليّ ان أتمالك نفسي. وظيفتي تنتظرني، والعمل قد يساعديني.

أغادر نقطة وقوف الحافلات واهتمّ بالعودة إلى سيارتي. انظر إلى الأوراق اليابسة على الأرض. في باريس، سبق أن كُنست على ما اظنّ. لكن في جنيف، هي لا تزال هنا، مع أنّ هذه المدينة أكثر ثراءً من الأولى.

يوماً ما، كانت هذه الأوراق جزءاً من شجرة، شجرة هي الآن في مرحلة انطواء، تنهياً لموسم من الراحة. هل قدّمت الشجرة أيّ اعتبار للدّثار الأخضر الذي غطّاها، وغنّاها، واثاح لها أن تتنفس؟ لا. هل فكّرت في الحشرات التي عاشت فيه وساعدت على لقاح الزهر والإبقاء على الطبيعة نابضة؟ لا. فكّرت الشجرة بنفسها فقط، بعض الأمور. مثل الأوراق والحشرات، يتمّ التخلص منها عند الاقتضاء.

انا كإحدى تلك الأوراق على أرض المدينة، التي عاشت وهي

تظن أنها ستخلد، وماتت من دون ان تعرف السبب، والتي أحببت الشمس والقمر، والتي شاهدت مطولاً تلك الحافلات والسيارات المزمجرة تمر بها، ومع هذا لم يتمتع أحد قط بالكياسة ليخبرها بوجود الشتاء. عاشته إلى أن بدأت ذات يوم تصفر، وودعتها الشجرة.

لم تقل لها ،أراك لاحقاً، بل ،وداعاً، وهي تعرف أن الأوراق لن ترجع يوماً. وطلبت من الريح العون كي ترخيها عن الأغصان وتحملها بعيداً. تعلم الشجرة أن بإمكانها النمو إن هي استراحت. وإن نمت، فستحترم. ويمكنها أن تولد زهراً أكثر جمالاً.

كفى. العمل هو أفضل علاج ما دمت استنزفت دموعي كلها وفكرت بالأشياء كلها التي احتجت إلى التفكير فيها. لكنني لا أزال عاجزة عن التحرك.

اصل إلى الشارع حيث ركنت سيارتي وأنا في وضع آلي، فاجد حارساً يلبس زياً أحمر وأزرق يمسح لوحة سيارتي بآلة.

هل هذه سيارتك؟..

نعم.

يواصل عمله. لا أقول شيئاً. سبق أن أدخلت اللوحة إلى النظام وأرسلت إلى المكتب الرئيس لتنفيذ المعاملة وإرسال رسالة ممهورة بختم الشرطة الحضيف وموضوعة في الجيب الشفاف لغلف رسمي. لدي مهلة ثلاثين يوماً لتسديد ١٠٠ فرنك، لكن يمكنني أيضاً الاعتراض على الغرامة وإنفاق ٥٠٠ فرنك لقاء اتعاب محامين.

،جاوزت وقت الركن بثلاث ساعة. الوقت الأقصى هنا هو نصف ساعة..

أوميء براسي فقط. أرى أنه متفاجيء- أنا لا أطلب منه الرحمة

او التوقف والقول انني لن اكرز فعلتي ولم اهرع إلى إيقافه عندما رأيته. لم أت بردود الفعل التي يعهدها.

تخرج بطاقة المخالفة من الآلة كما لو أننا في سوبرماركت. يضعها في مغلف بلاستيكي (لحمايتها من عناصر الطبيعة) ويتوجه نحو زجاج السيارة الأمامي ليضعه خلف المساحة. أضغط الزر في مفتاحي وتومض الأضواء، مُشيرة إلى أن باباً ترك مفتوحاً.

يذكر حماقة ما سيفعله، لكنه على غراري، يعمل على الوضع الآلي. بعد أن يحفل من صوت الأبواب عند فتح قفلها، يسير نحوي، ويعطيني بطاقة المخالفة. يغادر كل منا سعيداً. لم يضطر إلى التعامل مع أي تذمر، وحصلت أنا على قليل مما استحقته، حصلت على عقاب.

ساكتشف قريباً إن كان زوجي يبذل قصاره في ضبط النفس أو إن كان لا يبالى فعلاً بما جرى.

أصل إلى البيت في الوقت المعتاد بعد يوم آخر من جمع المعلومات حول توافه الأمور في العالم، التلّزب على الطيران، فائض في شجر الميلاد في السوق، وإدخال أدوات التحكم الإلكترونية على تقاطع السكك الحديدية. منحني ذلك السعادة القصوى، لأنني لم أكن في وضع جسدي أو ذهني يسمح لي بالتفكير كثيراً.

أعدّ العشاء كما لو كان هذا المساء مساء آخر من بين الآلاف التي قضيناها معاً. نصرف بعض الوقت في مشاهدة التلفاز فيما يصعد الولدان إلى غرفتهما، مولعين بلوحيهما الإلكترونيين أو الألعاب الإلكترونية التي يقتلون فيها الإرهابيين أو الجنود بحسب اليوم.

أضع الصحون في الجالاية. سيحاول زوجي أن يضع الولدين في فراشهما. حتى الآن، لم نتحدث سوى في أمر واجباتنا اليومية. لا يسعني أن أعرف إن كنا على هذا النحو يوماً ولم لاحظته يوماً، أو أن اليوم غريب على وجه التحديد. ساكتشف قريباً.

هو في الطابق العلوي، وأنا أوقد المداة للمرة الأولى هذه السنة. مشاهدة النار تهدّئني ومع أنني في صدد الإفصاح عن أمر أتوقع أنه على علم مسبق به، أنا في حاجة إلى كلّ العون الذي يمكنني الحصول عليه. افتح زجاجة نبيذ وأعدّ طبقاً من الجبنّة المشكّلة.

اتناول رشفتي الأولى وأحلق إلى اللهب. لا ينتابني القلق أو الخوف.
حسبي هذه الحياة المزدوجة. مهما يحدث اليوم فسيكون أفضل لي.
إذا كان على زواجنا أن ينتهي، فليكن، سينتهي في مساء خريفي
قبل عيد الميلاد، ونحن نشاهد نار المدفأة ونتحدث مثل أناس
متحضرين.

ينزل، يرى الشهد الذي أعدته، ولا يسأل شيئاً. يجلس فحسب
إلى جانبي على الأريكة ويشاهد النيران أيضاً. يحتسي نبيذه. أهم في
إعادة ملء مكاسه، لكنه يلوّح لي بيده، مشيراً إلى أنه اكتفى.
أعلق تعليقاً آخرق، هبطت درجة الحرارة اليوم إلى ما تحت
الصففر. يؤمىء برأسه.

يبدو أن عليّ أن أبادر.
أنا نادمة فعلاً على ما حدث عند العشاء ليلة أمس...
لم يكن النخب نخبك. تلك المرأة غريبة حقاً. أرجوك لا تقومي
بدعوتي بعد اليوم إلى أمور مماثلة..

في صوته هدوء. لكن الجميع يتعلمون في صغرهم أن ما قبل
هبوب العاصفة، تحلّ دوماً لحظة تها فيها الريح ويبدو كل شيء
طبيعياً تماماً.

أشدّ على المسألة. أظهرت ماريان غيرتها المسترة خلف فناعها
العصري والمتحرّر.

صحيح. تقول لنا الغيرة: قد تفقد كل ما جهدت لتحقيقه.
هي تُعمي أبصارنا عن كل أمر آخر، عن اللحظات التي اختيرناها
بفرح، عن الأوقات السعيدة والروابط التي أقمناها في خلال تلك
المناسبات. كيف للحقد أن يمحو تاريخ زوجين محووا كاملاً؟..

هو يمهّد لكي أقول كلّ شيء احتاج إلى قوله. يتابع،
يمزّ الجميع بأنّهم يقولون خلالها: لا ترقى حياتي تمامًا
إلى توقّعاتي.. لكن إن سألتك الحياة ماذا فعلت من أجلها، ماذا
ستقولين؟..

هل السؤال موجه إليّ؟

لا، أنا اتساءل. لا يحدث شيء بلا جهد. عليك أن تتحلّى بالإيمان.
ولفعل ذلك، عليك أن تهدمي حواجز الأحكام المسبقة، وهذا يتطلب
شجاعة. ولا متلاك الشجاعة، لا بُدّ لك من أن تهزمي مخاوفك، وهلمّ
جزأ. فلنتصالح مع أيّامنا. لا يُمكننا التغافل عن وجود الحياة إلى
جانبنا. فلنساعدها..

اسكب لنفسي كأس نبيذ أخرى. يلهم النار مزيدًا من الحطب.
متى سأمتلك الشجاعة للاعتراف؟
لكنه يبدو كأنه لا يريد أن يدعني اتكلّم.

ليس الحلم بالبساطة التي يبدو عليها. فعلى العكس، قد يكون
خطيرًا جدًّا. عندما نحلم، نشغل محركات قويّة، ونعجز بعد ذاك
عن حجب المعنى الحقيقي لحياتنا عن ذواتنا. عندما نحلم، نقوم
أيضًا باختيار الثمن الذي سندفعه..

الآن. كلّما أطلت الوقت، زادت اللوعة التي سأسببها لكلّ منا.
ارفع كأسك، اقترح نخبًا، وأقول له إن ثمة أمرًا يكدر روحي.
يجيب بأننا تحدثنا في الأمر عند العشاء تلك الليلة التي فتحت فيها
قلبي وأخبرته عن خوفي من أن أكون مصابة بالاكْتئاب. أشرح أنّ
ما أشير إليه مختلف. يُقاطعي ويتابع،

أن نسعى وراء حلم مكلف قد يعني التخلي عن عاداتنا، قد يجعلنا نقاسي مشقات، أو قد يُفضي بنا إلى خيبة الأمل، وما إلى ذلك. لكن مهما كان باهظًا، فلن يكون أبدًا بقدر الثمن الذي سيدفعه الأشخاص الذين لم يحيوا حياتهم. لأنهم ذات يوم، سينظرون إلى الماضي، ويسمع كل منهم قلبه يقول، أهدرت حياتي..

هو لا يسهل عليّ الأمور. فلنفترض أن ما عليّ قوله ليس ترهات، أنه شيء ملموس، حقيقي مُهدد.

«سيطرتُ على الغيرة التي تنتابني من أجلك، وأنا سعيد لذلك. اتعرفين لم؟ لأن عليّ دومًا أن أظهر لك أنني اهل لحبك. عليّ أن أكافح من أجل زواجنا، من أجل وصالنا، بطرق لا دخل لها بولديننا. احبك. ساتحمل أي شيء، أي شيء بالمطلق، لكي أبقى إلى جانبي دومًا. لكن لا يسعني أن أمنعك من الرحيل ذات يوم. لذا، إذا حل ذلك اليوم، فأنت حرة في أن ترحلي وتسعي إلى سعادتك. حبي لك أقوى من أي شيء، ولن أمنعك أبدًا من أن تسعدي.

تغوررق عيناك بالدمع. حتى الآن، لست واثقة بما يقوله فعلاً، مانا لو كان هذا مجرد حديث عن الغيرة أو أنه يبعث إلي برسالة.

يتابع، «لا أهاب الوحدة. أهاب خداع نفسي، بالنظر إلى الواقع كما أريده أن يكون وليس كما هو في الحقيقة..

يُمسك بيدي.

«أنت بركة في حياتي. قد لا أكون الزوج الأفضل في العالم، لأنني أطمس مشاعري. وأعلم أنك تحتاجين إلى أن أديرها. أعلم أيضًا أنك قد تظنين لهذا السبب أنك غير مهمة في نظري، قد تشعرين

بعدم الاطمئنان، أو بأمور مماثلة. لكن الأمر ليس كذلك. علينا ان
نجلس قبالة النار ونتحدث في كل الأمور باستثناء الغيرة. لأنني لا
أكثر ذلك. لعل من المستحسن ان نساغر معاً، نحن الاثنين فقط.
ان نقضي عشيّة رأس السنة في مدينة مختلفة أو حتى في مكان سبق
ان زرناه..

لكن ماذا عن الولدين؟..

أنا واثق بان جليهما سيفرحان فرحاً كبيراً للاعتناء بهما..
ويختم،

عندما يحب الزوجان أحدهما الآخر، يكونان مستعنيين لأي
شيء. لأن الحب مثل المشكال، الذي كنّا نلهو به ونحن صغار. هو
في حركة مستمرة ولا يعجز نفسه. إذا لم تفقهي ذلك، فستكونين
محكومة بالعانة من أجل شيء يقتصر وجوده على إسعادنا. وهل
تدريين ما أسوأ الأمور؟ أشخاص مثل تلك المرأة، يقلقون على الدوام
بشان ما يظنّه الآخرون في زواجهم. هذا لا يهمني. الأمر الوحيد المهم
هو ما تظنّينه أنت.

أحني رأسي على كتفه. كل ما كان عندي لأقوله فقد
أهميته. هو على علم بما يجري وقادر على التعامل مع الوضع
بطريقة لن أتمكن منها أبداً.

الأمر بسيط، ما دمت لا تقوم بأي عمل غير مشروع، يكون جني المال وخسارته في السوق المالية جائزين..

يُحاول ملك المال السابق الحفاظ على مكانته كاحد ائري الرجال في العالم. لكن ثروته تبخرت في أقل من سنة بعد أن اكتشف الخبراء المالىون أنه كان يبيع احلامًا. احاول أن أبدي اهتمامًا بما يقول. في النهاية، أنا من طلب إلى مديري أن يغفل سلسلة المقالات حول البحث عن حلول نهائية للتوتر.

مر أسبوع على تلقي رسالة جاكوب التي يقول فيها أنني افسدت كل شيء. أسبوع على هيامي في الشوارع على غير هدى، وهي لحظة ستنكرني بها قريبًا بطاقة المخالفة المروية. اسبوع على ذاك الحديث مع زوجي.

يتابع ملك المال السابق، علينا دومًا أن نعرف كيفية بيع الفكرة. هنا ما يحقق نجاح الفرد. أن يعرف كيف يبيع ما يريد بيعه..

رفيقي العزيز، على الرغم من ابهتك كلها، وهالتك الجدية، وجناحك في هذا الفندق الفخم، على الرغم من هذا المنظر المثل الأخاذ، وبزتك المشتراة من لندن والخيطلة بإتقان تام، وابتسامتك، وشعرك المصبوغ بعناية فائقة ليبرز بعض الشيب فقط، بحيث يولد انطباعًا بأنه طبيعي، وعلى الرغم من الثقة التي تتكلم بها، ثمة أمر

افهمه افضل منك، بيع فكرة ليس كل شيء. عليك ان تجد شاربيا.
وينسحب هذا على الاعمال، والسياسة، والحب.

أتصوّر، أيها المليونير السابق العزيز، أنك تفهم مقصدي؛ لديك
رسوم بيانية، ومساعدون، وملفات عروض... لكن النتائج هي ما
يريد الناس.

الحب أيضا يريد نتائج، مع أن الجميع يصرون على العكس،
على أن فعل الحب يبرّر نفسه. هل هذا صحيح؟ حرّي بي ان اكون
في الحقيقة الإنجليزية، اتنزّه، مرتدية معطفي الفرو الذي ابتاعه لي
زوجي عندما ذهبنا إلى روسيا، اجول بنظري على الخريف، أبتسم
للسماء واقول، «أحبك، وحسبي ذلك». ايمكن ان يصح ذلك؟

بالطبع لا. انا أحب، لكن في المقابل، أريد شيئا محسوسا. تشابك
الأيدي، القبلات، الجنس المحموم، التشارك في حلم، فرصة ان أوجد
عائلة جديدة وأربي اولادي، فرصة ان أعمر إلى جانب شخص
أحبه.

نحتاج إلى هدف شديد الوضوح لاتخاذ أي خطوة، يقولها هذا
الشخص المثير للشفقة إزاني، بابتسامة واثقة ظاهريا.

لا بدّ من أنني أقبل على الجنون مجنّدا. اربط كل شيء اسمعه
أو اقراه بوضعي الوجداني، حتّى هذه المقابلة المملّة مع هذا الرجل
الكاريكاتوري المزعج. افكر في الأمر اربعا وعشرين ساعة في اليوم-
فيما أسلك الشارع، أو أطهو، أو أصرف لحظات ثمينة من حياتي
استمع إلى أمور تنفع بي إلى أعماق، إلى الهاوية التي انحدر إليها، بدلا
من ان تلهيني.

،التفاؤل مُعَدب.....

لا يستطيع ملك المال السابق التوقف عن الكلام، متيقناً من أنني سأغير رأيي وأنتي سأنشر هذا في الصحيفة، وسيُردّ اعتباره. من الرائع إجراء مقابلات مع أشخاص مثله. علينا أن نطرح سؤالاً واحداً فقط، وسيتكلمون لساعة. بخلاف حديثي مع الشامان الكوبي، لا أولي كلمة واحدة انتباهاً. المسجلة تعمل، ولاحقاً سوف أشنّب هذا الحديث الأحادي ليبلغ ستمئة كلمة، وهو يعادل أربع دقائق تقريباً من مدة الحديث.

يقول: التفاؤل مُعب.

إذا كانت هذه الحال، فكل ما سيكون عليك فعله هو مقارنة الشخص الذي تحبه بابتسامة عريضة جداً على وجهك، تملك المخططات والأفكار، ومعرفة كيفية تقديم هذه الحزمة له. هل يفلح ذلك؟ لا. ما يُعدي فعلاً هو الخوف، الخوف المستمر في ألا تجد يوماً شخصاً يرافقنا حتى نهاية أيامنا. وبإسم هذا الخوف نستطيع أن نقوم بأي شيء، بما فيه قبول الشخص غير المناسب والافتناع بأنه المناسب الوحيد، الوحيد الذي وضعه الله على دربنا. وفي غضون وقت قصير جداً، يتحوّل البحث عن الأمان إلى حبّ حارّ، وتُمسّي الأمور أقلّ مرارة، وأصعب. ويمكن أن نودع مشاعرنا صندوقاً، ونزجّه في عمق الخزانة في اذهاننا، حيث سيبقى إلى الأبد، دفيناً لأمريئاً.

يقول بعض الناس أنني أحد الرجال الأوسع صِلات في بلادي. أعرف متعهدي أعمال، سياسيين، صناعيين. ما يجري لشركاتي مؤقت. قريباً ستشهدون عودتي.

أنا أيضاً شخص واسع الصِلات، وأعرف أصناف الناس أنفسهم

الذين يعرفهم. لكنني لا أريد الإعداد لعودة. أريد فقط خاتمة متحضرة مع إحدى هذه الصلات.

كل ذلك لأن الأمور التي لا تنتهي بوضوح تترك على الدوام باباً مفتوحاً، احتمالاً بكراً، فرصة أن كل شيء قد يرجع إلى ما كان عليه من قبل. لا ألف هذه الأمور، لكنني أعرف أشخاصاً كثيرين يحبون أن يكونوا في وضع مماثل.

ما الذي أفعله؟ مقارنة الاقتصاد بالحب؟ محاولة إرساء صلة بين العالم المالي والعالم الوجداني؟ مز أسبوع على آخر خبر من جاكوب. مز أسبوع أيضاً على تلك الليلة أمام اللقاة، عندما عادت علاقتي بزوجي إلى طبيعتها. هل سنتمكن من إعادة بناء زواجنا؟

حتى حلول فصل الربيع هذا، كنتُ شخصاً طبيعياً. اكتشفت ذات يوم أن كل شيء ملكته قد يختفي في لح البصر، وبدل أن اتصرف كإنسانة ذكية، ذعرت. أدى ذلك إلى الجمود. الفتور. العجز عن التصرف والتغير. وبعد كثير من ليالي السهد، وكثير من الأيام التي فقدت فرح الحياة، فعلت بالضبط أكثر ما خشيته، مشيتُ في الاتجاه المعاكس، على الرغم من المخاطر. أعرف أنني لست الوحيدة، فالناس ينزعجون من التدمير الذاتي. بالمصادفة، أو لأن الحياة أرادت أن تمتحنني، وجئتُ شخصاً شغلي من شعري - حقيقةً ومجازاً - وهزني، ونفض عني الغبار الذي كان يتراكم، وجعلني اتنفس من جديد.

وكل ذلك خطأ صرف. إنه نوع السعادة التي لا بُد من أن المدمنين يعرفونها عندما يتعاطون المخدرات. عاجلاً أو آجلاً، يزول مفعول المخدر، ويتفاقم اليأس.

يُشرع ملك المال بالتحدث عن المال. لم أطرح عليه أي سؤال في هذا الشأن، مع ذلك، يتكلم. لديه حاجة هائلة إلى القول إنه ليس فقيرًا، إن بإمكانه الاستمرار في أسلوب عيشه لعقود آتية. لا أطيق البقاء هنا أكثر. أشكره على المقابلة، أطفئ المسجلة، واذهب لإحضار معطفي.

يقول مقترحًا، هل انتِ خُرة هذا المساء؟ بإمكاننا أن نحتسي كاسًا وننتهي الحديث..

ليست المرة الأولى التي يحدث فيها ذلك. في الواقع، إنه من المسلمات تقريبًا في حالتي. مع أن مدام كونيشتن لن تُقر بالأمر، فانا فاتنة وذمكية، وقد استعملت سحري لأدفع بعض الأشخاص إلى قول أمور لن يقولوها في العادة لصحافيين، حتى بعد تحذيري لهم بأنني قد أنشر كل شيء. لكن الرجال... آه من الرجال! يفعلون كل ما بإمكانهم لإخفاء مواطن ضعفهم في حين أن بوسع أي فتاة في الثامنة عشرة من العمر أن تتلاعب بهم بجهد قليل.

أشكره على الدعوة وأقول إن لديّ مخططات مسبقة لهذا المساء. يهزني أن أسأله عن رد فعل آخر حبيباته على موجة الإعلام السلبي والتهيار امراطوريته. لكن استطيع أن أتصور الرد مسبقًا، وهو لا يهم الصحيفة.

المغامر، اجتاز الشارع، واتوجه إلى الحديقة الإنجليزية، حيث، منذ لحظات، تخيلت نفسي أتنزه فيها. أذهب إلى متجر الثلجات هند زاوية شارع ٣١، ديسمبر.. أحب اسم الشارع لأنه يذكرني بأن سنة أخرى ستنتهي عاجلاً أو آجلاً، ومرة أخرى، ساضع قرارات المسئلة التالية.

اطلب مقدار مغرفة واحدة من البوظة بالفستق والشوكولاته.
أسر نحو الرصيف واتناول مثلجاتي فيما أراقب رمز جنيف،
النافورة التي يشبّ ماؤها في السماء ويولّد ستارًا من قطرات الماء
أمامي. يقترب السياح ويلتقطون صورًا ستظهر خفيفة الإضاءة. الن
يكون من الأسهل شراء بطاقة بريديّة مصوّرة فحسب؟

زُرت معالم كثيرة في العالم، كثيرًا من نُصب الرجال الذين
نُسيت أسماؤهم منذ زمن، لكنهم سيظلّون منتصبين على ظهور
خيولهم الجميلة إلى الأبد. نُصب نساء، يرفعن تيجانهنّ أو سيوفهنّ
إلى السماء، يرمزن إلى النصر الذي لم يعد يظهر حتّى في الكتب
المدرسيّة. نُصب أولادٍ وحيلين، مجهولين، حُفروا من حجر، وقد
ضاعت براءتهم إلى الأبد في خلال الساعات أو الأيام التي أكرهوا
فيها على المثل أمام فنّان، هو أيضًا سحَق التاريخ أسفه.

في ما عدا استثناءات قليلة جدًا، لا تتجلى معالم مدينة ما في
تماثيلها، بل في أمورها اللامتوقّعة. عندما بنى إيفيل برجًا لعرضه
العالي، لم يحلم حتّى يومًا أنّه سيؤوّل إلى اعتباره رمز باريس.
يُطلّ على متحف اللوفر، وقوس النصر، وحدائقه البهيّة. تفاع
تمثّل نيويورك. وجسرّ قليل الاكتظاظ هو رمز سان فرانسيسكو.
وجسرّ آخر، يعلو نهر تاجه، مطبوع على البطاقات البريديّة المصوّرة
في لشبونة. وتتخذ برشلونة كاتدرائيّة غير مُنجزة شعارًا من أعظم
شعاراتها.

وينسحب الأمر على جنيف. تلتقي بحيرة اليمان ونهر الرون
في هذه النقطة بالذات، مولدة تيارًا قويًا جدًا. بُنيت محطة توليد
كهرومائيّة هنا لاستغلال القوّة اللائيّة (نحن سادة في استغلال

الأمور)، لكن عندما كان العمال يرجعون إلى منازلهم ويغلقون الصمامات، كان الضغط يشتد جداً، فانتهى الأمر بالتوربينات إلى التفجر.

إلى أن خطرت الفكرة لمهندس بوضع نافورة محلها، ما يسمح لفائض الماء بالتدفق.

مع الوقت، حلّ مهندسون المشكلة وباتت النافورة غير ضرورية. غير أنّ سكان المدينة صوّتوا في استفتاء للإبقاء عليها. كانت النوافير كثيرة في المدينة أصلاً، وتقع هذه النافورة في وسط بحيرة. فكيف لهم إبرازها أكثر؟

هكذا ولد المعلم التحوّل. تمّ تركيب مضخات قوية، والآن تقلّف نافورة جبّارة خمسمئة لتر من الماء في الثانية الواحدة، بسرعة منتي متر في الساعة. يقولون إنّ رؤيتها على ارتفاع نحو تسعة آلاف متر من الطائرة أمر ممكن، وقد تأكّدت من ذلك. ليس لها اسم مميز، تُسمّى «جيه دو». فحسب (نافورة الماء)، هي المعلم الرمزي للمدينة على الرغم من وجود كلّ التماثيل، من رجال على أحصنة، ونساء بطلات، وأولاد وحيدين.

سالتُ دينيز ذات يوم، وهي عالمة سويسرية، عن رأيها في «جيه دو».

«الجسم، بمعظمه تقريباً، مكوّن من الماء الذي تمرّ عبره التفريغات الكهربائية، موصلة المعلومات. تسمّى إحدى هذه المعلومات الحبّ، ويُمكنها أن تتعرّض للكائن الحيّ بأكمله. الحبّ دائم التغيّر. اعتقد أنّ «جيه دو» أبهى العالم التي ترمز إلى الحبّ المولود من فنّ الإنسان، لأنّه هو أيضاً لا يبقى على حاله أبداً».

أخذ هاتفي واتصل بمكتب جاكوب. بإمكانني طبعًا ان
أطلب رقمه الشخصي، لكنني لا أفعل. أكلّم مساعدته وأبلغها بأنني
سأجتمع به.

مساعدته تعرفني. تطلب إليّ ان أبهى على الخطّ في حين تؤكد
الاجتماع. بعد دقيقة، تعود وتعتذر قائلة إنّ جدول مواعيده ملآن
تمامًا. ربما في السنة الجديدة؟ أقول لا، احتاج إلى لقائه على الفور،
الأمر طارئ.

الأمر طارئ، عبارة لا تفتح على النوام كثيرًا من الأبواب،
لكن في هذه الحالة، أنا واثقة أنّ فرصتي كبيرة. هذه المرّة، تستغرق
المساعدة دقيقتين من الوقت. تسال عن إمكانية ان يكون بنهاية
الأسبوع المقبل. أبلغها بأنني سأصل في غضون ثلاث ساعة.
أقول شكرًا وأنهى المكالمة.

يطلب إليّ جاكوب ان ارتدي ملابسى بسرعة. في النهاية، مكتبه مكان عام، ويُدفع أجره من مال الحكومة. إذا حدث ان اكتشف احدهم ما جرى فقد يُسجن. أعاين بدقة الجدران المكسوة بالواح من الخشب المنقوش وتصاميم الجص البهية في السقف. لا ازال مستلقية على الأريكة الجلدية الرثة، عارية كلياً.

إنه يتوتر. هو يرتدي بزة وربطة عنق، ينظر بقلق إلى ساعة يده. انتهت ساعة الغداء. سبق لسكريترته الخاصة ان عادت، طرقت بهدوء الباب وسمعت، أنا في اجتماع، ولم تُصِر. مرّت أربعون دقيقة منذ ذلك الوقت، إلى جانب بضع جلسات استماع ومواعيد ألغيت على ما يُحتمل.

عندما وصلتُ، حيّاني جاكوب بطبع القبل الثلاث على وجنتي. وأشار بنبرة رسمية إلى الكرسي امام مكتبه. لم احتج إلى حلسي الأنثوي لأعرف أنه كان مرتعباً. ما الداعي إلى هذا الاجتماع؟ ألا أستوعب أن جدول مواعيده محشور؟ ستبدأ العطلة البرلمانية قريباً، ويحتاج إلى حلّ مسائل عدّة مهمة. ألم أقرأ الرسالة التي بعث بها إليّ، قائلاً إن زوجته مقتنعة الآن بأن شيئاً ما يجري بيننا؟ نحتاج إلى ان ننظر قليلاً وندع الأمور تهدأ قبل ان نعاود الالتقاء.

بالطبع أنكرتُ كل شيء. ادّعيْتُ أنني صدمت أشدّ صدمة من تلميحاتها. قلتُ إنها أهانت كرامتي. أنني سئمتُ عدم ثقتها بي.

وإنّ بإمكانها سؤال من تشاء عن سلوكي. ألم تكن هي من قال إنّ الغيرة إشارة إلى الدونية؟ فعلتُ ما أمكنتي، ورنت ببساطة: كُفّ عن سخفك. أنا لا أتدّمّر من أيّ شيء، أنا أقول فقط إنني عرفتُ لماذا كُنت تتصرّف بغاية اللطف واللباقة مؤخرًا. كان....

لم ادعه يُكمل جملته. نهضتُ وشدّدته من ياقته. ظنّ أنّي كُنت سابّطش به. لكن بدلاً من ذلك، قبلته قبلة مطوّلة. لم يستجب جاكوب مطلقًا، لأنه كان يتصوّر أنّي أتيت إليه لتفور عليه قهري. لكنني واصلتُ تقبيل شفتيه ورقبته فيما حللتُ ربطة عنقه.

دفعني عنه، فصفعته.

أحتاج فقط إلى قفل الباب أولاً. اشتقتُ إليك أنا أيضًا.

اجتاز المكتب المفروش بذوق باذات يعود إلى القرن التاسع عشر، وادار المفتاح في القفل. عندما عاد، كنتُ قد تعزيتُ من ملابسي كلّها تقريبًا، مُبقية على سروالي الداخلي فقط.

فيما مرّقتُ ملابسه، شرع في لعق نهديّ. تاوّهتُ من اللذة، اطبق فمي بيده، لكنني هزّزتُ راسي وواصلتُ التاوّه بهدوء.

خلال ذلك الوقت، توقّفتُ مرّة واحدة للقول، سمعتي على المحكّ، كما بإمكانك أن تتصوّر. لا تقلقي.

جنّوتُ على ركبتيّ واخذتُ العنق عضوه. مجنّنا، امسك براسي، متحكّمًا بالوتر، أسرع فأسرع. لكنني لم أرد أن يقنّف في فمي. أبعده عني وتوجّهتُ إلى الأريكة الجلديّة، تهالكتُ عليها وباعدتُ بين ساقيّ. ركع، وراح يلعب أسفلي. عندما انتشيتُ النشوة الأولى،

عضضتُ يدي لألجم صراخي. بليت موجة اللذة كأنها لن تنتهي.
واصلتُ عضَّ يدي.

ثم ناديته باسمه، قائلةً له إنني أريده داخلي وله أن يفعل ما
يريده. ولجني، جذبني من كتفي بشدة، وهزني مثل متوحش.
أبعد بين ساقي لكي يلجني أعمق. اشتدَّت الوتيرة، لكنني أمرته ألا
يقذف عندها. احتجبتُ إلى مزيد، ومزيد، ومزيد.

جعلني على الأرض، على يدي وركبتي، مثل كلبة، ضربني
وولجني مرة أخرى فيما حرَّكتُ خصري بعنف. عرفتُ من أنيه
المخنوق أنه كان سيبلغ الذروة، أنه لم يعد قادرًا على التحكم
بنفسه. جعلته ينسحب مني، استدثرتُ، وطلبتُ إليه أن يدخلني
مجددًا وهو ينظر إلى عيني ويتفوه بالكلمات البذيئة التي أحببنا
تبادلها عندما مارسنا الحب. تفوّهتُ بافحش ما يُمكن لامرأة
التفوه به لرجل. ناداني مرّداً اسمي بنعومة، يتوسَّل أن أقول له إنني
أحبّه. لكنني كنت قد تفوّهت بكلّ دنس وطلبتُ إليه أن يعاملني
معاملة المومس والغريبة ويستغلني استغلال الجارية والإنسانة التي
لا تستحق الاحترام.

أشعرَ بلّني كلّهُ. جاءتني اللذة على موجات. انتشيتُ،
وانتشيتُ، فيما ضيَّط نفسه لإطالة الأمر ما أمكن. اصطدم جسدنا
بعنف، محدثين دويًا. لا بُدَّ من أنه لم يعد يكثر أن سمعه أحدهم
عبر الباب.

تسمرت عيناَي عليه، مُصغيةً إلى تردادهِ اسمي مع كلّ
حركة، أدركتُ أنه لم يكن يضع واقفًا ذكرًا وأنه كان على

وشك أن يقذف. مرّة أخرى، تنخّيت، وأنا أدفعه إلى الانسحاب. طلبت إليه أن يقذف على وجهي، في فمي، وأن يقول لي إنه يحبني. فعل جاكوب ما قلته بالضبط، فيما استمنيت وانتشيت أنا أيضًا. ضمّني إليه، حتى رأسي على كتفه، ومسح زاويتي فمي بيده. قال مجددًا وتكرارًا إنه يحبني وأنه حقًا اشتاق إليّ.

لكنه الآن يطلب إليّ أن ارتدي ملابس، لكنني أبقي بلا حراك. عاد إلى حالة الفتى الحسن السلوك الذي يلقي إعجاب الناخبين. يُحسّ بأن ثمة خطبًا، لكنه لا يعرف ماهيته. يروح يدرك بأنني لست هنا لمجرد أنّه عشيق مذهل. ماذا تريدون؟..

أريد خاتمة. احتاج إليها وإن كانت تفطر قلبي وتركني محطمة وممزقة إلى أشلاء، احتاج إلى إنهاء ما بيننا، إلى النظر في عينيك إلى القول انتهينا. إلى الأبد.

المعاناة التي قاسيتها الأسبوع الفائت كانت أبعد من الاحتمال إلى حدّ بعيد. ذرفت دموعًا جافة، وتهدّت في الأفكار التي راودتني، بأنني أحمل إلى حرم الجامعة حيث تعمل زوجتك وأودع المصحّ العقلي التابع للمستشفى. خلّت أنني أخفقت في كلّ شيء، باستثناء العمل ودوري الأمومي. كنت على بُعد خطوة من العيش وللوت كلّ دقيقة، أحلم بكلّ ما كان يمكن لنا الحصول عليه لو كنّا لا نزال مراهقين ينظران إلى المستقبل معًا، مثل المرّة الأولى. لكن خلّت لحظة فهمت عندها أنني بلغت حدود اليأس، ولا يسعني الغوص إلى أعماق. وعندما رفعت بصري إلى أعلى، كانت ثمة يد واحدة ممدودة لي، يد زوجي.

لا بُدَّ أَنَّهُ عَرَفَ الْأَمْرَ أَيْضًا، لَكِنَّ حَبَّهُ كَانَ أَقْوَى. حَاوَلْتُ أَنْ
أَكُونَ صَرِيحَةً وَأَخْبِرَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لَأَرْفَعَ ذَاكَ الْجَمَلَ عَنْ كَاهِلِي،
لَكِنِّي لَمْ أَحْتَجْ إِلَى ذَلِكَ. أَفْهَمَنِي أَنَّهُ، بِغَضِّ النَّظَرِ عَنْ خِيَارَاتِي الَّتِي
أَتَّخَذَهَا فِي حَيَاتِي، سَيَكُونُ دَوْمًا إِلَى جَانِبِي، لَنَا كَانَ جَمَلِي خَفِيفًا.
أَدْرَكْتُ أَنَّنِي كُنْتُ الْيَوْمَ نَفْسِي، وَأَعَاقِبُهَا عَلَى أَثَرِ أُمُورٍ لَمْ يَكُنْ
يَتَّهَمُنِي بِهَا أَوْ يَلُومُنِي عَلَيْهَا. قُلْتُ لِنَفْسِي: لَسْتُ جَدِيرَةً بِهَذَا الرَّجُلِ،
هُوَ لَا يَعْلَمُ مَنْ أَنَا..

لَكِنَّهُ يَعْلَمُ. وَهَذَا مَا يَسْمَحُ لِي بِاسْتِعَادَةِ احْتِرَامِي وَتَقْدِيرِي
لِنَاثِي. لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ رَجُلٌ مِثْلَهُ يَرِيدُ الْبَقَاءَ إِلَى جَانِبِي، رَجُلٌ لَنْ
يَصْعَبَ عَلَيْهِ الْبَتَّةُ إِيجَادَ شَرِيكَةٍ جَدِيدَةٍ فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ لِلانْفِصَالِ،
فَهَذَا لِأَنَّنِي ذَاتُ قِيَمَةٍ، ذَاتُ قِيَمَةٍ كَبِيرَةٍ.

اكتشفتُ أَنَّ بِإِمْكَانِي أَنْ أَرْجِعَ وَأَنَا إِلَى جَانِبِهِ مِنْ دُونِ الشُّعُورِ
بِأَنَّنِي قَدْرَةٌ أَوْ أَفْكَرٌ بِأَنَّنِي أَخُونَهُ. شَعَرْتُ بِأَنَّنِي مُحَبُّوبَةٌ وَأَنَّنِي
اسْتَحَقَقْتُ هَذَا الْحُبَّ.

انْهَضْ، اَلْتَقِطْ ثِيَابِي وَاتَوَخَّجْ إِلَى حَمَامَةِ الْخَاصِّ. هُوَ يَعْرِفُ أَنَّهَا
الْمَرَّةُ الْأَخِيرَةُ الَّتِي سِيرَانِي فِيهَا عَارِيَةً.

أَقُولُ عِنْدَمَا أَعُودُ: أَمَامِي مَسِيرَةٌ شِفَاءٌ طَوِيلَةٌ. اَعْتَقِدْ أَنَّكَ تَعِيشُ
الشُّعُورَ نَفْسَهُ، لَكِنِّي وَاثِقَةٌ بِأَنْ جُلَّ مَا تَرِيدُهُ مَارِيَانُ هُوَ أَنْ تَنْتَهِيَ
هَذِهِ الْعِلَاقَةُ الْعَابِرَةُ، وَتَتِمَكَّنَ مِنْ مَعَانِقَتِكَ مَجْتَنِبًا بِالْحُبِّ وَالْأَمَانِ
لِلْمَعْهُودِينَ.

نَعَمْ، لَكِنِّي لَنْ تَقُولَ لِي شَيْئًا. عَرَفْتُ مَا كَانَ يَجْرِي وَانْطَوَتْ
عَلَى نَفْسِهَا أَكْثَرَ. لَمْ تَكُنْ يَوْمًا عَاطِفِيَّةً، وَالْآنَ هِيَ مِثْلُ إِنْسَانَةٍ آلِيَّةٍ،
أَكْثَرَ تَفَانِيًا فِي الْعَمَلِ مِنْ أَيِّ وَقْتٍ مَضَى. إِنَّهَا طَرِيقَتُهَا فِي الْهَرُوبِ.

أعزل وضعي تنويرتي، انتعل حذائي، أخرج رزمة من حقيبتني،
واتركها على طاولة مكتبه.

«ما هنا؟»

«كوكابين»

«لم أعرف أنك.....»

افكر في أنه لا داعي ليعرف كل شيء. لا داعي ليعرف المدي
الذي كنت مستعدة لبلوغه للنضال من أجله، هو الرجل الذي
تيمت بحبه. لا يزال الشغف موجوداً، لكن الشعلة تذوي كل يوم.
اعرف أنها ستنطفئ في النهاية. كل انفصال مؤلم، واستطيع ان
اشعر بهذا الألم في كل نسيج من جسمي. إنها المرة الأخيرة التي
سأراه فيها وحده. سنلتقي من جديد في حفلات كوكبتيل وعشاء
رسمية، في الانتخابات والمؤتمرات الصحفية، لكننا لن نكون يوماً
كما كنا اليوم. كان من الرائع أننا مارسنا الحب هكنا وانتهينا
كما بدأنا، كاللنا مستسلم للآخر تماماً. عرفت أنها المرة الأخيرة،
هو لم يعرف، لكن لم استطع قول شيء.

«مانا يفترض ان افعل بها؟»

ارمها. كلفتني ثروة ضئيلة، لكن ارمها. عندها ستحررني من
إدماني.

لا أفسر الإدمان الذي أقصده. لأن له اسماً، جاكوب كونييش.
أرى تعابير تفاجئه وابتسم. أقول وداعاً طابعة القبلات الثلاث
على وجنتيه وأرحل. في الردهة، أستدير ناحية معاونه والوح له.
يشيح بنظره عني، مدعياً التركيز في كومة من الأوراق، ويتمتم
الوداع فقط.

عندما أصل إلى الرصيف، اهاتف زوجي وأقول له إنني أفضل
قضاء عشيّة رأس السنة في المنزل، مع الولدين. إذا أراد أن يسافر،
فليكن ذلك في عيد الميلاد.

هَلَّا نَتَمَشَّى قَبْلَ الْعِشَاءِ؟..

أومىء بالإيجاب، لكنني الازم مكاني. أهدق إلى المتنزه مقابل الفندق، وخلفه، يونغفرو، المكتسية قمته تلجأ على الدوام والمُشغ بنور شمس بعد الظهر.

العقل البشري مُذهل، ننسى عبثاً ما إلى أن نشتمه من جديد، نمحو صوتاً ما من ناكرتنا إلى أن نسمعه من جديد، وحتى العواطف التي ببت مدفونة إلى الأبد، تستيقظ عندما نرجع إلى المكان نفسه.

استرجع يوم كنا في «إنترلاكن» للمرة الأولى. حينذاك، نزلنا في فندق رخيص، وانتقلنا مشياً من بحيرة إلى أخرى، وكأننا كنا نكتشف درباً جديداً في كل مرة. كان زوجي مشاركاً في ذاك الماراثون المجنون الذي كان معظم دربه عبر الجبال، كنت فخورة بروحه المغامرة، برغبته في فخر المستحيل وتحدي جسمه على الدوام.

لم يكن المجنون الوحيد الذي يقوم بذلك، جاء أناس من نواحي العالم كله، ملأوا الفنادق واختلطوا في كثير من الشارب والطاعم في هذه البلدة الصغيرة التي يسكنها خمسة آلاف شخص. لا أدري كيف تكون «إنترلاكن» شتاءً، لكن الآن كما تبدو من نافذتي، هي أكثر فراغاً، أكثر انسحاباً.

هذه المرة ننزل في فندق افضل. لدينا جناح جميل. بطاقة المدير على الطاولة، يُرخب بنا ويقدم إلينا زجاجة من الشمبانيا التي سبق ان أفرغناها.

يناديني باسمي. ارجع إلى الواقع وننزل السلالم لنتمشى في الشوارع قبل حلول الظلام.

إذا سألتني هل كل شيء على ما يرام؟ فسوف اكذب، لأنني لا أريد أن افسد عليه سعادته. لكن الحقيقة أن الجراح في قلبي يستغرق شفاؤها وقتاً طويلاً. يُشير بإصبعه إلى الشاطئ حيث جلسنا ذات صباح لشرب القهوة ودنا منا ثنائي أجنبي من الهيبين الجدد يطلب المال. نمرُ أمام إحدى الكنائس فيما يقرع جرسها، يقبلني وارد القبلة، أفعل ما بوسعي لإخفاء ما أشعر به.

نسير متشابكي الأيدي بسبب البرد. أكره ارتداء القفازات. نتوقف عند مشرب جميل ونحتسي بعض المشروب. نذهب إلى محطة القطار. يشتري التذكار نفسه الذي اشتراه المرة الماضية، قنّاحة عليها رمز المدينة. يومها، كان يدخن ويركض في المارااثون. اليوم، هو لا يدخن ويعتقد أن نفسه ينقطع أكثر يوماً بعد يوم. هو يلهث يوماً عندما نمشي مسرعين، ومع أنه يحاول إخفاء ذلك، لاحظت أنه شعر بتعب أكثر من المعتاد عندما قمنا بجولة الركض تلك حول البحيرة في «نيون».

هاتفني يرخ. أفتش عنه مطولاً في حقيبة يدي قبل أن أجده. وعندما أجده أخيراً، يكون الشخص قد أفل الخط. يظهر على الشاشة أنها صديقتي، التي كانت مكتئبة، والتي استعادت سعادتها، بفضل الأدوية.

لا أمانع إن كنت تريدان معاودة الاتصال بها..
اسأل لم علي معاودة الاتصال. ألا تسره رفقتي؟ أريدان يقاطعنا
أشخاص سيصرفون ساعات في الثرثرة على الهاتف؟
يختاظ مني هو أيضًا. ربما كان تأثير زجاجة الشمبانيا
فحسب، يرافقها كاسان من مشروب اكوافيت. يهتئني غيظه
ويريحني، هانا أمشي إلى جانب إنسان، بانفعالات ومشاعر.
أقول إن «إنترلاك» غريبة من دون المراثون. تبدو كمدينة
أشباح.

«ما من منحدرات تزلج هنا..
ولا يمكن أن تكون. نحن في وسط وادٍ، تحيط به جبال شاهقة
من جانبيه وبحيرات من طرفيه.
يطلب كاسين من مشروب الجين. أقترح أن نتنقل بين المشارب،
لكنه عازم على محاربة البرد بالكحول. لم نفعل ذلك منذ وقت
طويل.

«أعرف أنها عشر سنوات فقط، لكن عندما جئنا إلى هنا للمرة
الأولى، كنت شابًا. كانت لي طموحات، أحببت الهواء الطلق، ولم
أكن أسمح للمجهول بأن يخيفني. هل تغيرت كثيرًا؟..

لا تزال في العقد الرابع فقط. هل أنت عجوز فعلاً؟
لا يجيب. يتجرع مشروبه دفعة واحدة ويحدق إلى الفراغ. هو
لم يعد الزوج المثالي، وبغرابية، يسعدني هنا.

تغادر المشرب ونرجع إلى الفندق مشيًا. نرى على دربنا مطعمًا
جميلًا وساحرًا، لكن سبق أن حجزنا في مكان آخر. لا يزال الوقت

باكراً. تشير اللافتة إلى أن تقديم العشاء لا يبدأ قبل الساعة مساءً.

فلنحتسب كاساً أخرى من الجين.

من هذا الرجل إلى جاني؟ هل أيقظت، إنزلاكن، ذكريات منسية وفتحت صندوق باندورا؟

لا أقول شيئاً. بدأت أشعر بالخوف.

اسأل إن كان علينا أن نلغي الحجز في المطعم الإيطالي ونتناول العشاء هنا.

لا بهم.

لا بهم؟ هل يشعر فجأة بكل ما خبرته عندما ظننت أنني مكتئبة؟

بل بهمني. أريد أن نرتاد المطعم الذي حجزنا فيه. المطعم نفسه الذي تبادلنا فيه وعود الحب.

كانت هذه الرحلة فكرة هظيعة. أفضل العودة في الغد. كانت نيأتي حسنة، أردت أن نحبي الأيام الأولى لعلاقتنا. لكن هل هذا ممكن؟ بالطبع لا. نحن راشدان. نعيش في ظل ضغوط لم تكن موجودة من قبل. نحتاج إلى تلبية حاجات أساسية مثل التعليم، والرعاية الصحية، والمأكل. نحاول أن نستمتع بوقتنا في عطل نهاية الأسبوع لأن هذا ما يفعله الجميع، وعندما لا نشعر بالرغبة في مغادرة المنزل، نعتقد أننا نشكو من أمر ما.

لم ارد ذلك يوماً. أفضل ألا أفعل شيئاً.

أنا كذلك. لكن ماذا عن الولدين؟ هما يريدان أمراً مختلفاً

عنا. لا يمكن أن نحتجزهما برفقة حاسوبيهما. هما لا يزالان صغيرين على ذلك. لذا نُجبر أنفسنا على اصطحابهما إلى مكان آخر، والقيام بالأمور نفسها التي فعلها والدانا، وهو الأمر نفسه الذي فعله جدانا مع والدينا. حياة عادية. نحن أسرة ذات تركيبة عاطفية حسنة. إن احتاج الواحد منا إلى المساعدة، يكون الآخر مستعدًا على الدوام لفعل أي شيء من أجله..

أفهم. كالقيام برحلة مثلاً إلى مكان مليء بالذكريات. كاس أخرى من الجبن. يلزم الصمت قليلاً قبل أن يجيب. صحيح. لكن اتعتقدين أن للذكريات أن تملأ الحاضر؟ لا. في الواقع، هي تخنقني. أنا في صدد الاكتشاف أنني لم أعد الشخص نفسه. كان كل شيء بخير، حتى جننا إلى هنا واحتسينا زجاجة الشمبانيا تلك. أدرك الآن كم بعيد أنا عن الحياة التي حلمت بأن أحيائها عندما زرت، إنترلاكن، للمرة الأولى.

بم حلمت؟

كان حلماً سخيلاً. لكنه مع ذلك كان حلمي. وكان بإمكانني أن أحققه..

لكن ما كان؟

إن أبيع كل شيء امتلكته، أشترى قارباً، وأجول في العالم معك. ولكن هذا كان سيغضب أبي لأنني في ذلك لا أحنو حنوه. غير أن هذا لم يهمني. كنّا سنرسو في موانئ، ونشغل وظائف غريبة إلى أن نجني ما يكفينا من المال لاستئناف الترحال، ومتى جئنا ما يكفي من المال، نُبحر مجدداً. وكنت أحلم برفقة أشخاص لم نرهم من

قبل ونكتشف أماكن غير واردة في الأدلة السياحية. للغامرة. امنيتي
الوحيدة كانت الغامرة.

يطلب كاسًا أخرى من الجين ويتجرعها بسرعة غير مسبقة.
اكف عن الشرب لأنني اشعر بالغثيان، لم نكن قد اكلنا شيئاً. اود
ان اقول لو ان امنيته تحققت كنت ساصبح أسعد امرأة في العالم.
لكن كان من الأفضل ان ألزم الصمت وإلا سيزداد شعوره سوءاً.
ثم أتى الولد الأول.

وان يكن. هتمة ملايين الأزواج لديهم أولاد ويفعلون بالضبط
ما أشار إليه.
يتأمل قليلاً.
لن اقول ملايين. ربما الالف.

تتغير نظراته، لم تعد تعكس العداينة، بل الحزن.
هتمة اوقات يجدر بنا ان نتوقف عندها لكي ننظر الى الصورة
بأكملها، ماضينا وحاضرنا. ما تعلمناه، والأخطاء التي ارتكبناها.
كنت اخشى تلك اللحظات على الدوام. احتال على نفسي، واقول
إنني اتخذت من الخيارات افضلها، ولم يتعين عليّ الا تقديم قليل
من التضحيات. لا شيء مهم.

اقترح ان نتمشى قليلاً. تتشعح نظراته بالغرابة والتناقض.
يضرب الطاولة بقبضته. تبدو النادلة مذعورة، واطلب لنفسي
كاسًا أخرى من الجين. ترفض. إنه وقت إقفال المشرب لأن تقديم
العشاء سيبدأ قريباً. وتُحضر الفاتورة.
اتساءل كيف سيتصرف زوجي. لكنه يخرج محفظته فحسب،
ويرمي ببعض المال على المنضدة. يمسك بهدي ونخرج الى البرد.

أخشى إن فكرت كثيراً بكل ما كان يمكن أن يحدث ولم يحدث، أنني سأقع في ثقب أسود.....

أعرف هذا الشعور. تحدثنا عن ذلك في المطعم، عندما فاتحتك بأمري.

يبدو أنه لا يسمع.

.... في عمق أعماقي صوت يقول لي، لا شيء من هذا منطقي. نشأ الكون منذ مليارات السنين، وسيواصل بقاءه إلى ما بعد مماتك. نعيش في جزء مجهري من لغز عملاق، ولا نزال نجهل الإجابات عن أسئلة من طفولتنا، هل نمة حياة على كوكب آخر؟ إن كان الله خيراً، فلم يسمح بمعاناة الآخرين ووجعهم؟ والأسوأ من ذلك أن الزمن يواصل مروره. غالباً، بلا سبب ظاهر، اشعر بارتياح شديد. أحياناً عندما أكون في العمل، وأحياناً في السيارة، وأحياناً عندما أضع الولدين في الفراش. انظر إليهما بحب، خائفاً، ماذا سيحل بهما؟ يعيشان في بلد يؤمن السلام والأمان، لكن ماذا عن المستقبل؟..

نعم، أفهم ما تقول. أتصور أننا لسنا الوحيدين اللذين يفكران بهذه الطريقة.

ثم أراك تُعدّين الفطور أو العشاء وأحياناً أفكر في أننا بعد خمسين سنة من اليوم، أو ربما أقل، سينام أحدهنا وحيداً، يبكي كل ليلة لأننا كنّا سعيدين يوماً. سيكون الولدان قد كبرا وابتعدا. وسيكون من بقي منا على قيد الحياة مريضاً، محتاجاً إلى عون غرباء على الدوام..

يكف عن الكلام، ونمشي بصمت. نمر بجانب لافتة تعلن عن إقامة حفلة رأس السنة. يركلها بعنف. ينظر إلينا مازان أو ثلاثة.

«سامحيني. لم أقصد قول كل ذلك. اصطحبتك إلى هنا ليتحسن شعورك بعيداً عن كل الضغوط اليومية. الذنب ذنب الكحول!..»

أنا مصدومة.

نمّر بجانب مجموعة من الشبان والشابات يتحادثون بحماسة وعبوات البيرة منتشرة في كل مكان. يدنو زوجي منهم، وهو الخجول والجدّي عادة، ويدعوهم إلى تناول كأس أخرى.

يبدو الذعر عليهم. اعتذر، مُلمّحة إلى أننا ثملان، وأن نقطة كحول أخرى قد تؤذي إلى كارثة. أمسكه من ذراعه ونمضي.

كم من الوقت مضى منذ أن فعلت ذلك؟ كان هو الحامي على الدوام، المُعين، حلّال المشكلات. الآن، أنا من يُحاول رده عن الانزلاق والسقوط. تبدّل مزاجه مرّة أخرى، والآن هو يغني أغنية لم يسبق لي أن سمعتها، لعلّها أغنية تقليدية من تلك المنطقة.

عندما نقرب من الكنيسة، يقرع الجرس مجنّداً.

أقول إنها إشارة جيّدة.

أصغي إلى الأجراس. هي تمثل صوت الله. لكن هل يُصغي الله إلينا؟ نحن في العقد الرابع من العمر، ولم تعد الحياة ممتعة. لو لم يكن ذلك من أجل ولدينا، فما الهدف من كل هذا؟..

استعدّ لقول شيء. لكنني لا أملك إجابة. نصل إلى المطعم حيث تبادلنا كلمات الحب الأولى، وتناولنا عشاءً على ضوء الشمعة الخافت، في إحدى أجمل مدن سويسرا وأغلاها.

عندما استيقظ، يكون نور النهار قد طلع في الخارج. نمتُ ملء
جفوني ولم استيق وسط الليل. أنظر إلى الساعة، التاسعة صباحًا.
لا يزال زوجي نائمًا. أدخل الحمام، أغسل أسناني، وأطلب
الفطور. ارتدي برنسًا واتوجه نحو النافذة لصرف الوقت فيما
انتظر وصول خدمة الغرف.

عندئذ، لاحظ شيئًا، السماء ملأى بالظليين! هم يهبطون في
المتنزه قبالة الفندق. معظمهم يرافقهم مدرب خلفهم يوجه الظلة.
هي تجربتهم الأولى.

كيف لهم أن يفعلوا أمرًا بهذا الجنون؟ هل بلغنا مرحلة تكون
فيها المجازفة بحياتنا الشيء الوحيد الذي يفك قيود الضجر عنا؟
يهبط مظلي آخر، وآخر. يُصور الأصدقاء كل شيء، يبتسمون
مبتهجين. اتساءل كيف يبدو المنظر من فوق، لأن الجبال المحيطة
بنا مرتفعة، مرتفعة جدًا.

مع أنني احسد كل واحد من هؤلاء الناس، لن أتحدى يومًا
بالشجاعة للقفز.

يرن جرس الباب. يدخل النادل وبيديه صينية فضية، وزهرية
بوردو، وقهوة (لزوجي)، وشايًا (لي)، والكرواسان، والخبز المحمص
الساخن، وخبز الجويدار، والمربى بنكهات مختلفة، والبيض، وعصير
البرتقال، والصحيفة المحلية، وكل أمر آخر يُسعدنا.

أوقفه بقبلة. لا أذكر آخر مرة فعلت فيها ذلك. يجفل، ثم يبتسم. نجلس إلى الطاولة ونتلذذ بالأطيب أماناً. نتحدث قليلاً عن إسرافنا في الشرب الليلة الماضية.

أعتقد أنني كنت في حاجة إلى ذلك. لكن لا تأخذي ما قلتَه على محمل الجد. عندما ينفجر بالون منفوخ، يجفل الكل، لكن هذا كل ما في الأمر، بالون منفجر. لا يؤذي.

أريد أن أقول إنه كان من الرائع اكتشاف كل مواطن ضعفه، لكنني ابتسم فحسب وأتابع تناول الكرواسان. يلاحظ هو أيضاً المظليين. ترق عيناه. ترتدي ملابسنا وننزل للاستمتاع بالصباح. نتوجه إلى مكتب الاستقبال مباشرة. يقول إننا سنرحل اليوم، يطلب إليهم أن ينزلوا حقائبنا، ويسند الغاتورة.

هل أنت متأكد؟ إلا يمكننا البقاء حتى صباح الغد؟ أنا متأكد. كانت الليلة الماضية كافية لأفهم أن من المستحيل العودة بالزمن.

نتوجه إلى الباب، نعب الردهة الطويلة بسقفها الزجاجي. قرأت في أحد المنشورات أن شارعاً كان قائماً هنا الآن، جمع المبنى اللتان حناه من جانبيه. لا بد أن السياحة مزدهرة، حتى من دون وجود منحدرات ترلج.

يتجه زوجي يساراً ويقرب من البواب بدلاً من الخروج من الباب. كيف نقفز بالظلات؟..

نقفز؟ لا نية لدي البتة لفعل ذلك. يعطيه البواب منشوراً نُكر فيه. كل شيء.

«وكيف لنا بلوغ القمة؟».

يشرح البوّاب أنّنا لسنا مضطّرين إلى الذهاب إلى الأعلى. الدرب غنّار جدًا. كلّ ما علينا فعله هو تحديد وقت، وسيمزّون بنا لاصطحابنا من الفندق.

اليس الأمر شديد الخطورة؟ القفز بين سلاسل جبال إلى العدم من دون أن نكون قد فعلنا ذلك مسبقًا؟ من المسؤول؟ هل تفرض الحكومة ضوابط على المدربين ومعناتهم؟

«سيدتي، أنا أعمل هنا منذ عشر سنوات. أمارس القفز بالمظلة مرّة في السنة على الأقل. لم أشهد مطلقًا حادثًا واحدًا.. هو يبتسم. لا بدّ من أنّه كرّر تلك الكلمات آلاف المرات عبر تلك السنوات العشر.
هلاً انطلقنا؟».

ماذا؟ لم لا تذهب وحدك؟

«يُمكنني الذهاب وحدي بالطبع. ويُمكنك أن تنتظريني هنا في الأسفل مع آلة التصوير. لكنني أحتاج إلى هذه التجربة في حياتي وأريدها. لطالما أرهبتني. أمس بالذات تحدّثنا عن الأمور، عندما تعلق في الرقابة وكيف أنّنا نكفّ عن امتحان حدودنا. أحسستها ليلة مليئة بالحزن».

أعرف. يطلب إلى البوّاب تحديد وقت.

«الآن، هذا الصباح، أم بعد الظهر عندما يكون بإمكانكما أن تريا انعكاس المغيب على الثلج المحيط بنا؟».

أجيب الآن.

«إذا، شخص أم اثنان؟».

اثنان، هذا إن قمنا بذلك الآن، إن كنت لا أملك فرصة للتفكير في ما أفعله. إن كنت لا أملك الوقت لفتح الصندوق وإطلاق الشياطين- الخوف من المرتفعات، من المجهول، من الموت، من الحياة، من المشاعر القصوى. الآن أو مطلقاً.

لديكما الخيار بالتحليق ثلث ساعة، أو نصف ساعة أو ساعة..

هل من تحليق لمدة عشر دقائق؟

لا.

أتودان القفز من ارتفاع ألف وثلاثمئة وخمسين متراً من ارتفاع ألف وثمانمئة متر؟..

أبداً بالتراجع منذ الآن. لم أكن في حاجة إلى كل هذه المعلومات. أريد القفز من الارتفاع الأدنى طبعاً.

حبيبتي، هذا ليس منطقياً. أنا واثق بأن شيئاً لن يحدث، الخطر واحد. فالسقوط من ارتفاع عشرين متراً، أو ما يعادل سبعة طوابق من بناية، ستكون له العواقب نفسها..

يضحك البواب. اضحك لأخفي مشاعري. كيف يمكن أن أكون بهذه السذاجة للتفكير في أن خمسمئة متر تافهة ستكون مؤثرة؟

يرفع البواب الهاتف ويتحدث إلى أحدهم.

لا مجال للقفز سوى من ارتفاع ألف وثلاثمئة وخمسين متراً..

لا يُضاهي خوفي المسبق سخافة إلا شعوري بالانفراج الآن.

آه، جيد!

ستكون السيارة عند مدخل الفندق في غضون عشر دقائق.

أقف أمام صدع الجبل مع زوجي وخمسة اشخاص أو ستة آخرين، منتظرة دوري. في طريق الصعود، فكّرتُ في ولدي واحتمال ان يفقدا والديهما...ثم أدركتُ أننا لن نقفز معاً.

نرتدي لباساً حراريًا خاصاً وخوذاً. لم الخوذة؟ لنألاً تتأثر جمجمتي إذا اصطدمتُ بصخرة وسقطتُ مباشرة على الأرض من دون التحليق على علو ثلاثة آلاف قدم.
الخوذة الزامية.

تمام. اعتمر خوذة كتلك التي يرتديها الدراجون في شوارع جنيف. إنها قمة حماقة، لكنني لن أجادل.

انظر أمامي، بيننا وبين الصدع منحدر مكسو بالثلج. يُمكنني أن اكفّ عن التحليق في الثانية الأولى بأن أخط هناك وأعاود الصعود. لست مضطرة إلى قطع كل المسافة حتى نهايتها.

لم أخف يوماً من الطيران. لطالما كان جزءاً من حياتي. لكن كل ما في الأمر أننا عندما نكون في طائرة، لا يخطر لنا أن الأمر مشابه تماماً للقفز بالمظلات. الفرق الوحيد أن الشرنقة الحديدية تبدو كدرع وتمنحنا شعوراً بأننا محميون. هذا كل ما في الأمر.

هذا كل ما في الأمر؟ أفترض ذلك، بحسب فهمي البسيط لقوانين الديناميكا الهوائية.

علي ان اقتنع. احتاج إلى حجة افضل.

هذه حجة افضل، الطائرة مصنوعة من حديد. هي بالغة الثقل. وهي تحمل الأمتعة، والناس، والمعدات، واطنانا من الوقود المتفجر. في المقابل، المظلي خفيف، يهبط مع الريح، ويُطبع قوانين الطبيعة مثل ورقة تسقط من شجرة. في هذا منطق اكبر بكثير. اتريدين ان تقفزي أولاً؟.

نعم اريد. لأنك إذا حدث لي شيء، ستعرف، وسترعى ولدنا. وستشعر بالذنب بقية حياتك لأن هذه الفكرة المجنونة خطرت لك. ستتذكر أنني كنت رقيقة في الفصول كلها، إنسانة وقفت إلى جانب زوجها على الدوام، في الأسى والفرح، في المغامرة والرتابة. سينتقي، نحن مستعدون..

أنت المدرب؟ أنت صغيراً على هذا؟ افضل القفز مع رئيسك. في النهاية، إنها تجربتي الأولى.

أنا أقفز منذ ان بلغت السادسة عشرة من العمر، وهو الحد الأدنى المسموح به. أنا أقفز منذ خمس سنوات، ليس هنا فقط، بل في أماكن كثيرة من العالم. لا تقلقي سيدتي..

تزعجني نبرة صوته المتعالية. لا بد من احترام المسنين ومخاوفهم. إلى هنا، لا بد أنه يقول الأمر نفسه للجميع. تذكرني التعليمات. وعندما نبدا بالركض، لا تتوقفي. ودعيني اهتم بالباقي..

التعليمات. كما لو ان الأمر بات مألوفاً لنا الآن، في حين ان ما نأثوا في شرحه أكثر من سواه هو ان الخطر يكمن تحديقاً في الرغبة

في التوقف منتصف الطريق. وإن علينا عند الوصول إلى الأرض أن نواصل السير إلى أن نشعر بأن القدمنا ثبتت جيداً.

هنا حلمي: أن أكون على الأرض. أتوجه نحو زوجي وأطلب إليه أن يكون آخر القافزين، عندها سيكون لديه وقت لرؤية ما يحدث لي.

يسال المدرب، «أتريدان جلب آلة التصوير؟».

نُمكن تعليق آلة التصوير في قضيب من الألومنيوم طوله نصف متر تقريباً. لا، لا أريد. بدايةً، لا أفعل هذا لأظهره للآخرين. حتى وإن كنت أستطيع تخطي ذعري، فساكون أكثر انشغالاً بالتصوير بدلاً من الاستمتاع بالمنظر. تعلمت هذا من والدي عندما كنت مراهقة، تسلقنا جبل «ماترهورن» وكنت أتوقف كل دقيقة لالتقاط صور، إلى أن ثارت ثائرتي، «اعتقدت أن بإمكان هذا الجمال كله وهذه الهيبة كلها أن يتسعا في إطار صورة مربعة صغيرة؟ صوري الأمور في قلبك. هذا أهم من محاولة أن تظهرني للآخرين ما تختبرينه..»

يبدأ مرافقي في التحليق، بكل حكمته المكتسبة على مدى واحد وعشرين عاماً، يعلق حبالاً بجسمي مُستعملاً مشابك كبيرة من الألومنيوم. الكرسي موصول بالظلة، ساكون في المقدمة، وهو في الخلف. لا يزال باستطاعتي أن أراجع، لكنني لم أعد ما أنا عليه. فقدت كلياً القدرة على الاستجابة.

يتبادل الشاب المخضرم ابن الواحد والعشرين عاماً ورئيس المجموعة الآراء حول الريح فيما نقف في الوضعية المطلوبة. يربط نفسه هو أيضاً بالكرسي. أستطيع الإحساس بتنفسه في

الجهة الخلفية من راسي. انظر خلفي ولا يروني ما اراه: صف من قطع قماشية ملونة يمتد على طول الارض الثلجية، وشخص معلق بكل منها. في نهاية الصف زوجي، يعتمر هو أيضا خوذة ركوب الدراجات الهوائية. اعتقد ان ليس في يده حيلة، وسيقفز من بعدي بلقيتين او ثلاث.

نحن مستعدان. ابداي بالركض.

لا اتحرك.

هيا بنا. ابداي بالركض.

اشرح انني لا اريد ان ادور في السماء. فلنهبط بروية. خمس دقائق من التحليق تكفيني.

يمكنك ان تعلميني بذلك ونحن نحلق. لكن ارجوك، ثقة صف. علينا ان نقفز الآن.

اطيع الاوامر، بما انني فقلتُ الإرادة الحرة. وابدا بالركض نحو العدم.

بشكل اسرع.

أسرع، تقلد جزمتي الثلج في كل الاتجاهات. في الواقع، لست انا من يركض، بل انسانية آلية تطيع اوامر صوتية. ابدا بالصراخ، لا بداعي الخوف او الإثارة، بل بداعي الغريزة. رجعت إلى الكهف، امرأة من العصر الحجري، كما قال الشامان الكوبي. نحن نخشى العناكب والحشرات، ونصرخ في حالات مماثلة. لظالما صرخنا.

هجاة ترتفع قدامي عن الأرض، واتشبث بكل قوتي باحزمة الأمان التي تربطني بالكروسي. اتوقف عن الصراخ. يواصل المدرب

الجري بضع ثوانٍ أخرى، وعلى الفور تنحرف عن التحليق في خطٍ مستقيم. تتحكم الريح بحياتينا.

أبقي عينيّ مغمضتين في تلك الدقيقة. لا أريد ان استوعب مفهوم الارتفاع، والجبال، والخطر. احاول ان اتخيل أنني في المنزل، في المطبخ، اخبر ولدي قصة عن شيء جرى في خلال رحلتنا، ربّما عن البلدة، او عن غرفة الفندق. لا يمكنني ان اخبرهما بأن والدهما افرط في الشرب حتى أنه سقط أرضاً عندما كنّا عائدين إلى الفندق. لا يمكنني ان اخبرهما بأنني جازفتُ، ومارستُ التحليق، لأنهما سيرغبان في فعله ايضاً. والأسوأ من ذلك، قد يحاولان التحليق بمفردهما ورمي انفسهما من الطابق العلوي من منزلنا.

ثم أدرك أنني اتصرّف بحماقة، ما الهدف من ان اكون هنا وعيناي مغمضتان؟ لم يجبرني أحد على القفز. قال الأبواب، انا اعمل هنا منذ عشر سنوات ولم اشهد مطلقاً حادثاً واحداً. افتح عينيّ.

وما أراه، وما أشعر به، امر لن اتمكن ابناً من وصفه بدقة. في الأسفل، يربط الوادي بين البحيرتين، وتقع البلدة بينهما. انا احلق، حرة في الفضاء والسكون فيما نتبع الريح، ونبحر في دوائر. لم تعد الجبال المحيطة بنا تبدو شاهقة الارتفاع جداً او مُهددة، بل ودودة، ملتحفة البياض، والشمس تشرق حوالينا.

تسترخي يداي، أرخي قبضتي عن الأربطة، وافتح ذراعيّ مثل طير. لا بُدّ ان الرجل خلفي قد أدرك أنني شخص مختلف. بدلاً من ان يتابع الهبوط، يرتفع، في تيارات لامرئية من الهواء الساخن التي بدت قبل قليل متجانسة.

امامنا نسر، يُبحر في المحيط نفسه ويستعمل جناحيه بيسر
للتحكّم بتحليقه الغامض. إلى أين يريد الذهاب؟ هل يتسلّى،
ويستمتع بالحياة والجمال من حوله؟

أشعر كأنني أتواصل مع النسر بالتخاطر. يلحق المنزب به،
هو دليلنا. أرنا إلى أين علينا أن نرتفع أعلى في السماء، أن نظير إلى
الأبد. ينتابني الشعور نفسه الذي خالجنى ذاك اليوم في «نيون» عندما
تخيّلْتُ الجري إلى أن يعجز جسمي عن ذلك.

ويقول لي النسر، «هَلْمي». أنتِ السموات والأرض، أنتِ الريح
والسُحب، الثلج والبحيرات.

أبدو وكأنني في رحم أمي، محمية وفي أمان كلي، واختبر
أمورا للمرة الأولى. قريبا ساوّد، وسارجع إلى مرحلة الإنسانية التي
تمشي على وجه الأرض بقدمين. لكن في هذه اللحظة، كلّ ما أفعله
موجود في هذا الرحم، لا أقاوم، وأطلق العنان لنفسي كي تنهب
أينما يرتحل بها.
أنا حرّة.

نعم، أنا حرّة. والنسر على حقّ، أنا الجبال والبحيرات. لا ماضي
لي، ولا حاضر، ولا مستقبل. أنا أتعرف إلى ما يدعوهُ الناس «الأبدية».
للحظة، اتساءل، هل يشعر كلّ قاهر بهذا الشعور؟ لكن ما الهم؟
لا أريد التفكير في الآخرين. أنا أطوف في الأبدية. الطبيعة تكلمني
كما لو كنت ابنتها الحبيبة. تقول لي الجبال، «لَبّ قوّتي». تقول
لي البحيرات، «لَبّ سلامي وسكوني». تقول لي الشمس، «اسطعي
مثلي، جاوزي حدودك. اصغي».

أبدأ بسماع الأصوات المكتومة منذ زمن في داخلي، هي التي

كتمتها الأفكار المتواترة، والوحدة، ورعب الليل، والخوف من
التغير، والخوف من أن يبقى كل شيء على حاله. كلما ارتفعنا،
كلما أبعدت نفسي عن نفسي.

أنا في عالم آخر حيث الأمور تناسب قلبها تمامًا. بعيدًا عن
تلك الحياة الطافحة بالمهام، والرغبات المستحيلة، والمعاناة، واللذة. لا
أملك شيئًا، وأنا كل شيء.

يشرع النسر في الالتفاف نحو الوادي. أحاصي حركة جناحيه
بذراعين مفتوحتين. لو أمكن لأحد أن يراني الآن، لما عرفني، لأنني
النور والمكان والزمان. أنا في عالم آخر.
ويقول لي النسر، هذه الأبدية.

في الأبدية، لا وجود لنا، نحن مجرد أداة في اليد التي خلقت
الجبال، والثلج، والبحيرات، والشمس. أرجع في الزمان والمكان، إلى
لحظة تكوين كل شيء، لحظة سير النجوم عكسيًا. أريد أن أكون
في خدمة هذه اليد.

تخطر لي أفكار عذبة وتتبدل من دون أن تبذل ما أشعر به. ترك
عقلي جسدي وامتزج مع الطبيعة. يا للأسف، عليّ أنا والنسر أن
نحط في المتنزه المقابل للفندق في الأسفل. لكن ما هم ما سيحدث
مستقبلًا؟ أنا هنا، في هذا الرحم المكون من عدم ومن كل.

يملأ قلبي كل زاوية من الكون. أحاول أن أشرح ذلك لنفسي
بالكلمات، أحاول أن أجِد طريقة أتذكر بها ما ينخالجني الآن بالذات،
لكن ما تلبث أن تتبدل هذه الأفكار ويعود الفراغ ليملا كل شيء
من جديد.

قلبي!

من قبل، كنت أرى كونا هائلا من حولي، والآن يبدو الكون نقطة صغيرة في قلبي الذي توسع بلا حدود، مثل الفضاء. مثل أداة. مثل بنزكة. يكافح عقلي لئيبقي الأمور تحت سيطرته ويفسر لي ولو شيئا مما أشعر به، لكن القوة أقوى.

القوة. يمدني شعور الأبدية بشعور غامض من القوة. بوسعي أن أفعل أي شيء، حتى إنهاء عذابات العالم. أنا أخلق، وأحدث لللائكة، وأسمع أصواتا ووحيا سرعان ما ستُنسى، لكنها في هذه اللحظة والقيّة كالنسر الذي أمامي. لن أقدر يوما أن أفسر شعوري، ولا حتى لنفسي. لكن أيهم؟ إنه المستقبل، وأنا لم أبلغه بعد. أنا في الحاضر.

يتوارى العقل المنطقي. أنا ممتنة لذلك. أنحني أمام قلبي الجبار المُشبع نورا وقوة، الذي بوسعه أن يكتنف كل ما حدث، وما سيحدث، من الآن وحتى انقضاء الدهر.

اسمع شيئا للمرة الأولى، كلاب تنبح. نحن نقرب من الأرض، الواقع يهم بالعودة. في غضون لحظة، ساطا الكوكب الذي أحيا عليه، لكن في قلبي، اختبرت الكواكب والنجوم بأسرها، وكانت اعظم من أي شيء.

أريد أن الازم هذه الحالة، غير أن أفكاري تعاودني. أرى فنلندا إلى اليمين. وتحتجب البحيرتان خلف الغابات والهضاب الصغيرة.

إلهي، ألا يسعني أن أبقى على هذه الحال إلى الأبد؟

لا يسعك ذلك، يقولها النسر الذي قادنا إلى المتنزه حيث سنهبط قريبا، والذي يودعنا الآن لأنه وجد تيارا جدينا من الهواء الساخن.

يرتفع بيُسْرٍ من جديد، من دون أن يخطب جناحيه، ويتحكّم بالريح بارياشه. يقول: «إذا بقيت على هذه الحال إلى الأبد، فلن تتمكني من العيش في هذا العالم».

وإن يكن. أشرع في مجادلة النسر، لكنني أرى أنني أجادله بالمنطق، مُحاولَة التفكير. كيف لي أن أعيش في هذا العالم بعد أن مررتُ بما اختبرته في الأبلية؟

يجيب النسر، بصوت هامس: «جدي سبيلاً.. ثم يرحل إلى الأبد من حياتي».

يقول المدرب شيئاً وهو يهمس- يذكّرني بأن عليّ الركض عندما تطلا قدماي الأرض.

أرى العشب أمامي. ما نُقِثُ إليه جثّاً من قبل، أي إن أكون على الأرض الصلبة، تحوّل الآن إلى نهاية شيء ما.

نهاية ماذا بالضبط؟

تطلا قدماي الأرض. أجري قليلاً، ويتحكّم المدرب بالظلة. ثم يستدير نحوي ويرخي السلاسل. ينظر إليّ. أُحَدِّقُ إلى السماء. كل ما يمكنني رؤيته هو مظلّيون ملوّنون آخرون، يقتربون مني.

أدرك أنني أبكي.

هل أنت بخير؟..

أومىء إيجابياً. لا أدري إن كان يفهم ما اختبرته فوق.

نعم، هو يفهم. يقول إنه يخلّق مرّة في السنة مع شخص يكون لديه ردّ الفعل نفسه.

عندما أسأل عن الأمر، يعجزون عن تفسيره. يحدث الأمر نفسه

مع أصدقائي، يدخل بعض الناس في حالة صدمة ولا يخرجون منها
إلا عندما تلامس أقدامهم الأرض..

إنه العكس تمامًا. لكنني لا أرغب في تفسير أي شيء.

أشكره على كلماته المواسية. أرغب في شرح أنني لم أرد مطلقاً
أن ينتهي ما اخترته في الأعلى. لكنه انتهى، ولا يتوجب عليّ الكوث
هنا وتفسير أي شيء لأيّ يكن. أسير مبتعدة لأجلس على أحد مقاعد
المتنزه وانتظر زوجي.

لا أستطيع الكف عن البكاء. يحطّ، ويدنو منّي بابتسامة
عريضة، ويقول إنها كانت تجربة مذهلة. أوصل البكاء. يعانقني،
يقول، الأمر انتهى الآن، وما كان عليه أن يرغبني على فعل امر لم
أرد فعله.

أقول إن الأمر ليس كذلك أبداً. أرجوك دعني وشأني. سأكون
بخير بعد قليل.

يأتي شخص من فريق الدعم ليأخذ لباسينا والحذاءين الخاضين
ويعطينا معطفينا. أنجز كل شيء آلياً، غير أن كل حركة آتي
بها تحملني إلى عالم مختلف، العالم الذي ندعوه «عالم الواقع»، العالم
الذي لا أريد أن أكون فيه البتّة.

لكن ليس بيدي حيلة. الشيء الوحيد الذي يمكنني فعله هو
الطلب إلى زوجي أن يدعني وشأني قليلاً. يسأل إن كان حرياً بنا
العودة إلى الفندق لأن الطقس بارد. لا، أنا بخير الآن.

أجلس هناك نصف ساعة، أبكي. دموع نعيم تغسل روحي.
أخيراً، أدرك أن الوقت حان للعودة نهائياً إلى العالم.

انهض. نذهب إلى الفندق، نأتي بسيارتنا، ويقود زوجي عاندين

إلى جنيف. الراديو مشغول لنا لا يُضطرز أي منا إلى التكلّم. أشعر
تدريجاً بصداق رهيب، لكنني أعرف ما يجري، يجري دمي مجدداً
في الأجزاء التي سدّتها العواطف فتنحلّ أخيراً. الألم مُلَازِمٌ للحظة
التحرّر، لكن لطالما جرت الأمور على هذا النحو.

ما قاله أمس لا يحتاج إلى تفسير. ولا احتاج إلى تفسير ما اختلج
بي اليوم.

العالم مثالي.

في غضون ساعة فقط، ستحل نهاية السنة. قررت المدينة ان تخفض الإنفاق على احتفالات عشية رأس السنة التقليدية تخفيضًا ملحوظًا، لذا سترى مفرقات أقل. لا بأس بذلك، رايتُ للمفرقات طوال حياتي ولم تعد تبعث بي التشويق ذاته الذي كنت أشعر به في صغري.

لا يسعني القول إنني ساشتاق الى الأيام الثلاثمئة والخمسة والستين الماضية. هبت الريح، ولع البرق، وكاد البحر يقلب مركبي، لكنني تمكنتُ في النهاية من عبور المحيط والرسو على بر الأمان.

بر الأمان؟ لا يجدر بأي علاقة ان تسعى إليه. ما يقتل العلاقة بين شخصين هو بالضبط الافتقار إلى التحدي، والشعور بأن كل جديد لم يعد يستجد. على كل منا الاستمرار في مفاجاة الآخر.

يبدأ كل شيء بحفلة كبيرة. يخرج الأصدقاء، يقول الكاهن أمورًا رندة في منات الأعراس، كتلك الفكرة عن بناء منزل على صخر، وليس على رمال. يرمي الضيوف الأرز، ونرمي الباقية. تحسدنا العازبات في سرهن، وتعرف المتزوجات اننا نستهل دربًا لا يقرب البتة مما قرأناه في الحكايات.

ثم يبدأ الواقع بالظهور تدريجًا، لكننا نرفض تقبله. نريد لشريكنا ان يظل الشخص الذي التقيناه عند المذبح والذي بادلناه الخاتم. وكان باستطاعتنا إيقاف الزمن.

لا يمكننا. لا يجدر بنا. لا تُغَيَّر الحكمة والخبرة الإنسان. لا يُغَيَّر
الزمن الإنسان. الأمر الوحيد الذي يتغَيَّر هو الحب. فيما كنتُ في
الفضاء، فهِمْتُ أَنْ حَيِّ لِلْحَيَاةِ، لِلْكَوْنِ، كَانَ أَقْوَى مِنْ أَيِّ شَيْءٍ.

اتذكّر عِظَةً كتبها كاهن فتى مجهول الهوية من القرن التاسع عشر، يُحلّل فيها رسالة بولس الرسول إلى أهل كورينثوس وشتى الأوجه التي يُظهرها الحبّ وهو ينمو. يُخبرنا أنّ كثيراً من النصوص الروحانية التي نراها اليوم تُعنى بجزء واحد فقط من الإنسان.

هي تتحدث عن السلام، لكنّها لا تتحدّث عن الحياة.

هي تناقش في الإيمان، لكنّها تغفل الحبّ.

هي تتحدث عن العدالة، ولا تذكر الوحي، كذاك الذي اختبرته عندما قفزتُ من الجُرف في «إنترلاكن»، والذي أخرجني من الثقب الأسود الذي حفرتّه في روحي.

ليكن واضحاً مدى الدّهر أنّ الحبّ الحقيقي وحده قادر على مضاهاة أيّ حبّ آخر في هذا العالم. عندما نُعطي كلّ شيء، لا يعود لدينا ما نخسره. فينجلي الخوف، والغيرة، والضجر، والرقابة، وكلّ ما يبقى هو النور في فراغ غير مخيف، بل يقرب واحدنا من الآخر. النور المتغيّر أبداً. التغيّر يسبغ عليه جمالاً ويملأه مفاجآت. لا تلك التي نأملها على الدوام، بل تلك التي يمكننا التعايش معها.

أنّ نُحبّ بفيض يعني أنّ نحيا بفيض.

أنّ نُحبّ إلى الأبد يعني أنّ نحيا إلى الأبد. الحياة الأبدية والحبّ متلازمان.

لم نريد أن نحيا إلى الأبد؟ لأننا نريد أن نعيش يوماً آخر مع الشخص إلى جانبنا. لأننا نريد أن نتابع المسير مع شخص يستحق حبنا، ويعرف كيف يحبنا لاعتقادنا بأننا نستحق أن نُحِب.

فإن نعيش يعني أن نُحِب.

حتى حب حيوان اليف، مثل كلب يمكن أن يبرر حياة إنسان. متى زال وذاق الحب من حياته، زال أيضاً أي سبب لمواصلة العيش. فلنشُد الحب أولاً، ونُضيف أي أمر آخر لاحقاً.

في خلال سنوات الزواج العشر تلك، استمتعت بكل ملذّة تقريباً يمكن لامرأة الحصول عليها، وكان عليّ أن اتحمّل أموراً لم استحقّها. مع ذلك، عندما استرجع للماضي، أرى أن لحظات قليلة فقط تخلّلتها - قصيرة جداً في العادة - تمكّنت أن أرى فيها ولو محاكاة بسيطة لما اتصوّر أنه الحب الحقيقي، ولادة ولديّ، أو عندما جلستُ إلى جانب زوجي واخذنا ننظر إلى جبال الألب، أو نافورة الماء الضخمة في بحيرة جنيف. لكنّ هذه اللحظات القصيرة هي علّة وجودي، لأنها تمنحني القوّة لأواصل السير وأمدّ أيامي بالفرح، مهما حاولت أن أمدّها بالتعاسة.

اتوجّه إلى النافذة وأنظر منها إلى المدينة. الثلج الذي وعدنا به لم يتساقط. مع هذا، اعتقد أنها إحدى أكثر عشيّات رأس السنة رومنسيّة من كلّ تلك التي عرفتّها، لأنني كنت أموت، والحب أحياني. الحب، الوحيد الذي سيبقى بعد زوال الجنس البشري.

الحب. تغرورق عينايا بدموع الفرح. لا يستطيع أحد أن يجبر نفسه على أن يُحِب، ولا أن يُجبر شخصاً آخر عليه. كلّ ما تستطيعه هو النظر إلى الحب، والوقوف في حبّ الحب، والتشبه به.

لا سهيل آخر لنيل الحب، ولا لغز فيه. نحب آخرين، نحب ذواتنا، نحب أعداءنا، فلا نرغب بعدها في أي شيء آخر في حياتنا. استطيع أن أشغل التلفاز وأشاهد ما يجري في العالم، وما دام هناك ذرة من الحب في هذه المآسي، فنحن متوجهون نحو الخلاص. فالحب يولد مزيداً من الحب.

أولئك الذين يعرفون كيف يحبون، يحبون الحق، يبتهجون بالحق، ولا يخشونه، لأنه عاجلاً أو آجلاً، سوف يبريء كل شيء. هم ينشدون الحق بعقل متواضع، صافٍ، لا أحكام مسبقة أو تحجر فيه، ويسرون في النهاية بما يجدونه.

لعل كلمة الصدق ليست الفضلى لتفسير خاصية الحب هذه، لكنني اعجز عن إيجاد كلمة أخرى. ولا أقصد الصدق الذي يستهين بالمقربين إليك، فالحب الحقيقي لا يكون بكشف مواطن ضعفك أمام الآخرين، بل بالجرأة في الإفصاح عن حاجتك إلى العون، والتهلل في اكتشاف أن الأمور أفضل مما قاله آخرون.

افكر بعطف في جاكوب وماريان. هما أعاداني، من دون قصد، إلى زوجي وأسرتي. أمل أن يكونا سعيدين في هذه الليلة الأخيرة من السنة، وأن يكون كل هذا قد قرب أحدهما من الآخر.

أحاول أن أبزر ارتكابي الزنى؟ لا. نشئت الحق ووجدته. أمل أن يكون الأمر على هذا النحو لكل من مر بهذه التجربة. تعلموا أن تحبوا بشكل أفضل.

حرّي بذلك أن يكون هدفنا في العالم، أن نتعلم أن نحب. تقدم إلينا الحياة آلاف الفرص للتعلم. يملك كل رجل وكل

امراة، في كل يوم من حياتنا، فرصة مؤاتية دوماً للاستسلام للحب.
ليست الحياة إجازة طويلة، بل مسيرة تعلم متواصل.
والدرس الأهم هو ان نتعلم ان نحب.
ان نحب بشكل افضل دائماً. لأن اللغات، والبلدان، والاتحاد
السويسري، وجنيف، والشارع حيث أقطن بمصايبحه، ومنزلنا،
واثاث غرفة المعيشة، كلها ستندثر... وسيندثر جسمي أيضاً.
لكنّ امرأ واحداً سيحفر في روح الكون ابداً، وهو حيي. على الرغم
من من أخطائي، وقراراتي التي سببت الأذى للآخرين، واللحظات
التي خلّت فيها أنّ الحب غير موجود.

أبتعدُ عن النافذة وأناذي ولديّ وزوجي. أقول إنه - بحسب
التقاليد- علينا أن نقف على الأريكة قبالة المدفأة، وعند منتصف
الليل تمامًا، نطأ الأرض بقدمنا اليمنى.

، حبيبتي، الثلج يتساقط!..

أهرعُ إلى النافذة من جديد، وانظر إلى نور أحد المصابيح في
الشارع. نعم، الثلج يتساقط! كيف حدث أنني لم ألاحظه من قبل؟
يسأل أحد الولدين، هل يمكننا الخروج؟..

ليس الآن. أولاً، سوف نقف على الأريكة، ونتناول اثنتي عشرة
حبة من العنب، ونحتفظ بالبنور لكي نعلم البركة طوال السنة.
سنفعل كل ما تعلمناه من أسلافنا.

ثم سنخرج للاحتفاء بالحياة. أنا متأكدة من أن السنة الجديدة
ستكون ممتازة.

جنيف، ٢٠ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٢

تعي ليندا تمامًا أن حياتها مثالية. تشغل وظيفة رائعة. ولها زوجٌ وسيمٌ متيمٌ بها وطفلان جميلان. تثير رغبة الرجال وحسد النساء. لكن على الرغم من هذا، يلقّها ضجرًا بوصف. وتشعر أنها على شفير الهاوية.

فجأةً، ووسط كل هذا الضياع والضجيج، يعترض حياتها حبيبها السابق. وقد أصبح سياسياً مرموقاً. فتخوض معه تجربة حميمة وغريبة. مُجسّدة ما كانت تحرّمه حتى مع زوجها؛ تجربة تقلب المعادلات المألوفة، وتقودها إلى عالمٍ آخر. ويلمسه ساحرٌ تعيد الأمور إلى موقعها الصحيح.

تنتفض. وبشجاعة فائقة تواجه ما ارتكبته. لتكتشف في النهاية أن «الحب يجترح المعجزات. ويغيّر معالم الأرض والروح».

فما هو الحب الحقيقي؟ وما هي السعادة؟ وهل يتحوّل الضمير جلاًداً؟ أسئلة كثيرة تطرحها ليندا بطلة رواية باولو كويلو الجديدة «الزانية». تاركةً لنا عناء اكتشاف أجوبتها.

ISBN 978-9953-88-839-2



9 789953 888392

tradebooks@all-prints.com
www.all-prints.com

الجناح، شارع زاهية سلمان،
مينى مجموعة حسين الخطاط
ص.ب.: ٨٣٧٥ - بيروت - لبنان
تلفون: ٨٣٠٦٠٨ ٩١١١ فاكس: ٨٣٠٦٠٩ ٩١١١

شركة المطبوعات للتوزيع والنشر



